



الحزبية

مجلة
فصلية علمية
دينية سياسية
تعنى بشؤون حوزتي
النجف الأشرف
وقم المقدسة

تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية



دعوة للكتاب

تود هيئة تحرير مجلة الحوزة ان ترحب بالأخوة والأخوات الباحثين والمتخصصين في الدراسات الدينية الحوزوية والذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية والاكاديمية في مجلة الحوزة وفق المعايير التالية:

❖ أن تتناول البحوث والدراسات الشؤون الحوزوية المعاصرة وكل ما له علاقة بتطوير الحوزة والدفاع عنها وعكس صورتها المثلى

❖ تعتمد المجلة الأساليب العملية الراهنة في الكتابة والتوثيق والحيادية والموضوعية والدقة والإشارة إلى المصادر حسب القواعد العلمية المتعارف عليها.

❖ أن لا تكون البحوث قد نشرت في مجلات أخرى

❖ تقدم البحوث إلى المجلة مطبوعة وعلى (CD) مع موجز خالي من الأخطاء الطباعية.

❖ تخضع البحوث والدراسات إلى التحكيم العلمي المتعارف عليه أكاديميا ولا تعاد البحوث إلى أصحابها في حالة الاعتذار عن نشرها

❖ تنشر البحوث والدراسات وفق خطة هيئة التحرير والنشر

مجلة
علمية
فصلية

المجلة الحوزية

تصدر عن مركز الكندي للدراسات الحوزوية

العدد السادس والعشرون/ السنة السادسة / ١٤٤٠هـ

المشرف العام

السيد قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

هيئة التحرير

حيدر النجار

إبراهيم الأسدي

التصميم والإشراف الفني

أحمد الهاشمي

أحمد الهاشمي

info@markazalhuda.net

www.markazalhuda.net

لا تمثل بالضرورة آراء الباحثين والكتاب رأي مجلة الحوزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْمُحْتَمِلِينَ

الإمام الخامنئي (دام ظلّه):

"التفاوض سم، ولن تنشب الحرب، المقاومة خيار الشعب الإيراني وسينتصر"

✍ في أعلام الحوزة

- ❖ نزعة التنوير والتثوير عند المفسرين الشهيد الصدر رحمته والسيد الخميني رحمته
السيد علي محمود البعاج ٩
- ❖ المنهج المعرفي للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر رحمته
الأستاذ حسين محمد ٣٦
- ❖ الجهود الفقهية والأصولية .لآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته
الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي ٥٩

✍ من آفاق الحوزة والمرجعية

- ❖ المرجعية الدينية ودورها في ترشيد وتوجيه الواقع السياسي العراقي ...
م . د . عبد الكريم كاظم عجيل ٨٦
- ❖ دراسة تحليلية عن فتوى الجهاد الكفائي وتأثيرها على المجتمع العراقي
م . د . رغد جمال مناف ، زينب جمال مناف ١٠٧
- ❖ المرجعية وفتاوى الجهاد (الدور التاريخي)
م . د . غصون مزهر المحمداوي ١٢١

دراسات فكرية إسلامية

❖ سوسيولوجيا الالحاد الأسباب والمعالجات

أ. م. د. مياس ضياء باقر ١٤١

❖ المنظور القرآني في مواجهة الإرهاب الفكري

أ. د. خولة مهدي شاكر الجراح ١٥٥

❖ التغريب الثقافي والتخريب الفكري للشباب المسلم (الأساليب والمواجهة)

أ. م. د. إقبال وافي نجم ١٩١

❖ فلسفة الحداثة بين الفكر الإسلامي والدرس النقدي الأكاديمي

د. امجد حميد عبد الله ٢١٢

في رحاب أهل البيت

❖ معالم التصحيح في العقائد عند أهل البيت

السيد محمد علي الكاظمي ٢٦٧

من أعلام الشيعة

❖ الإمام الخامنئي المرجع القائد

هيئة التحرير ٢٨٩



الإمام الخامنئي دام ظلّه :

التفاوض سم، ولن تنشب الحرب، المقاومة خيار الشعب الإيراني وسينتصر

شدّد قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (دام ظلّه) خلال لقاءه العديد من المسؤولين في النظام على أن خيار الشعب الإيراني المحتوم هو مقاومة أمريكا وسوف يُرغمها على التراجع وتابع سماحته قائلاً: هذه المواجهة ليست عسكرية لأنه ليس من المقرّر نشوب أي حرب، ونحن لا نسعى للحرب وهم أيضاً لا يسعون ورائها لأنهم يعلمون بأنها لن تكون في صالحهم .

وفي هذا الصدد أوضح الإمام الخامنئي قائلاً: هذه المواجهة هي مواجهة الإرادات وإرادتنا هي الأقوى لأننا نملك إضافة لإرادتنا التوكل على الله عزّوجل .

وعلق قائد الثورة الإسلامية على التفاوض مع أمريكا قائلاً: التفاوض سمّ، ما دامت أمريكا هي ما عليه الآن فإن التفاوض مع الحكومة الأمريكية الحالية سمّ مضاعف .

واستنكر سماحته أسلوب العدو في التفاوض قائلاً: يقولون فلنتفاوض حول أسلحتكم الدفاعية، فلماذا تصنعون صاروخاً بالمدى الفلاني؛ خفّضوا هذا المدى حتى تكونوا عاجزين عن ضرب مقراتنا والرد علينا عندما نوجّه ضربة إليكم! أو يقولون مثلاً فلنتحدث حول عمقكم الاستراتيجي في المنطقة؛ أي فلنفقدوا هذا العمق .

وأردف الإمام الخامنئي قائلاً: إذا فإن أصل التفاوض خطأ، وإن كان ذلك مع إنسان سوي . فكيف بهؤلاء الذين هم غير أسوياء ولا يلتزمون بأي شيء؟ طبعاً لا يوجد عاقل بيننا يركض وراء التفاوض .

ولفت سماحته إلى تاريخ العداء الأمريكي قائلاً: لا شك في أن عداء أمريكا الذي قد بدأ منذ انتصار الثورة الإسلامية، قد تجلّى اليوم بشكل واضح . كان هذا العداء في السابق أيضاً لكنه لم يكن بهذه الصراحة . ينبغي أن نعلم بأن من يهدد بصوت عال لا تكون هذه قوته الحقيقية .

وأضاف قائد الثورة الإسلامية: هؤلاء [المسؤولون الأمريكيون] يراعون مصالح الكيان الصهيوني أكثر من أي حكومة أخرى . فقرار العديد من الأعمال بيد مجتمع الصهاينة .

ثم قال الإمام الخامنئي: الأمريكيون يحتاجون لأن يهرطقوا . يقولون بأن تصرفاتنا غيرت إيران! التغيير الذي حصل هو أن كره الشعب الإيراني لأمريكا تضاعف ١٠ مرات وبات اقترابهم من مصالح الجمهورية أكثر استحالة؛ كما تضاعفت همة شباننا لرفع مستوى جهوزية البلاد وبات قواتنا العسكرية والأمنية أشدّ انتباهاً .

واستهزئ قائد الثورة الإسلامية بالحسابات الأمريكية قائلاً: أنظروا كم أنّ حسابات العدو خاطئة بحيث أن الرئيس الأمريكي يقول أنّ طهران تشهد مظاهرات ضد النظام كل يوم

جمعة. أولاً ليست يوم الجمعة بل السبت ؛ ثانياً ليست في طهران وإنما باريس .

وحول الشأن الداخلي الأمريكي قال الإمام الخامنئي : يعاني الأمريكيون في الداخل من مشاكل اجتماعية واقتصادية عديدة . فوضع حكومتهم ليس منسجماً ؛ أحدهم يطلق تصريحاً ثم غداة ذلك اليوم يطلق آخر تصريحاً مضاداً . هذه علامة اضطرابهم .

وتابع قائد الثورة الإسلامية مشيراً إلى إحصاءات تدل على الواقع الأمريكي قائلاً : ورد في تقرير لوزارة الزراعة الأمريكية أن ٤١ مليون أمريكي يعانون من الجوع . وفي الشأن الاجتماعي فإن ٤٠٪ من الولادات غير شرعية كما يقول تقرير المركز الوطني للإحصاءات الحياتية في أمريكا . كما لا يزال لديهم مليونان و ٢٠٠ ألف يقعون في السجون ، ولديهم أكبر نسبة في الادمان على المخدرات و ٣١٪ من إطلاق الرصاص الجماعي يحدث في أمريكا . هذه هي أوضاعهم الاجتماعية .

واستطرد الإمام الخامنئي قائلاً : لذلك فليتنجّب البعض تهويل العدو وتضخيمه كثيراً . طبعاً ينبغي عدم استصغار العدو والاستخفاف به ، لكنه لا يتمتع بقوة فائقة ويعاني من مشاكل جمّة .

وأكد قائد الثورة الإسلامية أن سياساتهم بالإجمال تنتهي بضررهم من الناحية السياسية والأمنية ؛ سواء سياساتهم تجاه الدول الأوروبية أو سياساتهم تجاه الدول الآسيوية .

وحول سياساتهم في مواجهة الجمهورية الإسلامية قال سماحتهم : سوف تُهزم أمريكا حتماً وسوف ينتهي الأمر لصالحنا . يحذّر الخبراء الأمريكيون في الصحف اليوم من أن هذه الضغوط سوف تؤدّي إلى طفرة اقتصادية في إيران .

وشدّد الإمام الخامنئي قائلاً : يجب أن لا يخشى أحد هيبة أمريكا الظاهرية ؛ هذا خطأ فادح . تُسيّر القوى العظمى أعمالها بإثارة الصخب لكن قدرتهم أقل بكثير . يجب عدم الخوف من هيبتههم ومن ثروات أشباه قارون على ضفاف الخليج الفارسي العاجزين عن ارتكاب أي حماقة . لقد أنفقوا مليارات الدولارات وعجزوا عن ارتكاب أي حماقة .

وحول الشأن الداخلي للبلاد قال قائد الثورة الإسلامية : قضية الاقتصاد تشكّل اليوم

المشكلة الأساسية في البلاد؛ والسبب هو الضغوط التي تفرض على معيشة الشرائح الضعيفة وأيضاً المتوسطة. متى ما تعرّض اقتصاد البلد للمشاكل سوف يطمع العدو وستتدنّى قيمة البلد. لذلك يجب أن يتم التطرّق لمسألة الاقتصاد بشكل جدي ولا وجود لأي طريق مسدود في البلد.

وتابع سماحته قائلاً: لقد رفع الأعداء مستوى الحصار من أجل توجيه ضربة للجمهورية الإسلامية؛ لكن المهم هو أن الجمهورية الإسلامية تملك معدناً قوياً. ويصرّح بذلك أيضاً بعض المتابعين في العالم حيث يقولون بأن هذا الحصار أينما كان أوجد تغييرات هامة، لكن الجمهورية الإسلامية تتمتع بالصلابة بهمة المسؤولين واستنادها إلى الشعب.

فكر أعلام الحوزة

السيد علي محمود البعاج
باحث وأكاديمي

نزعة التثوير والتثوير عند المفسرين الشهيد الصدر والسيد الخميني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان / ٣٣)

حمداً لله الذي عرفنا العارفين من عباده محمد وآل محمد الأنوار والأولياء الكامل، الثابتين القدم على زحاليقها في الزمن الأول وعلى أصحابهم الأبرار ومن تبعهم بأثر وعلى الشهداء الثوار.

ما كان للمحافل العلمية والمعاهد الإسلامية والحوزات الدينية من عهد بالدرس القرآني والبحث العرفاني. النجف الأشرف تشكو السغب وقم المقدسة ظمأى... وقد وردها السيد الطباطبائي فاحياها بـ (ميزانه) ووهبها شيخ العرفاء (مواهب رحمانه) وما بعدهما... الشهيدان الصدران: محمد باقر في (توحيده) وحمد في (مئة مئانه) وهكذا قيض الله لهذا

خطة الدراسة

اقتضت هيكلية الدراسة هذه أن تكون
بواقع فصلين سبقتهما مباحث تمهيدية :

التفسير والمفسرون

اولا : التفسير لغة واصطلاحا .

ثانيا : - المسار التاريخي لعلم التفسير
واتجاهاته .

ثالثا : - المناهج الحداثوية في التفسير .

الفصل الاول : نزعة التشوير في تفسير
السيد الخميني رحمته الله

الفصل الثاني : التنوير والتشوير في تفسير
الشهيد الصدر رحمته الله

وكانت ثمة خلاصة للبحث ونتائج عدة
في خاتمته ومسك الختام ثبت بالمصادر
والمراجع .

الكتاب العزيز حفظة تداولوه بالابانة
والتوضيح وتعاهدوه بـ ﴿ انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون ﴾ الحجر ٩

وارتقى العرفاء شأوا سامقا الى الملكوت
الأعلى وكان معراجهم (القرآن المجيد)
﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقفالها ﴾ وبودي ان اشير الى القضية
القرآنية في الحوزة - المؤسسة الدينية - فقد
تحدث عن الوضع الخطير ، مرشد
الجمهورية الاسلامية السيد الخامنئي : « ان
بامكاننا بدء الدراسة ومواصلتها حتى نمثح
اجازة اجتهاد من دون ان نراجع القرآن ولو
مرة واحدة ، أي دروسنا ومنهاجنا التدريسي
قد رسم بطريقة بحيث ان الطالب من أول
تعلمه ودراسته وان لم يكن قد راجع القرآن
ولو مرة واحدة ، مع هذا يمكن طي الطريق
والوصول الى الاجتهاد »^(١)

مباحث تمهيدية التفسير والمفسرون

التفسير: كشف معاني القرآن وبيان
المراد بالآيات.^(٦)

المسار التاريخي لعلم (التفسير)
واتجاهاته

من خلال قراءة تاريخية لتطور علم
التفسير عند المسلمين يمكن تقسيم
المراحل التي مر بها الى:

الأولى: مرحلة الصحابة

الثانية: مرحلة التابعين

الثالثة: مرحلة المؤلفين. وامتدت الى ق
٤هـ

الرابعة: مرحلة التفاسير العلمية وفقا
لتنوع المشارب والاختصاصات الفكرية.^(٧)
ولا شك في تنوع التفسير واختلاف مذاهبه

التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: البيان والكشف^(٢) وفي
القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى ﴿ولا
يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن
تفسيرا﴾^(٣).

فتفسير الكلام - أي كلام - معناه الكشف
عن مدلوله وبيان المعنى الذي يشير اليه
اللفظ، اما التفسير اصطلاحاً: علم يبحث
فيه عن القرآن الكريم بوصفه كلاماً لله
تعالى وبهذا الاعتبار يتميز عن علم (الرسم
القرآني) الذي يعني بكلامه تعالى من أنه
حروف فيما يتميز عن علم (القراءة
والتجويد) بوصفه معنياً بقراءات الكلام
الالهي^(٤) وهناك تعريفات أخرى كثيرة لكننا
نرى ان هذا التعريف فيه جامعية واختصار^(٥)
فمن تلك التعريفات:

النص القرآني عليها ، مثل ابن تيمية^(١٠) مع ان الوهابية ليست مذهبا .

- وهناك التفسير الغير متحيز الذي يحاول ان يستنتق القرآن نفسه ويطبق الرأي على القرآن لا القرآن على الرأي .

- بالمادة العلمية كتفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري .

- بتفسير النص القرآني بحسب تاريخ نزوله وهو تفرد بحثي لحد الآن^(١١) .

- المنهج البنائي في التفسير : وهو منهج حديث قائم على دراسة السورة القرآنية من خلال الهيكل الهندسي العام ، اضطلع به د . محمود البستاني في تفسيره (عمارة السورة القرآنية)^(١٢)

- وهناك التفسير الذي يعالج مسائل الفقه وتناول تفسير الآيات وفق الضابط الفقهي التي اصطلح عليها (آيات الاحكام) ومن ذلك كنز العرفان للمقداد واحكام القرآن^(١٣) للجصاص

المناهج الحداثوية في التفسير —

هذه هي الاتجاهات المتباينة في التفسير الاسلامي وبرغم تباين مناهجهم في

وتعدد مدارسه والتباين في الكثير من الاحيان في اهتماماته واتجاهاته فهناك التفسير الذي يهتم :

- بالجانب اللفظي والبلاغي والتصوير الأدبي كتفسير الكشف وفي ظلال القرآن والتفسير البياني^(٨) .

- بالباطن وهي صادرة عادة أو غالبا من مشائخ الصوفية كأبن عربي وغيره وكذلك من الممارسات التفسيرية لارباب العرفان كالسيد الخميني ونجمله السيد مصطفى .

- بالحديث : بمعنى تورع المؤلف عن ابداء رأيه والاقتصار على ابداء السنة الشريفة للمعصومين عليهم السلام أو المأثور عن الصحابة والتابعين ومثاله : الدر المنثور والبرهان^(٩) ويطلق عليه التفسير الأثري .

- بالرأي المعتبر او محاولة الفهم من ظواهر و سياقات القرآن الكريم نفسه وهي عامة التفاسير لدى المذاهب الاسلامية ومنها تفسير الميزان .

- بالمنطق والجدل والفلسفة مثل تفسير الفخر الرازي .

- وهناك التفسير المتحيز الذي يتخذ مواقف مذهبية مسبقة يحاول ان يطبق

البحث والتدوين التفسيري الا انهم ظلوا اسرى منهج واحد هو (المنهج التجزيئي) ويراد به : المنهج الذي يتناول المفسر ضمن اطاره القرآن الكريم آية فآية وفقا لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف ^(١٤) .

ان هذا التطور في الحركة التفسيرية سرعان ما كفَّ عن الاستمرار مع تفاقم الحاجة الى فهم جديد للقرآن في ظل بروز المعطيات الفكرية الجديدة للانتصارات التي حققتها المناهج المعرفية الحديثة ونأى المسلمون عنها ونأت عنهم .

في ظل هذه الاجواء طرح الشيخ البلاغي محاضراته في التفسير : (الاء الرحمن) وتم تدوينها بعد ذلك .

وقام بعده الشهيد السيد محمد باقر الصدر بـ (تثوير) حركة التفسير من جديد وانتشالها من الازمة من خلال المنهج الموضوعي ^(١٥) او ما اطلق عليه بـ (التفسير الموضوعي) او (التوحيدي) ويعني به - الشهيد الصدر نفسه : (ان المفسر يبدأ من الموضوع والواقع الخارجي ويعود الى القرآن الكريم وهو توحيدى بأعتبار انه يوحد

بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم لا بمعنى انه يخضع القرآن للتجربة البشرية بل بمعنى انه يوحد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث المفهوم القرآني الذي يمكن ان يحدد موقف الاسلام تجاه التجربة او المقولة الفكرية التي ادخلها في سياق بحثه من جهة ومن جهة اخرى يسمى موضوعيا بأعتبار انه يختار مجموعة من الايات تشترك في موضوع واحد ^(١٦))

ان ماسلف يمكن ان يُخلص منه الى نتاج (النظرية القرآنية) المتكاملة وهو امر بالغ الاهمية وبالغ الدقة ضمن متطلبات واحتياجات عصره والحدثة

وفي تداعيات الازمات والوقت - المحنة - والعصر - الفتنة ، طغت فيه الماديات واهتم الانام بالسطحيات وتعلقوا بالقشريات ، كانت الموهبة الرحمانية على يد ارباب السلوك : السيد السبزواري في (مواهب الرحمن) وقد سبقه بالمضمار ذاته الاخلاقي القرآني : السيد الخميني في عدة من رسائله وابحاثه .

الفصل الأول: نزعة التثوير في تفسير السيد الخميني

من خلالها توضحت شخصيته السياسية وقامته الثورية ونظريته الفقهية - السياسية :

أ - الحكومة الاسلامية .

ب - كشف الأسرار

ثالثا : الفقهية :

المكاسب المحرمة

رابعا : الاصولية مثل نتاجاته :

أ - مناهج الوصول الى علم الاصول

ب - تهذيب الاصول

حيث تفاعل مع النص المقدس بعقلية الفقيه وذهنية الاصولي

خامسا : محاضراته الاجتماعية وخطابه السياسي :

اذ تواترت تلك الاحاديث في عموم

جهوده في التفسير

ان استكشف الجهود التفسيرية لسماحته رحمته الله يتجلى في تراثه الخلاق بعد قراءه متأنية :

اولا - تصانيفه الاخلاقية - العرفانية :

أ - الاداب المعنوية للصلاة - آداب الصلاة^(١٧) -

ب - شرح دعاء البهاء - (دعاء السحر)

ت - مصباح الهداية

ث - الاربعون حديثا : وقد عني بشرحه جماعة منهم السيد كمال الحيدري في شرحه لحديث (جهاد النفس)^(١٨) من الكتاب نفسه .

ثانيا : في ابحاثه المعرفية الاخرى والتي

المناسبات فشكلت ثروة ضخمة من المصنفات لا يستهان بها .

سادسا: الوصية التاريخية الالهيه – السياسية

المتجهات التفسيرية في اجائاه القرآنيه

سلفا اتينا على ذكر مصنفات السيد الخميني ونتائجته ومؤلفاته مما ولد انطبعا لدينا عن المنحى التفسيري فكان :

١ - المتجه العقائدي

٢ - المتجه التربوي

٣ - المتجه السياسي - الثوري

٤ - المتجه الثوري - الاجتماعي

ولعلنا لا نجافي الموضوعية ان قلنا: ان تفسير الخميني متعدد الاساليب ومتنوع المناحي وقد مزج كل تلك المتجهات بجذبة العارفين وجنبه الاخلاقيين ولهذا سنركز في مباحثنا على تلك السمة السائدة .

هذه الثقافة القرآنية حدت ببعض الباحثين الى جمع اقوال السيد الخميني في القرآن ومجموع احاديثه القرآنيه في كتاب

بالفارسية اطلق عليه مامعناه: « القرآن باب معرفة الله »^(١٩)

التفسير الاخلاقي، العرفاني توطئة تمهيدية

نحن ندرك مدى الترابطية بين مكونات المنظومة الاسلامية الا وهي :

١ - العقيدة (الفقه الاكبر)^(٢٠)

٢ - الشريعة وتضم :

١ - العبادات

ب - المعاملات وتضم: العقود،

الايقاعات، الاحكام

٣ - الاخلاق (العرفان)^(٢١)

ان المنهج الاخلاقي هو احد المناهج العرفانية في تفسير القرآن ويصطلح عليه :

- التفسير الاشاري

- التفسير الباطني

- التفسير العرفاني

- التفسير الصوفي

- التفسير الشهودي

- التفسير الرمزي^(٢٢)

التطور التاريخي للتفسيرات العرفانية

يرجع تاريخ بعض اقسام التفسير الانشائي كالتفسير الباطني الى صدر الاسلام أي ان جذور هذا المنهج توجد في السنة المعصومية حيث روي عنهم: (ان القرآن له ظاهر وباطن)^(٢٣) وروى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ قال ، قال رسول الله : (وهو الفصل ليس بالهزل له ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم)^(٢٤)

وقبل ذلك ورد في (نهج البلاغة) ما لايسع سرده .

ويذكر ان للامام الصادق عليه السلام كتاب (الهفت الشريف) الذي استوى في احياءاته الروائية واستلالاته الوثوقية في (٦٧) بابا على مامنه راويه وهو (المفضل بن عمر الجعفي) من اعتدال نسبي ووثوق معتبر ، ذلك ان علم الباطن عندهم ممازج ملائم للظاهر ولا اختلاف بينهما البتة وعليه فأن هذا التأويل هو الصحيح للقرآن لأعتماده على حجية الظواهر اولا ولان قصيدة الامام المعصوم امر ثابت بالاحتواء الشمولي للاجزاء أي (جزئي وكلي) وهما ما يقابل

الظاهر والباطن او بمعنى اخر : ان قصديته تمثل قطب الرحى البطوني للتكوين الظهوري ثانيا)^(٢٥)

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده بدأت تظهر اساليب جديدة في التفسير الاخلاقي على يد العرفاء والمتصوفة مما ادى الى تطور المنهج الاخلاقي في التفسير .

الاثار التفسيرية العرفانية

١ - تفسير القرآن العظيم ، التستري (ت ٢٨٣هـ)

٢ - حقائق التفسير ، الازدي السلمي (ت ٤١٢هـ)

٣ - لطائف الاشارات ، القشيري النيشابوري (ت ٤٤٨هـ)

١ - تفسير الانصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)

٢ - كشف الاسرار وعدة الابرار المعروف بـ (تفسير الخواجة عبد الله الانصاري) تأليف الميبيدي : (حيا ٥٣٠هـ)

٣ - تفسير القرآن المنسوب لابن عربي ، الكاشي السمرقندي (٧٣٠هـ)

٤ - عرائس البيان في حقائق القرآن ،
الشيرازي (ت ٦٦٦ هـ)

٥ - التأويلات النجمية ، نجم الدين دايه
(ت ٦٥٤ هـ) وعلاء الدولة السمناني
(ت ٧٣٦ هـ)

٦ - تفسير شاه نعمة الكرمانلي
(ت ٨٣٤ هـ)

٧ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،
النيشابوري / (ق ٨ هـ)^(٢٦)

وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر
بين المفسرين والمحققين والعلماء
والباحثين بالنسبة لهذا الموضوع ومناهجه
يمكن اجمالها كالآتي :

أولاً : الرافضين الى التفسير العرفاني :
راينا بعض المفسرين من ينكر التفسير
العرفاني في الكتاب العزيز بمعنى يرفض
التفسير الاخلاقي ومنهم عميد زنجاني حيث
قسم هذا التفسير الى ثلاثة :

١ - التفسير الرمزي

٢ - التفسير الاشاري

٣ - التفسير الشهودي^(٢٧)

وبخصوص هذا التفسير وهو مرفوضه

بعض المفسرين الاسلاميين ومنهم الشيخ
البلاغي الذي حدد منهجه وميزه من دعاة
الكشفية وارباب الباطنية بقوله : (واما الذين
تهاجموا بأرائهم على تفسير القرآن بما
يسمونه تفسير الباطن ركونا بأرائهم الى
مزاعم المكاشفة والوصول ونزعات التفلسف
او التجدد ..)^(٢٨)

ثانياً : الداعين الى التفصيل فقد انكروا
قسما و اعترفوا بالقسم الصحيح منه وعلى
نحو الاستشهاد لا التعداد :

- السيد محمد حسين الطباطبائي في
تفسيره (الميزان)

- اية الله معرفة في كتابه (التفسير
والمفسرون في ثوبه القشيب)

- الدكتور محمد حسين الذهبي في
كتابه (التفسير والمفسرون)

- خالد عبد الرحمن العك في (اصول
التفسير وقواعده)

ثالثاً : الدعاة الى التفسير الاخلاقي -
العرفاني :

وفي مقدمة أولئك : السيد الخميني -
السيد عبد الاعلى السبزواري والشهيد السيد

محمد محمد صادق الصدر . ومن الصوفية :
التفتازاني وحسن عباس زكي

الكريم شفاء للأمراض الباطنة وهو يعالج كل
مريض بنحو خاص ^(٢٩) .

الشخصية العرفانية للسيد الخميني :

وتتضح مقومات الشخصية العرفانية
لسماحته ﷺ فيما واكبناه من اطروحاته في
التفسير :

اولا : ان قائد الثورة الاسلامية في ايران
ومؤسس جمهوريتها السيد الخميني اذ
يتحدث داعيا الى تفسير القرآن المجيد
تفسيرا اخلاقيا واعتبر ان هناك خلطا بين
التفكير والتدبر وبين الراي :

(الجدير بالعلم ان هذه المعارف بدءا من
المعرفة بالذات وانتهاء بالمعرفة بالافعال
وردت في هذا الكتاب الالهي الجامع بصورة
تتيح لكل طبقة ادراك ما يمكنها منها كما
هو الحال في الايات الواردة في التوحيد مثلا
لاسيما توحيد الافعال فعلماء الظاهر
والمحدثون والفقهاء ﷺ يفسرونها ويشرحونها
عل نحو يختلف ويتباين بصورة كاملة عما
ينتهجه اهل المعرفة وعلماء الباطن من
منحى في تفسيرها وانا - العبد لله - اعتقد
بصحة كلا التفسيرين كل في محله فالقرآن

ثانيا : ويذهب الى ابعد من ذلك حين يقرر
(ومن الحجب الاخرى الحائلة دون
الاستفادة من هذه الصحيفة الالهية
المقدسة الاعتقاد بعدم تجاوز ما كتبه
المفسرون أو فهموه عن القرآن الكريم وفي
هذا الاعتقاد خلط بين التفكير والتدبر في
الايات الكريمة من جهة وبين التفسير بالرأي
المنهي عنه من جهة اخرة وبهذا الرأي
الفاقد والعقيدة الباطلة يجرّد القرآن الكريم
من كافة فنون الافادة ويصبح مهجورا تماما
والحال ان الاستفادة الاخلاقية والايمانية
والعرفانية لا ترتبط بالتفسير اساسا فما بالك
بارتباطها بالتفسير بالرأي ^(٣٠) .

ويعتبر السيد المفسر ان التحول العرفاني
في الفلسفة جاء بفضل المعارف القرآنية التي
تسمو بالانسان من مرحلة الاثبات
والاستدلال الى مرحلة العشق والشهود
والوصال « لولا القرآن لكان باب معرفة الله
مغلقا الى الأبد »

ملامح التثوير في التفسير

العرفان القرآني

أستميح قارئ العزيز عذرا في اسباغ هذا المصطلح ولكن لم اجد بدا من ذلك فالاسلوب القرآني في طرح المعارف قائم على اساس الدمج بين البعد النظري والبعد العملي مباشرة وهذا الاسلوب هو الذي اعتمده السيد الخميني رحمته الله في كتابه الشريف (الأربعون حديثا) اذ دمج بين البحوث النظرية والعملية فيه وبذلك إمتاز عن غيره من الكتب الاعتقادية والفلسفية التي تركز على الجانب النظري دون العملي أي تتعرض لما ينبغي ان يعلم ولا تتعرض لما ينبغي ان يعمل كما امتاز ايضا عن الكتب العملية التي تتعرض للجانب الاخلاقي أي ما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله

فقط تاركة الجانب العقائدي والنظري الى الكتب الأخرى، ولعل هذه الخصوصية الاسلوبية هي السر وراء نجاح هذا الكتاب ^(٣١).

ولعل اروع ما يشار اليه هنا هي مقولته الخالدة: (إنقاذ القرآن من المقابر) كما ورد في وصيته التاريخية السياسية

المصطلح القرآني في تفسيره

حرص السيد الخميني على ان يكون المصطلح القرآني هو الاساس والجوهر لكل خطاب ديني ولم ير ضرورة ولا سببا ان يتشدد عالما بمصطلحات كانت ولا تزال مجهولة التعريف والتحديد، خاصة مصطلح (الديمقراطية) التي تغلفت به مشاريع الاستبداد ^(٣٢).

ويشكل المصطلح القرآني مرنكزا محوريا في ظل خطابه وأكثرت بياناته واليك على سبيل الاستشهاد لا التعداد نماذج تطبيقية:

الاستضعاف & الاستكبار

المستضعفون & المستكبرون

الشورى & الديمقراطية

التزكية & الاستعلاء

الايمان & الكفر ^(٣٣)

ومازلنا ذاكرين الشعار التاريخي: لاشرقية لاغربية جمهورية اسلامية بل تجاوز الامر الى نعت النظام الامريكي بـ (شيطان بزرك) أي (الشیطان الكبير) وهو ما بقي ليومك هذا نعتا صارخا وهي مصطلحات تاريخية (خمينية) بكل ما في هذا المصطلح من

اصل الحكومة الاسلامية الى الوجود الحي في ميدان الممارسة السياسية للسلطة بعد ان تم التنظير لها في متون فقهية اماميه .

ان الولاية المطلقة للفقهاء تستمد شرعيتها من النص الديني القرآني وتتجلى فيه وتاخذ اسباب ارتقاءها من خلاله^(٣٧) .

تثوير المتلقي

لا شك ان الممارسة التفسيرية ذات عناصر ثلاثة هي :

١- التفسير

٢- المفسر

٣- المتلقي

ويبدو لي ان السيد الخميني حاول جاهدا تثوير القواعد الشعبية (المتلقي)^(٣٨) دون الالتفات الى الطبقة النخبوية كما يعبرون وذلك من خلال الحث المؤكد على (المحرومين) و (المستضعفين) لقد ايقن الخميني ان المفهوم الديني - السياسي وهو بطبيعة الحال مفهوم قرآني هو الذي حقق الانتصار على الامبراطوريات القديمة وهزم الاحزاب في بدر واحد والخندق ولا يزال قادرا على هزيمة الجاهلية الجديدة المتقومة

دلالة وظل يردد قرآنية طروحاته : (في ظل القرآن استطاع الاسلام في مدى نصف قرن ان ينتصر على امبراطوريات زمانه ونحن ما دمنا في ظل القرآن فأنا سوف نغلب اعداءنا)^(٣٩)

العرفان الثوري

ان العارف المكتمل هو الذي يعيش الهموم الاجتماعية ويشعر بالمسؤولية والتغييرية السياسية أكثر من غيره وكلما بلغ في مقامات العرفان اكثر كلما شعر بالمعاناة والمسؤولية بصورة اكبر .

ان الحرية هي الهدف النهائي في نظرية الثورة عند السيد الخميني وهي اساسا قاعدة الغاية في الفكر الاسلامي وفي جهود المصلحين ورواد التغيير في الدنيا^(٣٥) وفي ذلك اشار السيد الخامنئي في توصيفه للمنهج الثوري عند السيد الخميني : (ان الامام الخميني سلك الطريق نفسه الذي سلكه رسول الله ﷺ من اجل اعادة الحياة الى الاسلام وهو طريق الثورة)^(٣٦)

والخميني العارف المتأله هو الذي طرح (الحكومة الاسلامية) في النجف بداية الستينات وهو الذي دفع بـ (بولاية الفقيه)

بالنظرة الحيوانية الى الانسان وبالنظرة المادية الى الكون ، والقدرة هذه انما تتأتى للمسلمين فيما لو اقتدوا بالخطاب الالهي واستجابوا لما امر الله ونهى عنه ودعا اليه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال ٢٤]

وقد جزم بضرر قاطع ﷺ في تنظيره وتفعيله للثورة :

(ان سلامة الدين على مستوى العقيدة والشريعة لم تكن بسبب السلطان ومن لاذ به من فقهاء البلاط ولا بسبب المترفين الدين اتخذوا الدين شعارا ودثارا وانما استمر الدين حيا مع العلماء العدول الذين اسسوا للثورة ضد الظلم والظالمين)^(٣٩)

النقد الاجتماعي.السياسي

وهذا من أكثر المباحث طرافة عندي ولعل منشأه هو « شر البلية ما يضحك » إذ ألفت في تفسير السيد الخميني لبعض النصوص المقدسة عين ما نعانیه اليوم في حياتنا الاجتماعية السياسية .

نموذج تطبيقي

في معالجته التفسيرية للنص القرآني المقدس :

﴿ ونبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ [البقرة ١٥٥]

ولقوله تعالى : ﴿ ونبلونكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الانبياء ٣٥]

يذهب السيد في رؤيته ان : الابتلاء بالخير اشد فتنة من الابتلاء بالشر حيث (ان الامتحان بتوفر الامن والمال والثروة والجاه وامثال ذلك لاعظم من الامتحان بنقص الاموال والانفس والاولاد)^(٤٠)

ويعد في نظره : ان المصداق الاكبر للإبتلاء بالخير هو ابتلاء (السلطة) والقيادة والمسؤولية السياسية والاجتماعية فكم لاحظنا من المتصدين كانوا قبل الوصول الى المواقع القيادية يدعون التحرر وحب الانسانية وادعاء الوطنية الخ ولكنهم ما ان وصلوا الى الكرسي حيث يتبليهم الله به حتى تجدهم لا ينجحون بهذا الامتحان بل على عكس ذلك يمارسون الطغيان والاضطهاد وهضم الحقوق وهتك الحرمات

صاحب الكتاب^(٤٢) ويبلغ شاوا سامقا في
اطروحاته هذه

(لذا وجب ان يكون كتاب التفسير كتاباً
عرفانياً اخلاقياً مبنياً للجوانب العرفانية
والاخلاقية وسائر الجوانب الداعية الى
السعادة والمفسر الذي يهمل هذه الجوانب
او يغفل عنها او لا يهتم بها غافل هو عن
اهداف القران والغاية الاساسية من انزال
الكتب وارسال الرسل^(٤٣))

٤ - يرى احد العرفاء المتأخرين والشهداء
الروحانيين (السيد محمد محمد صادق
الصدر عليه السلام) في ان كل باب من ابواب الفقه
وحسب ما سار عليه الفقهاء في تبويباتهم
المنهجية - من الطهارة الى الديات - رأى ان
هناك منهجاً اخلاقياً ولهذا فانه صدر نتاجه
العرفاني (فقه الاخلاق) وأثر عدم اصدار
الجزء الاخير منه لانه لا يتوافق مع
المحتوى الذهني للسواد من الناس فقد لا
تحتمله مداركهم^(٤٤) .

﴿ وادا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد ﴾ [البقرة ٢٠٦]

مناقشة وتعقيب

١ - يقول الشهيد الصدر بما مؤداه: (ان
الفقه والأصول يملآن الفكر ولكنهما
لا يملآن الوجدان والضمير) ثائراً على
التقليديين في المؤسسة الدينية لعدم
تدريسهم العرفان منهجاً للطلبة^(٤٥)

٢ - الكتاب العزيز ليس كتاباً تاريخياً ولا
بكتاب قصصي انه الدستور الالهي في
العروج الى ذاته المقدسة وسلم السلوك الى
ساحة القدس وقد انتهج الى ذلك عدة
اساليب منها: الزجر والتقريع او البشرى ومنه
التلويح او التصريح وكأنه يخاطب الناس على
قدر عقولهم ومنه الترغيب والترهيب .

٣ - يشدد السيد الخميني: (في اعتقادي
انه لم يكتب لحد الان تفسير لكتاب الله
فالمعنى العام للتفسير: هو شرح مقاصد ذلك
الكتاب وتسليط المساحة الاساسية من
الضوء الكاشف على بيان المعنى الذي يريده

الفصل الثاني: منهجية التنوير في التفسير لدى الشهيد الصدر

تمهيد^(٤٥) اجمالاً يمكن لنا تبويب المنظومة المعرفية للشهيد الصدر حسب قربها من التفسير:

- أولاً - الجهود التفسيرية التخصصية
- أ - علوم القرآن
- ب - المدرسة القرآنية
- ت - التفسير الموضوعي - التوحيدي -
- ث - رسالتنا

ثانياً :- الجهود المعرفية ونتاجاته الفكرية الأخرى:

- أ - دروس في علم الأصول - الحلقات -
 - ب - الفتاوى الواضحة - رسالته العملية -
 - ت - اقتصادنا
- تولى فيها السيد المفسر صياغة دراسات قيّمة في علوم القرآن نظير: اسماء القرآن - نزول القرآن - اسباب النزول - المكي والمدني - ثبوت النص القرآني وغير ذلك كثير وخصص حيزاً واسعاً الى التفسير

علوم القرآن

(٤٦)

والمفسرين .

ومن الارهاصات التنويرية في هذا الأثر المبارك :

١ - فند الرأي السائد عند الأصوليين :
(المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ لا يكون تفسيرا)^(٤٧) وذهب الى ان ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيرا ايضا واطهارا لأمر خفي كما انه - في بعض الحالات الأخرى - قد لا يكون تفسيرا لانه يفقد عنصر الخفاء والغموض^(٤٨) .

٢ - ميز بين التفسير والتأويل في محاولة جريئة يقدم السيد على ايضاح (التأويل) :
« المعنى الذي يناسب تلك الآيات هو ان يكون المراد بتأويل الشئ هو ما يؤول اليه وينتهي اليه في الخارج والحقيقة كما تدل عليه الكلمة نفسها ولهذا اضيف التأويل الى الرد الى الله والرسول تارة والى الكتاب اخرى والى الرؤيا والى الوزن بالقسطاس^(٤٩) المستقيم » .

وقبل هذا حدد السيد تفسيرين :

أ - تفسير اللفظ

ب - تفسير المعنى

« وعلى هذا الأساس يكون معنى التأويل في هذه الآية هو ما أطلقنا عليه اسم تفسير المعنى^(٥٠) » .

المدرسة القرآنية - التفسير الموضوعي -

اعتقد الشهيد الصدر ان المرجعية تفتقر الى الكثير من وسائل واساليب الصلة بالأمة ولا توجد للناس صلة بالمرجع الا من خلال قنوات ضعيفة كصلاة الجماعة أو الجلسة العامة اليومية وهي قنوات غير فعالة وغير مؤثرة ومن هنا وجد فكرة (التفسير الموضوعي) تحقق هدفين :

الأول : كتابة تفسير موضوعي

على طراز فريد وجديد

الثاني : ايجاد منبر للمرجع يمكن من خلاله بيان وجهات نظره للأمة فيلغي المحاضرة التفسيرية ليتحدث عن أي حدث او امر من الأمور الحساسة فيبين موقف المرجعية منها ولهذا يعتقد بعض الباحثين ان هدف السيد " رض " لم يكن علميا وانما اراد ان يبعث رسائل سياسية الى السلطة عبر الحديث عن التسلط الفرعوني على المجتمع وقد شرع في ذلك فعلا يوم الثلاثاء

١٧/٤/١٩٧٩م الفترة الملتهبة - في مسجد الشيخ الطوسي الساعة العاشرة من يومي الثلاثاء والاربعاء من كل اسبوع وقد بلغ الحضور كما عظيمًا لم تألفه ابحاث الفقهاء في النجف الأشرف ولا تعجب من هلع السلطة الغاشمة يومذاك اذا سمعت أو قرأت: (التسلط الفرعوني) واستمرت لسبع اسابيع وفي آخر محاضرة او المحاضرة الثالثة تحدث في الأخلاق وذم الدنيا التي اصطلح عليها (دنيا هارون) والتي ذهبت مثلاً ، ونعى نفسه فبكى وأبكى الحضور وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً^(٥١) .

التنظير في التفسير

إن التركيب الادائي للقران في مفرداته وعباراته وافكاره فالقرآن وحده موضوعية مترابطة غير قابلة للانقسام شكلاً ومضموناً .

ومن المنجز الانفرادي عند الشهيد المفسر هو: الهيكلية النظرية Structure في كل المنظومة المعرفية عنده وكانت الارهاصات التأسيسية وبيان أصول منهج التأصيل النظري في: اقتصادنا وفي المصارف وفي تفسير القران والفقہ السياسي والتاريخ ونظرية المعرفة باعتبارها سمة

حضارية واسلوباً حدثياً في البحث العلمي^(٥٢) إذ ان منهج التأصيل النظري سمة مميزة لتفكير الصدر وكيف أن آثاره تعبر عن محاولات منهجية معمقة لتأصيل نظرية اسلامية في كل حقل من حقول المعرفة الانسانية التي اهتم بالكتابة فيها وأنه كان ينتقل من (الواقع الى فقه النص) بمعنى أنه كان يستعين في تحليل مدلولات النص على ضوء معطيات الواقع ونتائج التجربة البشرية عليه وقد شدد الصدر على ضرورة أن يتوغل الاتجاه النظري الموضوعي في عملية الاستنباط وأهمية الوصول الى النظريات الاساسية في الفقه وعدم الاكتفاء بالبناءات العلوية وبالتشريعات التفصيلية (لان كل مجموعة من التشريعات في كل باب من أبواب الحياة ترتبط بنظريات أساسية)^(٥٣) برزت دراسات عدة وظهرت

كتابات معمقة حول (التفسير التوحيدي - الموضوعي) وبودي ان الفت نظر القارئ العزيز الى اثار متطورة واستثناءات ملهمة في اطروحة التفسير هذه :

أولاً: اكتشاف النظرية الاسلامية القرآنية ازاء مفهوم او مشكلة او ظاهرة وسوف لانجد ذلك في التفسير التجزيئي بطبيعة الحال

رابعا: الحوار مع القرآن ، اسلوبه ﷺ في التفسير التوحيدي ولهذا فهو ينص : " (عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له وليست مجرد استجابة سلبية ، تقف عند حدود الاستماع الى النص المفرد - بل استجابة فعلية وتوظيفا هادفا للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى)^(٥٦) وقد توج ذلك المنهج الاستنطاقي مع القرآن الى^(٥٧) كتابته حول السنن التاريخية وكذا حول (خلافة الانسان وشهادة الانبياء)^(٥٨) والسيد المفسر في توصيفه للتفسير التوحيدي يذكر : « بوصفه يوحد بين التجربة البشرية وبين القرآن المجيد »^(٥٩) وقد انتقد الصدر من هذا الموقع الشمولي الطريقة الاتاريخية في التفسير الطريقة السكونية الناتجة عن التفسير التجزيئي محاولا استخراج قوانين التاريخ كما ينص د . اللاوي في (فلسفة الصدر) .

خامسا : في تنويره وفي تنويره من خلال هذا التفسير ، اضاف الصدر الشهيد مرتكزين مهمين نحو تجديد تفسيري هما :

الأول : التجربة البشرية حيث (يستوعب ما أثارته تجارب الفكر الانساني حول الموضوع محل البحث من مشاكل وما قدمه

وهنا يقرر الشهيد « فلم يكن بإمكان تفسير يقف عند حدود المأثور من الروايات عن الرسول ﷺ والأئمة ﷺ والصحابة والتابعين تلك الروايات التي كانت تثيرها استفهامات عقلية على الأغلب من قبل السائلين ، ان يتقدم خطوة اخرى وان يحاول تركيب مدلولات القرآن والمقارنة بينها واستخراج النظرية من وراء هذه المدلولات اللفظية »^(٥٤)

ثانيا : طرح المفسر الصدر البديل الاسلامي عن طريق تحديد معالم العقلانية خارج الرؤيا الوضعية وخارج النزعة العلمية وقد تم كل هذا انطلاقا من التفسير الموضوعي^(٥٥) .

ثالثا : ان المنهجية التفسيرية التي ارسل دعاماتها الشهيد الصدر جزء من منهج جديد في دراسة الشريعة ككل ، منهج وضع اطاره النظري ومارس بعض تطبيقاته ليبق الباب مفتوحا امام الدارسين والمفكرين والباحثين ويستشف البحث القاصر هنا ان هذه المنهجية ترتقي الى فضاءات (ما وراء القرآن) لو صح المصطلح فهي تواقة الى التماس مع : المفاهيم / التدبر الفعلي / حاكمية القرآن / روح القرآن / المكنون الثوري والمقاصد الواقعية .

* ظاهرة التداول في الحياة الاقتصادية
٢. فيما يرتبط بنظرية ملء الفراغ
المشهوره عنه عليه السلام: (فالشرع هو الذي اوجد
منطقة الفراغ وهو الذي اجاز للمجتهدين
ملؤها بحسب نوع التطور وحسب الظروف
لقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

٣. ومما يجدر ذكره ان الشهيد الصدر
كان يرى: « ان الرؤيا الشاملة التي تنتج عنها
النصوص التشريعية مقدمة على حجية
التطبيقات التاريخية » ^(٦٣)

٤. وفي مفصل استثنائي عقد بحثا حول
« التفسير الخلفي للملكية في الاسلام » كان
محوره (الاخلاق القرآنية) وابتغى من ذلك
« الاخلاق والتصورات المعنوية التي رسمها
الاسلام عن الملكية ودورها واهدافها لتصبح
قوى موجهة للسلوك ومؤثرة على تصرفات
الافراد » ^(٦٤).

فللمذهب الاقتصادي الاسلامي صفتان
هما: الواقعية والاخلاقية.

٥. لقد تعدى ذلك الى الصياغة المنهجية
في تراثه الايدلوجي:
أ - فقه النظرية

الفكر الانساني من حلول وما طرحه التطبيق
التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ لي طرح
بعد ذلك بين يدي النص موضوعا جاهزا
مشربا بعدد كبير من الافكار والمواقف
البشرية ^(٦٥).

— الثاني: التأسيس في نظرية
(المفاهيم) وقد عني بالمفهوم: « كل تصور
اسلامي يفسر واقعا كونيا او اجتماعيا او
تشريعيا » ^(٦٦) وهي صياغة تأصيلية في
تخطيطه لبناء (النظرية) وفي فهم الشريعة
ككل.

جهوده التفسيرية التنويرية في منجزه المعرفي (اقتصادنا)

تطرقنا في مباحث متقدمة ان اقتصادنا -
احتوى على تداخلات قرآنية ورؤى تفسيرية
لشهادة الصدر أورد بانتقائية بعضا منها:

١. من الأمثلة الحية على الممارسات
التطبيقية لـ (المفاهيم) ما بلوره الصدر في
(اقتصادنا) عند اكتشافه للمذهب
الاقتصادي الاسلامي:

* مفهوم الملكية في الاسلام
والاستخلاف ^(٦٧)

ب - أهل البيت تعدد أدوار ووحدة هدف^(٦٥)

ان تجميع الاحكام الجزئية وتنظيم مشتركاته وصولا الى حكم كلي ثم تجميع الاحكام الكلية وصولا الى هيكل النظام واخيرا استكمال النظرية مثل :

* النظرية الاقتصادية الاسلامية .

* النظرية الاجتماعية الاسلامية .

* فقه الدولة^(٦٦) .

وساكتفي بهذا العرض المقتضب تاركا التفاصيل البحثية لمناسبة اخرى فالعنوان اكبر من ان تحيط به دراسة او يحتويه مبحث .

الخاتمة ومستخلصات الدراسة

خاتمة الدراسة هذه مسك بنتائج عدة نجملها حسب المتتاليات :

١ - شكواهما المريرة من هجر القرآن في المؤسسة الدينية والحوزة العلمية وقد اعتبر الصدر المنهج التجزيئي التقليدي « يساهم في اعاقه الفكر الاسلامي القراني من النمو والتكامل » بينما يصرح الخميني : « يا حسرة على اعراضنا عن القرآن الكريم واشاحتنا

نظر التدبر والتعلم عن هذا الذكر الحكيم »

٢ - لم يصدر رحمهما الله مدونة تفسيرية أو موسوعة قرآنية وعليه نعقد تساؤلا مهما كيف يمكن ان يتصدر السيد ان ثلة المفسرين الحركيين وكان الجواب بالايجاب والاثبات .

٣ - رصد البحث الدرس التفسيري للشهيد الصدر في جهوده القرآنية التخصصية مثل : علوم القرآن ، المدرسة القرآنية ، المدرسة الاسلامية ، رسالتنا .

وفي منجزه المعرفي وابتكاراته الفكرية : اقتصادنا ، الاسلام يقود الحياة ، الفتاوى الواضحة .

٤ - استكشفت الدراسة المتواضعة البحث القرآني عند السيد الخميني في ثنايا :

أ - مؤلفاته العرفانية .

ب - السياسية والفقهية السياسية

ج - النتاجات الفقهية د - مصنفاته الاصولية

هـ - في وصيته التاريخية واحاديثه .

٥ - الارهاصات التنويرية والاطروحات التنويرية تكمن في المرتكزات :

أولاً: تثوير النص وعقلنة التراث.

رأى ثاقب فيهما.

ثانياً: تحديث المنهج method

ثالثاً: تثوير المتلقي و (القواعد الجماهيرية) راديكالياً.

٦ - تفسير الشهيد الصدر تفسير (مفاهيمي) والمفهوم عنده ﷺ: «كل تصور يفسر واقعاً كونياً أو اجتماعياً» ويميل البحث إلى أنه شبيه بنظرية (المقاصد الفقيهية) التي أعلنها الشاطبي (ق ٨هـ)

٧ - تفسير السيد الخميني تفسير (أخلاقي - عرفاني) والتوصيف الجوهرية بتعبيره ﷺ: (لذا وجب أن يكون كتاب التفسير كتاباً عرفانياً أخلاقياً مبيناً للجوانب العرفانية والأخلاقية وسائر الجوانب الداعية إلى السعادة وكان ﷺ من أصلب المدافعين عن الأسلوب العرفاني).

٨ - المستضعفون، الاستكبار العالمي، لا شرقية لا غربية والشيطان الأكبر: مصطلحات وأكباها عرف بها السيد الخميني وكانت لصيقة بثقافته.

٩ - السيد الصدر يهتم بمسألة (المصطلح) والمصطلح القرآني خصوصاً فهو يميز ويفرق بين التفسير والتأويل وله

١٠ - (النظرية القرآنية) من ابتكاراته الفكرية الأكثر أصالة حيث يثور المنهج التفسيري من خلال متبنياته في التفسير (التوحيدي - الموضوعي) وللبحث وقفات استثنائية مع هذا المشروع القرآني الناهض.

١١ - من طرائق التغييرية الإصلاحية في الجهد التفسيري عند الشهيد الصدر هو البعد الاجتماعي حيث رام من التفسير التوحيدي "منبراً للمرجع يتمكن من خلاله بيان وجهة نظره للأمة في أي موضوع يشاء" وقد نحى نفس الأسلوبية في أبحاث له أخرى مثل "أهل البيت تعدد أدوار ووحدية هدف" والتي تأثر بها المبرزون من الفقهاء.

١٢ - من سمات المقارنة compare: ذلك الموقف الشجي والرؤية التراجدية تجاه التفاصيل الحياتية تتجلى فيها روحانية العرفاء إذ يصطلح عليها الشهيد الصدر (دنيا هارون) والتي ذهب مثلاً ويطلق عليها السيد الخامنئي (الابتلاء بالخير) تأوها من خلال ثنائيا تفسيريهما.

١٣ - مآدبة الله (القرآن العزيز) عليها التقى السيدان فكان زادهما: تغيير، ثورة،

اصلاح، إنقلاب، دعوة، دولة وظلت في العراق مجرد (دعوة) واصبحت في ايران بعد لأي من الدهر (دولة) نُظر لأحد فصولها الشهيد الصدر.

﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

المصادر:

- وخير ما ابتدئ به القرآن الكريم
- ١ - مجلة فقه اهل البيت العدد ٣٥ السنة التاسعة
- ٢ - لسان العرب: ابن منظور
- ٣ - علوم القرآن: الشهيد محمد باقر الصدر، ط ٤ المجمع العالمي لاهل البيت ١٤٢٥ هجري قمري
- ٤ - الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي ط ٣، مؤسسة الاعلمي بيروت لبنان
- ٥ - حضارة العراق - علوم القرآن الكريم: مجموعة باحثين، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ ج ٧
- ٦ - المدرسة الاسلامية: الشهيد محمد باقر

- الصدر، ط ٢ دار التعارف بيروت
- ٧ - مقدمة في اصول التفسير: احمد ابن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تح: د. عدنان زرزور، مطابع دار القلم ط ١ بيروت
- ٨ - التفسير الحديث: محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٠ هـ) دار احياء الكتب العربية ١٩٦٢ م
- ٩ - المنهج البنائي او العضوي: د. محمود البستاني، مقال في قضايا اسلامية العدد، ٢ مطبعة اهل البيت (ع) قم المقدسة ١٤١٩ هـ
- ١٠ - منة المنان في الدفاع عن القرآن: الشهيد محمد الصدر، مطبعة دار النجوى بيروت

- ١١ - محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق: محمد الحسيني، دار المحجة البيضاء ٢٠٠٥ م
- ١٢ - محاضرات في التفسير الموضوعي: الشهيد الصدر، تسجيلات صوتية
- ١٣ - التربية الروحية: كمال الحيدري، دار فراق المطبعة ستارة ١٤٣٢ هـ
- ١٤ - منهجية الكليني في الكافي: علي محمود البعاج، المجلد الاول مركز بحوث دار الحديث ١٤٢٩ ق ايران الاسلامية
- ١٥ - دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية: محمد علي رضائي الاصفهاني، تعريب قاسم البيضاني مركز المنشورات العالمي للدراسات الاسلامية المطبعة صدف
- ١٦ - القصيدة الراسخة عند الامام

- الصادق عليه السلام: د. مشكور العوادي، بحث في المؤتمر العلمي الدولي الخامس كلية الفقه جامعة الكوفة طبع شركة المارد العالمية النجف الاشرف
- ١٧ - التفسير والمفسرون: محمد هادي معرفة، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية مشهد المقدسة ١٤٠٩هـ
- ١٨ - مقاربات في الدرس القراني عند الشيخ البلاغي: مقالات فارسي وعربي كنكرة بين المللي ١٣٨٦هـ ق
- ١٩ - اداب الصلاة: السيد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ط ٢ ١٤١٩هـ
- ٢٠ - الوصية العبادية السياسية التاريخية: السيد الخميني
- ٢١ - الخميني وحياء الخطاب الديني: فرح محمد موسى مقال في مجلة الهدى، مركز الهدى العدد ١٠ السنة الثالثة
- ٢٢ - الفكر الثوري للامام الخميني: عمار البغدادي اصدارات مركز الهدى للدراسات الحوزوية العدد ١٠ ٢٠٠٨ م
- ٢٣ - حديث الشمس: السيد الخامنئي، وزارة الثقافة والارشاد الايرانية - طهران ترجمة رعد جبارة
- ٢٤ - الحومة الاسلامية: السيد الخميني
- ٢٥ - الامام الخميني مفسرا: عبد السلام زين العابدين مقال في قضايا اسلامية العدد الثاني ١٩٩٥م
- ٢٦ - مشروع التحدي الحضاري: علي محمود البعاج، دار الضياء للطباعة والنشر النجف الاشرف ٢٠٠٧
- ٢٧ - متشابه القرآن الكريم دراسة في مستويات الفهم (رسالة دكتوراه): سعد وحيد عيسى، جامعة البصرة ٢٠١٠م
- ٢٨ - المحنة وحب الدنيا: الشهيد محمد باقر الصدر، مستل من التفسير الموضوعي، نشر وتوزيع مكتبة السيد الشهيد الصدر النجف الاشرف
- ٢٩ - موسوعة محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق: احمد عبد الله ابو زيد، ج ٤ مؤسسة العارف، بيروت ط ١، ٢٠٠٧م
- ٣٠ - درس التفسير الموضوعي الدوافع والمخاضات: عبد السلام زين العابدين، مقال في المرفا العدد ٥ ربيع الثاني
- ٣١ - الامام الشهيد الصدر من فقه النص الى فقه النظرية: عبد السلام زين العابدين - دراسة في الندوة الاولى عن فكر الشهيد الصدر ١٩٩٤م قم المقدسة
- ٣٢ - منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي: عبد الجبار الرفاعي
- ٣٣ - الامام محمد باقر الصدر مفسرا: صائب عبد الحميد - مقال في قضايا اسلامية
- ٣٤ - فقه النظرية عند الشهيد الصدر: باقر بري، مستل من الماجستير - سلسلة قضايا

- اسلامية معاصرة الكتاب الثلاثون قم المقدسة ٢٠٠٢م
- ٢٠٠١م ٣٧ - الدروس العظيمة من مسيرة اهل البيت : السيد الخامنئي
- ٣٥ - فلسفة الصدر ، دراسات في المدرسة الفكرية للإمام الشهيد محمد باقر الصدر : د. محمد عبد اللاوي ، مؤسسة دار الاسلام ١٩٩٩م مطبعة الصدر ط ١
- ٣٦ - اقتصادنا : الشهيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي قم المقدسة
- ٣٨ - محمد باقر الصدر ، المؤسس والمجدد : المؤتمر العلمي السنوي الاول في النجف الاشرف ، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت ٢٠٠٧م

الهوامش:

- ١ - السيد الخامنئي : مجلة فقه اهل البيت ص ١٥٥ العدد ٣٥ السنة التاسعة ، ايران ٢٠٠٤
- ٢ - ابن منظور : لسان العرب مادة فسر ، الشهيد الصدر : علوم القرآن ص ٢١٧ ط ٤ المجمع العالمي لاهل البيت ١٤٢٥هـ . ق وقارن في هذا المعنى ما ذكره السيد الطباطبائي من تعريف في الميزان ، المقدمة ج ١ ص ٤ ط ٣ مؤسسة الاعلمي بيروت ، لبنان ١٩٧٤ م
- ٣ - الفرقان ٣٣
- ٤ - السيد الشهيد محمد باقر الصدر : علوم القرآن ، مقررات تدريسية لطلبة كلية اصول الدين ببغداد ، وقد أتمها محمد باقر الحكيم ببعض المباحث ، ط : كتاب
- ٥ - علوم القرآن (مصدر سابق)
- ٦ - د . أحمد الجنابي : علوم القرآن الكريم ، كتاب حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ ج ٧ ص ٥٢
- ٧ - السيد الشهيد محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية ط ٢ دار التعارف .
- ٨ - التفسير البياني للدكتورة بنت الشاطئ
- ٩ - الدر المنثور للسيوطي والبرهان للبحراني
- ١٠ - ابن تيمية : احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) : مقدمة في اصول التفسير تح د . عدنان زررور ، مطابع دار القلم ط ١ بيروت ١٩٧١م
- ١١ - انظر محمد عزة دروزة ، التفسير الحديث دار احياء الكتب العربية ١٩٦٢م
- ١٢ - محمود البستاني : المنهج البناني او العضوي ، ص ١٥ مقال في قضايا اسلامية العدد الثاني ١٤١٩ هـ مطبعة أهل البيت قم .
- ١٣ - السيد الشهيد محمد الصدر : منة المنان في الدفاع عن القرآن ج ١ ص ٢٥ مطبعة دار النجوى بيروت
- ١٤ - السيد الشهيد محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية ص ٨ دار المعارف

- ١٥ - محمد الحسيني : محمد باقر الصدر حياة حافلة فكر خلاق دار المحجة البيضاء\ ص ٥٨٧ ط ٢٠٠٥ وهي دراسة قيمة جديرة بالاهتمام
- ١٦ - السيد الشهيد محمد باقر الصدر المدرسة الاسلامية ص ٢٨ (علوم القرآن) الاشرطة الصوتية محاضرات في التفسير الموضوعي النجف عام ١٩٧٩
- ١٧ - معالجة تفسيرية لنصوص مقدسة في ثانيا هذا الكتاب - سور قصار - وهي : سورة الفاتحة ، التوحيد والقدرة .
- ١٨ - كمال الحيدري : التربية الروحية ، الناشر دار فراق ، المطبعة ستارة سنة الطبع ١٤٣٢هـ ، ٢٠٠٣م ص ٢٦ ، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية : الاخلاق من (الاربعون حديثا) ط ١ ، ٢٠٠٢م اعداد ونشر جمعية المعارف الثقافية الاسلامية
- ١٩ - مؤسسة الرسول الاعظم : قضايا اسلامية ص ٣٩٠ العدد الثاني : مطبعة اهل البيت ع قم المقدسة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥ م
- ٢٠ - علي محمود البعاج : منهجية الكليني في الكافي ، بحث منشور في مقالات المؤتمر الدولي للشيخ ثقة الاسلام الكليني ص ١٠٧ المجلد الاول مركز بحوث دار الحديث ، ١٤٢٩ق
- ٢١ - م . ن
- ٢٢ - محمد علي رضائي الاصفهاني : دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، تعريب قاسم البيضاني ، المطبعة صدف ، الناشر ، مركز المنشورات العالمي للدراسات الاسلامية ص ١٩٢ - ٢١٧ ط ١٣٣٨ ش
- ٢٣ - المجلسي : بحار الانوار ج ١٥ ص ٩٢
- ٢٤ - الكليني : اصول الكافي ص ٥٩٨ ج ٢ كتاب فض القرآن
- ٢٥ - د . مشكور كاظم العوادى : القصيدة الراسخة عند الامام الصادق (عليه السلام) (تأويل القرآن في كتابه : الهفت الشريف نموذجا) ص ٢٧ - ٢٨ بحوث المؤتمر العلمي الدولي الخامس كلية الفقه جامعة الكوفة طبع شركة المارد العالمية ، النجف الاشرف
- ٢٦ - محمد علي رضائي الاصفهاني : دروس في المناهج (مصدر سابق) ص ٢١٧ ، وانظر اجمالا ، اية الله محمد هادي معرفة : التفسير والمفسرون ج ٢ ، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية - مشهد المقدسة ١٤٠٩هـ ، د . سيد رضا مؤدب : روشهاي تفسيرات القرآن منشورات اشراق ، قم ١٣٨٠ ش
- ٢٧ - عميد زنجاني : مباني وروشهاي تفسير القرآن ، ص ٣١٦
- ٢٨ - علي محمود البعاج : مقاربات في الدرس القرآني عند الشيخ البلاغي ، من مقالات المؤتمر العالمي لتكريم الشيخ البلاغي - دفتر تبليغات حوزة علمية ، قم مقالات فارسي وعربي كنكره بين المللي علامة بلاغي : ناشر بزوهشكاه علوم وفرهنگ اسلامي ص ٨٩ ، ١٣٨٦ هـ . ق
- ٢٩ - السيد الخميني : اداب الصلاة ، ص ٢٧٤ ط ٢ الناشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني - الشؤون

الدولية ١٤١٩هـ

- ٣٠ - م . ن : ص ٣٤٣ ، قضايا اسلامية : ص ٤٣٠ مقال لعبد السلام زين العابدين
- ٣١ - كمال الحيدري التربية الروحية ص ٣٨ (مصدر سابق)
- ٣٢ - فرح محمد موسى : الخميني واحياء الخطاب الديني - مقال في مجلة الهدى - مركز الهدى للدراسات الحوزوية العدد ١٠ السنة الثالثة ١٤٣٠هـ ص ٩٢
- ٣٣ - ان توثيق ذلك يكمن في مواكبتنا لأحدثه ومعايشتنا لخطاباته
- ٣٤ - نقلا عن فرج موسى : مقال في مجلة الهدى (مصدر سابق)
- ٣٥ - عمار البغدادى : الفكر الثوري للأمام الخميني - سلسلة اصدارات مركز الهدى للدراسات الحوزوية العدد ١٠ سنة ٢٠٠٨م
- ٣٦ - السيد الخامنئي : حديث الشمس - وزارة الثقافة والارشاد الايرانية ، طهران ترجمة رعد جبارة ، ص ١٠٤
- ٣٧ - عمار البغدادى : نفس المصدر السابق ص ٥٧
- ٣٨ - وقد عايشنا فعل التسجيلات الصوتية ابانة بواكير الثورة الاسلامية ، ١٩٧٩م
- ٣٩ - السيد الخميني : الحكومة الاسلامية ص ١٧٢ دروس فقهية في النجف الاشرف عام ١٣٨٩هـ .
- ٤٠ - السيد الخميني : الآداب المعنوية ، مصدر سابق ، عبد السلام زين العابدين : الامام الخميني مفسرا - مقال في قضايا اسلامية ص ٤٠٦ العدد الثاني ١٩٩٥م
- ٤١ - علي محمود البعاج : مشروع التحدي الحضاري عند الشهيد محمد باقر الصدر ص ٦٧ ، دار الضياء للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ٢٠٠٧م
- ٤٢ - السيد الخميني ﷺ : آداب الصلاة ، مصدر سابق ٢٨٤ - ٢٨٥
- ٤٣ - م . ن
- ٤٤ - الشهيد محمد محمد صادق الصدر : فقه الاخلاق ج ١ المقدمة
- ٤٥ - من دواعي الفخر ومبعث الاعتزاز ان تكون هذه الاسطر متزامنة مع ولادته الشريفة يوم دحو الارض
- ٤٦ - من ص ٢١٧ - الى ص ٣٤٠
- ٤٧ - محمد باقر الصدر : علوم القرآن ص ٢١٨
- ٤٨ - م . ن ، ص ٢١٨
- ٤٩ - م . ن ص ٢٣٠ ، رسالة دكتوراه (متشابه القران الكريم - دراسة في مستويات الفهم) ، جامعة البصرة ، سعد وحيد عيسى ص ٢٦ ، ٢٠١٠م
- ٥٠ - م . ن ص ٢٣٠ ، متشابه القرآن الكريم
- ٥١ - الشهيد محمد باقر الصدر : المحنة وحب الدنيا ، مستل في الاخلاق ، نشر وتوزيع مكتبة الشهيد الصدر ، النجف الاشرف تَترجمُ احمد عبد الله ابو زيد : موسوعة محمد باقر الصدر السيرة و المسيرة ج ٤ ص ٨٤ - ٨٩

- مؤسسة العارف بيروت ٢٠٠٧ ط ١ ، علي محمود البعاج : مشروع التحدي الحضاري ص ٩٣ - ٩٦ ، عبد السلام زين العابدين : درس التفسير الموضوعي . ، الدوافع والمخاضات ، مقال في المرفأ العدد ٥ ، ربيع الثاني ١٤٤٨هـ ص ١٦
- ٥٢ - عبد السلام زين العابدين : الامام الشهيد الصدر من فقه النص الى فقه النظرية - دراسة في الندوة الاولى عن فكر الشهيد الصدر قم المقدسة ١٩٩٤
- ٥٣ - الشهيد الصدر : المدرسة القرآنية ، عبد الجبار الرفاعي : منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي ، باقر بري : فقه النظرية عند الشهيد الصدر ، الكتاب ٣٠ ، ٢٠٠١م قم ، باقر بري : فقه النظرية عند الشهيد الصدر ، سلسلة قضايا اسلامية معاصرة الكتاب ٣٠ ، ٢٠٠١م
- ٥٤ - صائب عبد الحميد : الامام محمد باقر الصدر مفسرا - قضايا اسلامية (المدرسة القرآنية) - مصدر سابق ص ٣٥
- ٥٥ - د . محمد عبد اللاوي : فلسفة الصدر ، ط ١ ، مؤسسة دار الاسلام ١٩٩٩م ص ٢٢
- ٥٦ - محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ص ٣٥
- ٥٧ - د . محمد عبد اللاوي : فلسفة الصدر (مصدر سابق)
- ٥٨ - علي محمود البعاج : مشروع التحدي ص ٧٥ - ٩٦
- ٥٩ - محمد باقر الصدر : المدرسة القرآنية ص ٣٤ - ٣٥
- ٦٠ - المدرسة القرآنية : ص ٣٤
- ٦١ - م . ن ص ٣٤ - ٣٥
- ٦٢ - م . ن : ص ٤٢٣
- ٦٣ - محمد باقر الصدر : اقتصادنا - مؤسسة دار الكتاب الاسلامي - قم المقدسة ٢٠٠٢م ، ص ٧٢٥
- ٦٤ - الشهيد محمد باقر الصدر المدرسة القرآنية : ص ٥٦٣
- ٦٥ - من المتأثرين بهذه النظرية سماحة السيد الخامنئي حيث يذكر : (على الرغم من الاختلاف الظاهر بين سيرهم حتى ان البعض ليشعر بالاختلاف الشاسع والتناقض الا انها عبارة عن مسيرة واحدة وحياة واحدة) نقلا عن الدروس العظيمة من مسيرة اهل البيت ص ١٤٤
- ٦٦ - المؤتمر العلمي السنوي الاول : محمد باقر الصدر ، المؤسس والمجدد ص ١٢٠ ، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت ٢٠٠٧م

الأستاذ حسين محمد
باحث وكاتب من العراق

المنهج المعرفي للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر عليه السلام في ضوء المناهج المعرفية الإسلامية

تمهيد

قبل الدخول في بيان مفردات البحث الذي يهتم ببيان المنهج المعرفي للسيد محمد محمد صادق الصدر - قد - في ضوء المناهج المعرفية الإسلامية، نظرا لما لهذا النوع من البحوث من أهمية بالغة خاصة خلال هذه الفترة من حياة الفكر الإسلامي المعاصر، ذلك إن هذا الفكر بقي ولفترات طويلة منذ عصر النهضة الإسلامية المعاصرة وإلى اليوم متأثرا بالفلسفات الغربية التي تحاول بعض الأوساط التي تحسب نفسها حارسا عليه أن تجعل منه تابعا لتلك الرؤى والنظريات التي تنتقل بين النسبية والبراغماتية والفردانية لتشكّل حلقة غربية وشاذة في سلسلة تطور الفكر الإسلامي بشكل عام.

ومن هنا يمكن أن نتقدم خطوة أخرى نحو فهم المناهج المعرفية التي ابتنت عليها المنظومات التشريعية والأخلاقية والاقتصادية الإسلامية، ومقارنتها ولو بصورة مجتزئة مع الواقع الذي تعيشه أوروبا بفعل فلسفاتها الحياتية، ليتضح بعد ذلك :



أولاً: المنهج المتبع في جعل تلك المنظومات المعرفية الإسلامية فاعلة في الوسط الاجتماعي.

ثانياً: والتي يمكن من خلالها تسمية المناهج المعاصرة على ضوء هذه الثوابت الإسلامية.

ثالثاً: وكذلك فرز ما يمكن أن نسميه بـ (المناهج المعرفية الدخيلة) التي تحاول أن تنتمي بصورة أو بأخرى إلى المنظومة الفكرية الإسلامية بدعوى الحداثة والمعاصرة.

ولأن السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر - قد - كان من المفكرين القلائل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري الذين تميزت نتاجهم الفلسفي والفقهية والأخلاقي والفكري بصورة عامة بأنها تنتمي إلى منهج معرفي بعينه، يتمثل فيها الفكر الإسلامي المعاصر بصيغ حضارية متطورة عما سبقها بصورة تجعل من هذا الفكر قابلاً للتمييز في خضم الأفكار والنظريات الحداثية التي تسعى للنيل من الفكر الإسلامي ووسمه بالتخلف والجمود، فما كان من هذه الثلة من علماء الأمة إلا أن

تُظهر مكنونات المناهج المعرفية الإسلامية بتراتبية ومنهجية عجزت معها الفلسفة الغربية الحديثة من الصمود أمام مبتنياتها.

ولأجل الدخول في مبدأ البحث لا بد من مقدمات تتضح معها الفكرة الأساسية للبحث وكذلك تعتبر كمقدمات ضرورية للوقوف على غاية البحث ومداركه، وكذلك هي تعبير عن جانب مهم من تاريخ المعرفة الإسلامية وتطورها، فلا يعود لبعض المتشدين بمسميات الفلسفة الغربية أي اعتبار بعد انكشاف أسس النظريات والفلسفات الإسلامية، فنبدأ بـ.

المقدمة الأولى: أهمية الدليل العقلي

اتفق علماء المسلمين - إلا من شذ منهم - على حجية الدليل العقلي في إثبات الحقائق الوجودية، سواء ماتعلق منها بعالم المادة والطبيعة، أو ماتعلق وارتبط بعالم ماوراء الطبيعة والمادة، لأن (الاحكام ليست كلها معلومة لكل احد بالعلم الضروري بل يحتاج اكثرها لإثباتها الى اعمال النظر واقامة الدليل)^(١)، وقد كسب علماء المسلمين قدم السبق في مضمار استخدام الأدلة العقلية في إثبات تلك الحقائق

العقلي في مقام إثبات الحقائق الوجودية ومنها أكيدا الحقائق والأصول الدينية، وان اختلفوا في طرق الكشف عن تلك الحقائق، هذا فضلا عن تفاوت قدرات الفلاسفة وانعكاس ذلك على إمكانياتهم في مقامي الكشف والإثبات.

ومن خلال هذا البيان يتضح دور المنهج المعرفي أو (نظرية المعرفة) في مقام الكشف عن حقيقة الرؤية الكونية للحقائق الوجودية، والتي تحاول جميع المدارس الفلسفية إعطاء إجابات علمية متقنة عنها، تتميز عن غيرها أولا، وتؤدي إلى بناء عقائدي وأيدلوجي جديد ثانيا، ومن المتفق عليه بين جميع هؤلاء في أهمية ودور الدليل العقلي في مقام الكشف عن الحقائق الوجودية، حتى أصبح مدار التمايز بين هذا المنهج المعرفي وغيره في قابليته على استخدام المدركات العقلية في تشخيص الحقائق^(٣) والأصول.

المقدمة الثانية: أهمية الفلسفة —

أجهد الإنسان نفسه في بحثه عن المبدأ والمنتهى والطريق، للوصول إلى الغاية التي لخصها بعض الفلاسفة المسلمين بإرادة

الوجودية والأصول الدينية قبل أن يلتفت إليها فلاسفة الحضارة المادية بقرون عديدة بالرغم من اختلافهم الواضح مع علماء وفلاسفة المسلمين في المنهج المعرفي المتبع لديهم والذي أدى في نهاية المطاف إلى تباين النتائج التي توصل إليها فلاسفة المدرستين إزاء نفس المواضيع الوجودية التي تناولوها في بحوثهم الفلسفية خاصة فيما يتعلق بالجوانب غير المادية في هذا الوجود لان (جملة من الأوامر التي نؤمن بوجودها أكيدا، إنما تحدث في غير هذا العالم)^(٢).

وفي هذا السياق تعددت المدارس الفلسفية في كلا الاتجاهين (المادي التجريبي أو المادي التاريخي) من جهة، و (فلاسفة الإلهيين) من جهة أخرى، مما أدى إلى اختلاف العلماء كل هذا الاختلاف الذي يرجع بالأساس إلى اختلافهم في نوعية المنهج المعرفي المتبع لإكتشاف تلك الحقائق أو إثباتها، وهو ما عبر عنه بعض الفلاسفة المعاصرين بـ (اختلافهم في الطريق الذي سلكوه في حجية الدليل العقلي) لإثبات الحقائق الوجودية، ومن هنا كان الاتفاق على أهمية وحجية الدليل

او اكتشاف الاحكام الواقعية (الاولى) او حتى لاحكام الظاهرية (الثانوية) لمختلف القضايا والاوامر الحياتية ومنها الاحكام الشرعية باعتبارها حقيقة من حقائق عالم الامكان (لأجل إلا يبقى - الفقيه - في مقام العمل متحيراً لا بد له من وجود حكم آخر ولو كان عقلياً)^(٦) .

وقد تبين مدى اهمية السبيل او الوحي في معرفة الواجب تعالى ، والممكن كذلك فمعرفة تعالى تجيب عن سؤال التيه الرئيسي " من أين " ومعرفة معاد الانسان وأخرته تؤدي الى الاجابة عن " الى أين " ومعرفة الوحي " السبيل " تجيب عن سؤال " في اين " وهي التي سميت عند علماء المسلمين بـ " اصول الدين " ، يقول السيد كمال الحيدري (فليس اعتباطاً ولا عبثاً ان يطلق علماء الاسلام اسم " اصول الدين " على هذه المسائل الثلاث)^(٧) ، وقد كانت هذه الاصول مثار اختلاف الآراء بين الماديين والالهييين من الفلاسفة بل بين الفلاسفة الالهييين انفسهم ، اذن الايدلوجيات (الافكار والقواعد القانونية والاخلاقية) وحتى العرفية مادامت تتعلق بسلوك الانسان أي بالبعد العملي من وجوده

الإنسان الحصول على الكمال المطلق بل وجعله ذلك من مميزات الفطرة الإنسانية التي يختلف فيها عن غيره من الحيوانات في عالم الإمكان ، فحاول من خلال مايعتقده انه كمال ، أن يرسم لنفسه الأهداف والغايات التي يريد الوصول إليها ، يقول السيد الخميني رحمته الله : (وبالجملـة الإنسان بفطرته عاشق للكمال المطلق ويتبع هذه الفطرة فطرة أخرى هي فطرة الانزجار عن النقص أي نقص كان)^(٨) .

ولكن ماهو الطريق للوصول الى هذه الغاية أي (الكمال المطلق والابتعاد عن النقص) هل هو في معرفة الوجود ام في معرفة الانسان ام في معرفة السبيل ؟ ولكل من هذه المعارف والطرق المتبعة فيها نتائج تتمثل في الاجابة عن تساؤلات مؤداها معرفة الواجب سبحانه وتعالى او تساؤلات تقودنا الى معرفة المعاد او تساؤلات توضح اجاباتها العلاقة او الوسيلة بين الواجب تعالى وبين الانسان من مبداءه الى معاده ، والسبيل المضمون لمعرفة المنهج الصحيح للحياة (سواء على مستوى الفرد او المجتمع) والذي يمثله الوحي^(٩) ، ومن هنا كان للدليل العقلي اصالة كبيرة في استنباط

المقدمة الثالثة: الوان الرؤية الكونية او مدارس مناهج المعرفة

قبل تعداد المدارس الفلسفية والفكرية وبيان نظرتها الكونية (للوجود والانسان والوسيلة) لابد من معرفة ضابطة مهمة في هذا المجال وهي تبين المنهج والطريق الكاشف عن حقائق الاشياء والموجودات عن الاسلوب المتبع لاثبات تلك الحقائق للآخرين ، وبالنسبة للمناهج المعرفية فانها تتفق غالبا في طرق اثبات الحقائق الوجودية للآخرين ، وتباين في طرق الكشف عن تلك الحقائق ، كما في الادلة العقلية وهي اسلوب لاثبات الحقائق الكونية بما في ذلك الاحكام الشرعية ، فان المتكلم يقول بحجته في مقام الاثبات اذا طابق الشريعة ، والمشائي يقول به كذلك فهو يكتفي بالنظر والبيان والدليل والبرهان ، والاشراقي كذلك يقول به لجمعهم بين المجاهدة والتصفية وحركة العقل بين المطلب والمبادئ .

يقول الحكيم السبزواري في كتابه شرح الاسماء الحسنى (ان المتصدين لمعرفة حقائق الاشياء اما ان يبحثوا بحيث يطابق الظاهر من الشريعة في الغلب فيقال لهم المتكلمون ، واما ان لايراعوا المطابقة او

فهي حتما متعلقة بالرؤى أي بالجانب او بالبعد النظري من وجود الانسان ومالم يثبت الحكم النظري فانه لا مجال لتطبيق الحكم العملي .

ومن هنا اتضحت العلاقة الوطيدة التي تربط الایدولوجيا (الافكار والقواعد القانونية والاخلاقية) من جهة مع الرؤية الكونية للوجود والانسان والوسيلة من جهة اخرى ، فاذا كانت الرؤية الكونية قائمة على اساس الايمان بالواجب والمعاد والوحي فان السلوك العملي (الایدولوجيا) سوف تختلف مع من لم تقم رؤيته الكونية عن الوجود والمعاد والوحي على الايمان ، أي ان الحكمة النظرية لدى هؤلاء تعاني من التيه حسب تعبير الفلاسفة الالهيين تلك المشكلة التي عبر عنها السيد محمد باقر الصدر - قد - بانها (تعيق حركة الانسان في تطوره عن الاستمرار الخلاق المبدع الصالح ، فالتحرك الضائع بدون مطلق تحرك عشوائي كريشة في مهب الريح تنفعل بالعوامل من حولها ولا تؤثر فيها)^(٨) ، وللرؤية الكونية الوان متعددة ، تعددت تبعاً لها المناهج المعرفية المتبعة في الوصول الى الحقائق الوجودية .

المخالفة، فاما ان يقتصروا على المجاهدة والتصفية فيقال لهم الصوفية، واما ان يكتفوا بمجرد النظر والبيان والدليل والبرهان فيقال لهم مشاؤون... واما ان يجمعوا بين الامرين فيقال لهم الاشراقيون^(٩) ومن هنا يتضح ان المدارس الفكرية للمعرفة هي.

١ - المدرسة المشائية.

٢ - المدرسة الكلامية.

٣ - المدرسة العرفانية.

٤ - المدرسة التوفيقية. وهي تنقسم الى:

أ - المدرسة الاشراقية.

ب - مدرسة الحكمة المتعالية.

اولاً. المدرسة المشائية

تمتد جذور هذه المدرسة الى سقراط وافلاطون وارسطو حيث امتاز منهج هؤلاء الفيلسفي بالخصائص التالية:

١ - اتباع المنهج والاسلوب العقلي في استنباط المسائل الفلسفية من المبادئ العقلية عبر الطرق المنطقية حتى فيما يتعلق بالاخلاق والسياسة.

٢ - الروح العامة التي تحكم هذه الفلسفة

هي الاهتمام بالالهيات وبحوث الميتافيزيقيا عموماً، ولعل هذا الاهتمام هو الذي اوجد لدى الفلاسفة الالهيين كل هذا الاحترام والتقدير لأفكار سقراط وافلاطون وارسطو يقول السيد محمد الصدر رحمته الله (ان في اليونان قبل الفين سنة او نحو ذلك فلسفة معتد بها موجودة، افلاطون وارسطو وسقراط عشرات الفلاسفة، (ويتسأل - قد -) هل كلهم على حق ؟ (ويجيب) انا اقول لك ان خمسة وتسعين بالمائة منهم على باطل، ربما سقراط وارسطو وافلاطون على حق انا لا اريد ان اطعن بهم، لكن يوجد الكثيرين منهم سفسطائيين ويوجد ماديين^(١٠) .

٣ - ربط الابحاث الفلسفية بالقضايا

الحياتية وجعلت ذلك من صميم افكارها وهو مافعله سقراط ومن بعده افلاطون، إلا ان ملامح هذه المدرسة لم تؤسس اركاناً فلسفية عميقة إلا على يد ارسطو الذي استطاع وضع الاسس المنطقية في قالب علمي دقيق، وعندما ترجمت اصول هذه الفلسفة الى اللغة العربية، حاول يعقوب بن اسحاق الكندي فهم وهضم هذه الفلسفة إلا ان دوره لم يتجاوز الشرح والتفسير بالنحو الذي يجعلها مطابقة مع الافكار الاساسية

لا يخفى رجوع الشرعية (يعني المقدمات) الى العقلية، ضرورة انه لا يكاد يكون مستحيلا ذلك شرعا إلا اذا اخذ فيه شرطا وقيدا، واستحالة المشروط والمقيد بدون شرطه وقيده يكون عقليا^(١١).

إلا ان التوفيق لم يحالف هذه المدرسة في بناء صرح فلسفي قادر على اثبات المعطيات الدينية الرئيسية من خلال القواعد العقلية والموازن المنطقية خاصة فيما يتعلق بالمعاد والنشآت الوجودية التي سبقت عالمنا المشهود، اما لماذا لم تستطع ذلك فالسبب يكمن كما يرى السيد الحيدري (بالمقولات الفلسفية والعقلية التي اسسوها وافترضوا ان معطياتها نصوص سماوية معصومة عن الخطا... على عكس معطيات الشريعة فانها قابلة لكل تفسير وتاويل وتطبيق) فكان هذا منشأ ابتعادهم عن ظواهر الشريعة بنحو او بآخر، ومن ابرز اتباعهم الفارابي وابن سينا والطوسي شارح الاشارات والمحقق الداماد استاذ ملا صدرا وفي المغرب ابن رشد وابن باجة وابن الصائغ.

ثانيا: المدرسة الكلامية

والسبب في تسمية اصحاب هذا المنهج

للدين الاسلامي، إلا ان نضج هذه المدرسة الفلسفية كان على يد ابو نصر الفارابي، والشيخ الرئيس ابن سينا، حيث اتضحت حاكمية المنهج العقلي عند ابن سينا خصوصا، بل واتخاذة موقفا سلبيا تجاه اصول المكاشفة والشهود، لانها وحسب رايه لايجوز بناء المسائل العلمية عليها - أي اثبات حقائق الوجود وان كان قد آمن بان تلك الاصول يمكن من خلالها الكشف عن الحقائق الوجودية.

ووفقا لهذه المعطيات يمكن لاول وهلة الحكم بان الفلسفة المشائية لاتعنى كثيرا بمطابقة مقولاتها الفلسفية التي انتهت اليها من خلال اصولها العقلية وقواعدها المنطقية لظواهر الشريعة، إلا انه لايمكن الاذعان لهذه الدعوى بعد ان نسمع كلام الفارابي الذي يرى (ان الشريعة الحققة صادرة عن مبدا العقل، اذ يستحيل مناقضتها لقضايا العقل الضرورية او القرينة من الضرورة، كما يستحيل مخالفة العقل لقضايا الشريعة الحققة بصفتها صادرة عن مبدا العقل وقيومه)، وهو قريب من كلام السيد محمد الصدر رحمته الله في شرحه لعبارة الآخوند (الامتناع الشرعي كالامتناع العقلي) يقول رحمته الله: ولكنه

بالكلاميين هي :

في سياق بحث الاتجاهات الفلسفية
الاسلامية .

ويمكن تلخيص وظائف علم الكلام
بالنقاط التالية :

١ - تبين اصول الدين وتمييزها عن
غيرها .

٢ - اثباتها بالادلة العقلية .

٣ - الدفاع عن تلك الاصول ومواجهة
مايحوم حولها .

هذه الوظائف تكشف عن طبيعة المنهج
الذي يتبعه المتكلم لكشف الحقائق
الوجودية ، وهو منهج نقلي كما هو الظاهر من
طريقتهم في استخدام الكتاب والسنة في
هذا المجال ، اما في مجال اثبات تلك
الحقائق والاصول فانهم يطبقون المقولات
والقواعد العقلية على الافكار الدينية وبعبارة
اخرى يثبتون الدين والشريعة من خلال
تطبيقات الادلة العقلية ، ويرد السؤال الاتي :
هل استطاع علماء المدرسة الكلامية ان
يؤسسوا لمنظومة عقلية كاملة ومنسجمة
ومتقنة تكون قادرة على توفير الغطاء الفعلي
لكل الظواهر الدينية المتعلقة باصول
الدين ؟ .

١ - ان متصدي هذا اللون المعرفي الفوا
التعبير في مسائلهم بالقول (الكلام في
كذا) .

٢ - ان الحديث في هذه المعارف
(حقائق الوجود) او (الاصول الدينية)
مسكوت عنه ، وهؤلاء تكلموا في المسكوت
عنه .

٣ - ان علم الكلام بدا مع قضية (كلام
الله اهو مخلوق ام لا) وهو الوجه المشهور .

وعلم الكلام : هو العلم الذي يبحث في
اصول الدين الاسلامي ، ومن خلال هذا
التعريف يتضح الرابط او المشترك العلمي
بين علم الكلام من جهة والاتجاهات
الفلسفية من جهة اخرى ، فكل المنهجين
المعرفيين يبحثان في اصول الدين ، إلا ان
ثمة افتراق بينهما يتمثل في الوسائل التي
اتبعتها كلا المنهجين في اثبات تلك
الاصول ، ووفقا لهذا التعريف كذلك فان
علم الكلام يختص ببيان المسائل والامور
التي يجب على الفرد المسلم ان يؤمن بها
والتي ترتبط بالرؤية الكونية ، ومن خلال هذه
العلاقة يرد بحث المنهج المعرفي للكلاميين

اما مايتعلق بالهدف ، فالمشائي يرى ان الاصل هي المقولات الفلسفية ويبحث في ظواهر الشريعة لتطبيقها على تلك المقولات ، فيما يرى الكلامي ان الاصل ظواهر الشريعة ويجب على العقل ان يطبق نفسه على تلك المدعيات .

وكما انه لايمكن الازعان في مطابقة القواعد العقلية والفلسفية للواقع لان تلك القواعد جهد بشري غير معصوم كذلك لايمكن الازعان الى اعتماد الكلاميين على جهدهم او فهمهم البشري غير المعصوم ، لظاهر النص القرآني والسنتي ، وهذا ما أدى بالمفكر لسيد محمد باقر الصدر - قد - الى التمييز بين الظهور الذاتي والظهور النوعي للنص الديني يقول : الظهور الذاتي هو الظهور الشخصي الذي ينسب الى ذهن كل شخص ، والظهور الموضوعي هو الظهور النوعي الذي يشتركي فهمه ابناء العرف ... وهما قد يختلفان والظهوران قد يتطابقان ^(١٢) .

ثالثا: المدرسة العرفانية

ينقسم العرفان الى قسمين بحسب تقييم الدارسين لهذا الفكر هما :

وللاجابة عن هذا السؤال قالوا : ان المدرسة الكلامية لم توفق في ذلك لانهم تعاملوا مع الظواهر النقلية (النصوص) بنحو يرفض أي تفسير او شرح او نقد لها ، على الرغم من انها في كثير من الاحيان لاتفيد إلا الظن ، والظن ليس بحجة في مقام الكشف عن الحقائق والاصول الدينية ، وكنتيجة لذلك لجأ هذا الاتجاه لاثبات مدعياته بجملة من القواعد الجدلية وهو ما أخذ على هذه المدرسة من انها تثبت مدعياتها بالجدل لابلرهان وهو مائز حقيقي بينها وبين المدارس الاخرى ، اذ كانت الغاية افحام الخصم لا الوصول الى الحقيقة .

ولو اجرينا مقارنة بين الاتجاه المشائي والكلامي لوجدنا انهما يختلفان في المنطق والوسيلة والهدف ، اما مايتعلق بالمنطق فالمشائي يؤمن ان لاطريق للوصول الى الحقائق إلا بالمنهج والاسلوب العقلي ، اما الكلامي فيرى ان لاطريق للوصول الى الاصول إلا من خلال الكتاب والسنة ، وفيما يتعلق بالوسيلة فالمشائي يستخدم المقدمات البرهانية للكشف عن الحقائق والكلامي يستخدم المقدمات الجدلية لنفس الغرض ،

١ - العرفان العملي : وهذا القسم من العرفان يتعهد بتفسير وبيان مقامات العارفين ودرجات السالكين الى القرب الالهي بقدّم المجاهدة والتصفية والتزكية ، والغاية هي الوصول الى مقام من لا يرى في الوجود غيره تعالى وهذا القسم هو المعني بقوله ﷺ (المعرفة بالله سبحانه بالمقدار الذي تطيقه النفس البشرية)^(١٣)

٢ - العرفان النظري : هو الطريق المؤدي الى رسم رؤية كونية عن " الله " و " الانسان " و " العالم " ويستند العارف في تأسيسه لهذه الرؤية الى المكاشفة والشهود لتناول الطريق الموصل لمعرفة الحقائق الوجودية ، والذي لا يتم إلا من خلال تصفية القلب وتزكيته بواسطة الرياضات المعنوية التي اقرها الشارع المقدس ومن مزايا هذه المدارس .

١ - عدم الايمان بقدرة المنهج العقلي على اكتشاف حقائق الوجود او مقدرة فهم الانسان للنص من كشف تلك الاصول الدينية كما هو مذهب المتكلمين ، او تكوين رؤية كونية عنها يقول ابن عربي (للعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري ، فاذا ينبغي للعقل ان يتعرض لنفحات الجود ولا يبقى ماسورا في قيد نظره

وكسبه) .

٢ - انتقادهم للعلم الحاصل بالفهم والعقل والادراك للمفاهيم والصور ، وصيرورة الانسان عالما عقليا عن طريق الكسب والفكر وقولهم بان ذلك يؤدي فقط الى تحصيل صور الحقائق الوجودية ، وذلك عندهم غير كافي في الكشف عنها ، وعلى ذلك فالعارف من يسعى الى مشاهدة جمال الحق وشهود الحقائق ومن الواضح ان الفرق كبير بين ادراك او ارتسام الحقائق والصور وبين شهودها .

بل انهم ذموا جملة من العلوم العقلية حتى وصل الحال بعبد الرزاق الكاشاني الى القول (الحمد لله الذي نجانا من مباحث العلوم الرسمية بالمن والافضال واغنانا بروح المعاينة عن مكابدة العقل والاستدلال)^(١٤) ،

وهذا في مقام الكشف عن الحقائق والاصول ، اما في مقام اثباتها للآخرين ، فانهم أي العرفاء يستعينون بالادلة العقلية في ذلك ، فلا يبقى فرق بين الفيلسوف والعارف في هذا المقام ، إلا ان هذا الاسلوب غير تام عند بعضهم وهو ما يدل على اختلافهم في مقام الاثبات يقول الطباطبائي (الذين يحاولون بيان المعاني الشهودية من

وطريقتها لتأسيس رؤية كونية عن " الله " و " الانسان " و " العالم " ، ولاتفارق هذه المدرسة باقي المناهج في تبني الاستدلال العقلي لاثبات تلك الموجودات للآخرين ، ومن خلال هذه القراءة يتضح ان السهروردي مؤسس هذه الفلسفة ، وخاصة في كتابه (حكمة الاشراق) واثناء تأسيسه لمنهج الاشراق المعرفي قد زواج بين الكشف (البارقة النورانية) التي ترتقي بصاحبها الى (السكينة الالهية الثابتة) وبين النظر والاستدلال العقلي ، فاستعان بهما معا للوصول الى الكمال المطلوب .

فالحكمة الاشراقية اذن لم تخالف مذهب المشائين في استعمالها للمنهج العقلي الاستدلالي ، فالعقل حجة قاطعة في مجال الكشف عن الحقائق والاصول ، وانما المرفوض عندهم المغالطات التي جاءتت في كلمات المشائين ويؤيد ذلك كتاب السهروردي الثاني الي يرد فيه على مغالطات المشائين والمسمى (كشف المغالطات) ويتضح من خلال ذلك ان هناك ثمة اختلاف بين مدرسة الارقاق ومدرسة العرفان ، فبالرغم من اشتراك المدرستين في ضرورات تصفية القلب وصقله وتهذيب النفس

خلال القوالب اللفظية والعبارات اللغوية فهم كالذين يريدون بيان الالوان المختلفة للذي ولد من بطن امه اعمى ، فيحاول ان يدرك المعاني المرتبطة بالباصرة من خلال القوة السامعة ^(١٥) .

رابعا : المدرسة التوافقية

يمكن تمييز اتجاهين في هذه المدرسة ، حسب رؤيتيهما لدور الادلة العقلية في مقام الكشف عن الحقائق والاصول وهما :

أ - **المدرسة الاشراقية** : وسميت بذلك لان العلم كما يرون نور يشرق في قلب العارف ، واصول هذه المدرسة تبتعد كثيرا عن اصول المدارس الفلسفية الاخرى ، فهي تعتمد على الشهود والمكاشفة بدلا عن النظر والاستدلال ففي الكشف عن حقائق الوجود ومنها الاصول الدينية ، والتي كان لها الدور الاساسي في الجذور الفلسفية التي قامت عليها مدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتألهين الشيرازي .

العناصر الاساسية للفلسفة الاشراقية :
يمكن تمييز هذه المدرسة عن بقية المدارس الفلسفية من خلال الاسس والقواعد التي تعتمدها في الكشف عن الحقائق

والمجاهدة العملية ، إلا ان ثمة تمايز بينهما يتلخص في .

١ - ان المنهج العرفاني يرفض الاستدلال العقلي في مقام الكشف عن حقائق الوجود ، بينما نجد المنهج الاشراقي يقبل الاستدلال العقلي المبني على مقدمات برهانية يقينية مع الاستعانة بالكشف والمشاهدة .

٢ - هدف العارف مشاهدة الحقائق بينما هدف الاشراقي ادراك الحقيقة وفهمها وهو ما عبر عنه الملا صدرا (الفرق بين علوم النظر وعلوم ذوي الابصار) كما وحثت المدرسة الاشراقية على التمسك بالكتاب والسنة وعدم تخطيهما وتجاوزهما يقول السهروردي (اوصيكم اخواني بحفظ اوامر الله ونواهيه والتوجه الى الله مولانا نور الانوار بالكلية وترك ما لا يعينكم من قول او فعل وقطع كل خاطر شيطاني)^(١٦) ، كما دعى الى التمسك بالدعاء والتأمل في القرآن^(١٧) .

يتضح مما تقدم ان العناصر الاساسية للمنهج الاشراقي هي المشاهدة والمكاشفة والعقل والاستدلال وظواهر الكتاب والسنة ، فاذا كان هذا المنهج يعتمد على النظر والاستدلال (البرهان) في مقام الكشف ، هو

مدار اختلاف المناهج المعرفية ، فليس بمستغرب منه ان يعتمد على (البرهان) في مقام اثبات تلك الحقائق والضرورات والاصول والاحكام الشرعية ، ولم يبق إلا ان نسأل هل وفقت هذه المدرسة في التطبيق بين معطيات الشريعة وبين ما أنه تاليه من قواعد عقلية او مشاهدات ذوقية او ظواهر دينية ام لا ؟ والجواب هو : فيما يتعلق بالكشف عن الحقائق والاصول والاحكام فقد استطاعت ان تنطلق من هذه المنابع في اكتشاف رؤيتها للكون والحياة ، وفي مقام الاثبات ، فانه يرى بعض متأخري الامامية من الفلاسفة ان الاشراقي لم يستطع اجمالا ان يحقق النججاح الذي حققه في المقام الاول^(١٨) .

ب - مدرسة الحكمة المتعالية :

مدرسة صدر المتألهين الفلسفية ، التي توصي بجمع الاصول والقواعد ضمن منظومة فلسفية واحدة توفق بين مكاشفات العارف والقواعد والاصول التي يقولها الفيلسوف من جهة وبين ظواهر الشريعة التي يتكئ عليها المتكلم والمحدث من جهة اخرى ، وقد ارجع بعض الفلاسفة اساس هذه المدرسة الى الفارابي الذي حاول ان يوفق

الدينية من جهة وبين الفلسفة والعرفان من جهة أخرى ودمج عناصر الفلسفات المشائية والعرفانية والكلامية والاشراقية ووحدها في فلسفة متعالية، اعتبرت الحضارة الجديدة في التفكير الفلسفي.

ان الطريقة الجديدة التي ابتكرها الملا صدرا لكشف حقائق الوجود لم يكن من خلال الاستدلال العقلي المحض كما في الحكمة المشائية ولا من خلال المشاهدة والمكاشفة كما في الحكمة العرفانية ولا من خلال الانطلاق من ظواهر النصوص الشرعية كما في طريقة المتكلمين، بل جمع بين البرهان والعرفان والقرآن فكشف عن الحقائق والاحكام الواقعية عن طريق المقدمات البرهانية والمشاهدات العرفانية والمواد الدينية القطعية.

كان ذلك سردا مجملا لمجموعة المناهج المعرفية التي اسست للفكر الاسلامي المعاصر، والتي كانت نتاجا للرؤى والمفاهيم والمناهج والفلسفات والافكار وحتى الاحكام والتشريعات الاصيلية والفرعية والاجتهادات، والتي اثرت بمجموعها على صياغة هذه المناهج حتى وضعت بهذا القلب المعرفي وفي ذلك بالتأكيد تطورا هاما

بين الاستدلال والكشف والشرعية^(١٩)، واستمر تآثر الفلاسفة بهذه المنظومة التوفيقية، وصولا الى الشيخ الرئيس ودلالات التوفيق في مقامات العارفين من (الاشارات) ونضجت بصورة اكبر على يد السهروردي، ثم المحقق الطوسي شارح الاشارات، إلا ان هذه المحاولات لم تستطع ان تقعد لمنظومة فلسفية متكاملة، فاكتفت بمجرد الدلالة على مواضيعها، والاشارة الى منهجها من دون تاصيل وتبويب منهجي دقيق، حتى جاء الملا صدرا الذي استطاع بناء تلك المنظومة الفلسفية التوفيقية، بحيث اعتبرت منهجا معرفيا جديدا ابتدعه صدر المتألهين ابتدعا.

ولابد لنا ان نبين معنى التوفيق كي نفهم الانجاز الذي اسس له الملا صدرا في الميدان الفلسفي الاسلامي، على الرغم من اتهام بعض دارسي الحكمة المتعالية الملا صدرا بالتلفيق في مقولات المدارس الكلامية والعرفانية والمشائية لا بالتوفيق بين مقولاتها، إلا ان المنصف من دارسي هذه الفلسفة يلاحظ انها مدرسة مركبة وموحدة ومبتكرة، لملفقة من شتات، حيث وحد صدر المتألهين فيها بين الفلسفة والآراء

وموضوعيا في بنية النظرة العقلية لواقع الفكر الاسلامي، من جهة ان مجالات المعرفة الحديثة لايمكن لها ان تكتمل من غير منهج تستند عليه في تأسيسها حيث ان المعرفة اليوم: معرفة المنهج والتأسيس الواعي للمنظومات الحاكمة في المجتمع.

الحديث عن المنهج المعرفي للسيد الشهيد الصدر - قد - يتميز عن سواه من المناهج العلمية المعاصرة باعتبار خصوصية المبادئ والاسس الحاكمة في منظومة القيم التي انطلق منها لاعادة الحياة في مؤسسة دينية واجتماعية وسياسية وثقافية وتراثية بثقل الحوزة العلمية الشريفة، تلك المؤسسة التي نالت سهما وافرا من الخمول اللامبرر، والذي افقدها دورها الريادي في صدارة الافكار والعقول طيلة ثلاث عقود متتالية.

لهذه الشخصية إبداعات وابتكارات ووجهات نظر ورؤى في علم الفقه واصول الفقه والفلسفة وتفسير القرآن الكريم وحتى العرفان، والآن لا يسمح الوقت في الدخول بكل هذه التفاصيل ولكن أتحدث باختصار، فاقول: للسيد محمد الصدر - قد - إبداعات وابتكارات حتى في الفلسفة، بحيث يعز

المثيل لتلك الابتكارات والإبداعات على ما اعرف وعلى ما وصلت إلينا من معلومات، على الرغم من امكانية الرد نظريا بالقول: ان أي ابتكار لم يحدث في مجال الفلسفة الاسلامية منذ مايقرب على اربعمائة عام، أي منذ ظهور فلسفة الحكمة المتعالية على يد الملا صدرا، وأنا لا أبالغ في القول ان ادعت ان السيد الشهيد - قد - انتقل بهذه الفلسفة من حالة التنظير المعرفي والسجل الفلسفي، الى مظهر آخر وتجلي اوضح للحقائق الوجودية، فانكشفت له رموز لم تكن منكشفة بهذا القدر لغيره، ولعل ذلك ما أشار اليه - قد - بالقول (ان الفرد المفكر اذا استطاع ان يمشي خطوة موفقة امام اساتذته وجهابذة عصره ويناقش استدلالاتهم برصانة وعمق، كفى ذلك في السيطرة على زمام العلم: لوضوح ان ما لدى المتقدم موجود لدى المتأخر مع زيادة)^(٢٠).

وانا اتحدث هنا عن تلك الزيادة التي اشار اليها - قد - وحتى في مجال إبداعات السيد الصدر في الفلسفة فأنا لا أستطيع أن ادخل إلى الفلسفة ككل ولكن أود أن اختار جزءاً بسيطاً فقط، على أن ندخل اكثر في مناسبة أخرى - ولعلي تطرقت الى بعض تلك

الكونية والطبيعية يعجز عن تفسيرها العلم الطبيعي، العلم الاوربي التي بشرت به ودعت اليه المادية الاوربية، فاذا استطعنا ان نعطي في الحقيقة، مثل هذه الامثلة فقد ثبتت الحكمة الالهية والتدبير الالهي^(٢١).

الدور الثاني : دور التلمذة والتعلم التخصصي

اشتغل في هذه الفترة بتحصيل العلوم العقلية والنقلية من طبقة اعلى من الفلاسفة والفقهاء ووقف على تفاصيل المذاهب الفلسفية والعرفانية والكلامية ومسالك اصحابها واثباتاتهم ومن ابرز اساتذته في هذه الفترة والذي اعتمد كثيرا في عرضه ومناقشته لاراء الاصولية على مطالبيهما والذي عبر عنهما بـ (الهم في طريق التربية العلمية وهما المحققان الجليلان الخوئي والصدر)^(٢٢) ، بالاضافة الى تتلمذه على يد السيد الخميني لفترة ليست بالقصيرة، تلك الفترة التي يصف فيها نوعية المعارف التي تلقاها منه بـ (دروس في الوعي الاسلامي) .

ولعل تلك المعارف ونوعيتها اثرت في المنظومة السياسية له - قد - فيما بعد خاصة

التفاصيل في كتابي " مدخل الى فلسفة السيد الشهيد الصدر " وقبل أن أشير إلى إنجازاته - قد - في ساحة الفلسفة، احتاج إلى بيان الادوار الاساسية التي اثرت واثرت المنهج المعرفي له - قد - وهي :

الدور الاول : دور التلمذة والتعلم الاولي

وهي الفترة التي اشتغل فيها بتحصيل العلوم النقلية، فدرس الحديث والفقه والتفسير وغيرها من العلوم، ولم يكتف بذلك فدرس العلوم العقلية جنبا الى جنب مع دراسته للفقه، فتتبع آراء الفلاسفة ومناقشاتهم ووقف على المذاهب الكلامية والطرق العرفانية، وبلغ اليه قسطه من السعي واقتفى آثار الحكماء السابقين والفضلاء اللاحقين مقتبسا من نتائج خواطرهم وانظارهم ومستفيدا من ابدكار ضمائهم واسرارهم، وقد صرف وقته منذ اول حدائته وربعانه لتعلم الحكمة الالهية التي يعتقد ان المادية تحاول تاسيس منهج يتجاهل دورها في حركة الانسان والوجود بصورة عامة، وهو في ذلك يقول - قد - (انني اعتقد ان هناك عدد معتد به من الظواهر

منهجه المعرفي المتميز .

المرحلة الثانية: في فترة مبكرة من هذه المرحلة ظهرت على منهجه المعرفي ميول اصولية، ولعل ذلك يرجع الى ان اساتذته (الرئيسين) من اجل علماء الامامية المتأخرين في علم اصول الفقه، كما انه عرض وناقش الاراء الاصولية للملا محمد كاظم الخراساني ووفقا لترتيب كفاية الاصول^(٢٣) في منهجه الاصولي، وذلك بحد ذاته كان كافيا لجعله اماما في الاصول، الامر الذي مكنه من حذف ما وجد من ادلة جدلية في المذاهب الكلامية والطرق السلوكية الغير منساقة مع الطرق المنطقية واخذ منها ماتلاءمت مع الاصول المنطقية .

والذي يظهر من خلال كلماته التي وقفنا عليها ان مسلكه العرفاني لم ينضج في هذه المرحلة من حياته، على الرغم من وضوح المنهج الاستدلالي في بحوثه الفقهية والفلسفية، خاصة فيما يتعلق بالبحوث التاريخية والاجتماعية .

وهنا لابس بالاشارة الى اعتقاد البعض ان السيد محمد الصدر - قد - اظهر مناهضة وذم الفلسفة والعلوم العقلية ويستشهد بما ذكره في بعض خطبه (ان الفلسفة اليونانية

وان استأذه الخميني قد اسس بعد ذلك جمهورية ايران الاسلامية بعد ثورة الشعب الايراني المعروفة عام ١٩٧٩ م، ومن المؤكد اليوم اننا ندرك سبب اتخاذه من الخميني استاذاً (رئيسياً) كما يعبر هو - قد - حيث صنف اساتذته الرئيسين وحصرهم بـ (الخوئي والصدر والخميني) والملفت للنظر ان هؤلاء الافذاذ جميعاً، كانوا من انصار مدرسة الحكمة المتعالية الفلسفية، ولعل تقسيم هذه الفترة من حياته المعرفية الى مراحل سيسهل علينا استيضاح المنهج الفلسفي الذي اتبعه في فترة نضوجه الفكري والمعرفي والمراحل هي .

المرحلة الاولى: درس فيها الفقه والاصول والفلسفات والاراء الدينية والعرفانية درساً متعمقاً متجنباً عن الانحياز الى رأي خاص او فلسفة خاصة، وفي هذه المرحلة اكتشف اصول المذاهب الفقهية والاراء الكلامية والفلسفات وطرقها الاثباتية، وفهم صلاتها ومميزاتها، وعلم جهات كمالها ونقصها، واطلع على الاراء والمعارف في تطورها المرحلي الاغريقي - الفارسي - الاسلامي، وتعد هذه الفترة بحق الاساس المعرفي الذي استند اليه فيما بعد لتأسيس

(سوفسطائي) ولا ادل من (رسالة الصحابة) التي اهداها الى هارون العباسي ليوطد له مناهج ادارة الملك وفق الرؤى والافكار الكسرويه ، التي لا تنتمي الى الفكر السياسي الاسلامي فقط بل انها ، لا ترمي الى اكثر من الاضطلاع بمهمة تقديم البرنامج الايدلوجي للسلطة ، التي فتحت الباب على مصراعيه للزنادقة والملحدون في التهمين من علوم الاسلام وعلماءه ، بحجة حرية التعبير عن الراي ، والفسحة الفكرية التي اوجدتها السلطة السياسية لكل من يريد النيل من شرائع الاسلام وعقائده ^(٢٥) .

ولعل مايدل على هذا البعد التنظيري لتلك المحاولات عند ابن المقفع وابن عبد ربه انهما استهلا كتابيهما بطرح القضية المحورية التي سُخرا لها من قبل (رجل السلطة) الا وهي مشكلة الطاعة ففي حين ينظر ابن المقفع لوجوب الطاعة المطلقة للخليفة بالقول (لو امر الجبال ان تسير سارت ، ولو امر ان تستدير القبلة بالصلاة فُعل ذلك) ^(٢٦) .

واشارة ابن المقفع الى هذا الموقف دليل على انتشاره الفعلي بين المتلبسين بالسلطة وهو دليل على شيوع الادبيات السلطانية في

دخلت المجتمع المسلم وترجمت الكتب من اليونانية الى العربية حتى يقرأها المسلمون : من الذي جلب هذه الكتب ؟ ولماذا نشرت بين الناس ؟ ومن الذي ترجمها وبأي خط ترجمت ؟ ... هم بعثوا هذه الكتب الى الشرق الادنى وترجموها ورغبوا الناس بها لعل عقائدهم ترتج ولو بمقدار واحد بالمائة او ينتج اكثر من ذلك ، فيدخل الالحاد اليها ، كابن ابي العوجاء وابن المقفع والجاحظ والآخرين الذين انما كانوا في الحقيقة عملاء الفلسفة للدولة البيزنطية ، وحصلت انحرافات وانشقاقات كثيرة في زمن الائمة وبعد زمن الائمة سلام الله عليهم ، انما ذلك من هذه الفلسفات التي دخلت شرا الى البلاد ^(٢٤) (الاسلامية) .

الا ان هذا الكلام غير دقيق لان هذا النص لا يكشف ذم العلوم العقلية والاراء الفلسفية بنحو الاطلاق ، وانما يقتصر على ذم " اراء المتفلسفة والمجادلين من اصحاب المذاهب المنحرفة من اهل الكلام " ومن الطريف ان جملته تلك حملت اسماء تساند الراي الذي اتخذناه ، فلم يكن ابن المقفع (١٤٨ هـ) فيلسوف حقيقيا بالمعنى الدقيق ، وانما كان فيلسوفا مزيف كما يسميه ارسطو

دولة الخلافة، كل ذلك اوجد عند الائمة عليهم السلام نوعاً من الاقتصار في غالب نشاطاتهم (على الدوائر الخاصة من أصحابهم، وفي حدود ارتفاع الضغط، أو قلته أو المخاطلة معه، وكانت تتسع هذه الدائرة، أو تضمر أو بحسب الظروف التي يمر بها الإمام عليه السلام وتتناسب كثرتها تناسباً عكسياً مع ضعف الجهاز الحاكم) ^(٢٧)، فليس من الصحيح نسبة نبذ الفلسفة بالكلية اليه - قد - وانما انتقد السوفسطائية واصحاب المذاهب الكلامية الضالة الذين تلبسوا بلباس الفلاسفة المسلمين.

الدور الثالث : دور العزلة والانقطاع -

بعد نهاية الدوين الاوليين من حياته العلمية والتي صار في نهاية الدور الثاني منها استاذاً كاملاً في العلوم الكسبية والرسمية، استجدت في حياته - قد - مرحلة اخرى مغايرة تماماً لما سبقها ففي ظل الاضطهاد والقهر الذي مارسته سلطة البعث، والمضايقات التي مورست على تلاميذ الخميني ومحمد باقر الصدر - قد -، اعتزل السيد الصدر - قد - في بيته في منطقة الحنانة في النجف الاشرف واستمرت عزلته

قاربة خمسة عشر عاماً، اشتغل خلالها بالمجاهدات والرياضات المعنوية التي تحصل عليها خلال مدة اعتكافه واتخاذ منهج التقية المكثفة والاعتزال عن المجتمع، حتى ان تلك الصفة اصطبغت بها معظم ابحاثه التي كتبها في تلك الفترة.

وبقي على هذا الحال متوجهاً نحو مسبب الاسباب ومسهل الامور الصعاب مفضلاً الاستتار والانزواء والخمول منقطع الامال، منكسر البال، مما يسر له انتاج كم هائل من الابحاث والكتب المهمة التي اوجدت فيما بعد نظرية الحكمة العملية التي سارت بالفكر الاسلامي خطوات يصفها عليه السلام بالمتكاملة يقول (يكفي لهذا العبد الخاطيء فيما اذا وفقه الله ان يكون قد سار بالفكر الاسلامي الامامي خطوات كاملة او متكاملة) ^(٢٨)

التميز الرئيسي لفلسفة الصدر - قد - هو عدم انتمائها الى الفلسفات العالمية القديمة او الحديثة التي لاتجعل للبعد الميتافيزيقي او الغيبي اعتباراً في عملية الكشف عن الحقائق الوجودية او تكوين رؤية كونية عن تلك الحقائق والتي تعتبر (الاصول الدينية) والاحكام الشرعية جزاً رئيسياً منها، ومن هنا كانت العلاقة وثيقة بين الدليل العقلي

انعكاسات الحكمة المتعالية على المنهج الفلسفي في تفسير منة المنان

لم يتعرض الصدر في تفسيره - منة المنان - لما عرض للفلاسفة من المفسرين او ممن تأثر بالمنهج الفلسفي منهم، ولعل مرد ذلك هو كون هذا التفسير جاء دفاعاً عن بعض الشبهات التي اثيرت على التفاسير التي سبقته والتي وسمت بنقطة الضعف تلك، ومن هنا يمكن ان نفهم قوله - قد - (أني لم أكتب هذا الكتاب لكل المستويات، ولا يستطيع الفرد المتدني الاستفادة الحقيقة منه، وإنما أخذت بنظر الاعتبار مستوى معيناً من الثقافة والتفكير لدى القارئ)^(٢٩).

وعلى الرغم من وضوح الجنبه الفلسفية في تفسيره، الا انه لم يقع في ورطة التطبيق وتاويل الايات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الاعم، واعني الرياضيات والطبيعات والالهيات والحكمة العملية، فلم يتأول الايات الواردة في حقائق ماوراء الطبيعة وآيات الخلقة وحدث السموات والارض وآيات البرزخ وآيات المعاد، ونظير ذلك تفسيره لما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ان علوم الكون كلها في القرآن وعلوم القرآن في السبع المثاني وعلوم

والكشف الباطني المتاتي من التصفية والتزكية القلبية في انتاج نوعية فلسفية تتقدم خطوة اخرى مهمة في الحكمة المتعالية ومنهجها الفلسفي، بحيث كون التوفيق بينهما نوعاً جديداً في الفلسفة المعاصرة عُرفت بفلسفة (البرهان والعرفان) ولكن بصيغة عملية تطويرية مبتكرة.

السيد الصدر والأسفار

إن شخصا استطاع أن يعطي الفلسفة والعرفان مالم يتمكن غيره من اعطاءه، وينقله من ساحة الشخص إلى ساحة المجتمع وأن للمجتمع روح وشخصية، في ظل هذه المعرفة استطاع وادرك الصدر انه يجب أن يعطي المجتمع هذا السير والسلوك وينقله من الحالة الشخصية إليه وإلى الساحة، فبدأ بالسفر الفلسفي - حسب تطبيقات الملا صدرا - سافر من الخلق إلى الحق، وهنا اتساءل هل تعرفون أحداً من العرفاء تمكن من نفخ روح العرفان العملي في الجماهير؟ وبدل أن يسافر شخصياً سافراً روحياً جعل الشعب - ان صح التعبير - يسافر من الخلق إلى الحق ومن الحق إلى آخر الأسفار الأربعة؟.

السبع المثاني في البسملة وعلوم البسملة في الباء وعلوم الباء في النقطة وأنا تلك النقطة .

يقول - قد - ان المراد : ان علوم القرآن في الفاتحة مع زيادة في الفاتحة وعلوم الفاتحة في البسملة مع زيادة في البسملة وعلوم البسملة في الباء مع زيادة في الباء وعلوم الباء في النقطة مع زيادة في النقطة واما ما هي تلك الزيادة فذلك لا يعلمه إلا علام الغيوب لأنها فوق إدراك عقولنا القاصرة وربما يكون علمها عند قائلها سلام الله عليه ، على الرغم من تفسيره لمعنى المركب والبسيط فلسفياً في ثانيا بحثه هذا فيقول : أن روحه وحقيقته العليا بسيطة حيث يقول : وأنا النقطة ، وان النقطة بسيطة هندسياً من حيث إنها ليست جسماً ولا سطحاً ولا خطاً فهي بسيطة من جميع الجهات فهي مجرد فرض عقلي وليست مادة وهذه البساطة المشار إليها في الرواية بساطة فلسفية والنقطة ذات بساطة هندسية والبساطة الفلسفية مستقاة مجازاً من البساطة الهندسية^(٣٠) .

استند السيد الصدر - قد - الى البراهين العقلية التي اقامها الالهيون من الحكماء

وبصورة خاصة فيما يتعلق باثبات عموم العلية والتي بنوا فيها على وجوب انتهاء العلل الممكنة الى علة واجبة الوجود ، في اثبات المقامات الوجودية العالية للمعصومين ، وهو استخدام اقرب الى ذوق المشتغلين بالسير في باطن الخلقة دون عالم الظاهر ، وهو مذهب بعيد نسبياً عن ميدان اشتغال المتأثرين بالمنهج المعرفي لمدرسة الحكمة المتعالية ، الا اننا نجد التوفيق واضحاً بين الفلسفة والعرفان في تفسير الايات التي تتناول هذا الجانب فيقول - قد - في اشارة الى مقام امام الموحدين (عليه السلام) موضحاً ومستخدماً قاعدة الصدور الفلسفية استخداماً فريداً في اثبات تلك المقامات الوجودية .

فيقول : انه (عليه السلام) أعلى مراتب الوجود فقد قال الفلاسفة بقاعدة صدور الواحد عن الواحد فبالضرورة يخلق الله تعالى واحداً في المرتبة الأولى التي تنزل عن ذاته سبحانه ثم هذا المخلوق الواحد يخلق الكثرة أي يوجد المتعدد وهو بسيط ولكنه بالتحليل يكون أمرين : محمد وعلي لأنهما نفس واحدة بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣١) ، فهو (عليه السلام) نفسه ولكنه غيره والكثرة عين الوحدة كما قيل في

الثلاث الرئيسية، التي كانت محورا للنقاشات الفكرية وهي (الله والوجود والإنسان) .

٢ - تعتبر المناهج المعرفية اليوم نتاجا لسلسلة متصلة من النظريات والأفكار والتجارب - إن صح التعبير - والتي تمخضت خلال القرن العاشر الهجري عن فلسفة إسلامية متعالية، أخرجها إلى حيز الوجود الملا صدرا، تتضمن رؤية للمسائل الفلسفية بقالب برهاني وعرفاني .

٣ - سارت معظم الفلسفات والمناهج الإسلامية الحديثة والمعاصرة على خطى مدرسة صدر الدين الشيرازي، مع الأخذ بنظر الاعتبار، الإضافات التي أُحدثت على مبانيها بفعل المستحدثات الفكرية التي تفرضها طبيعة ونمط التفكير الإنساني وإمكانية تعاطي النصوص الأصلية مع تلك المرتسمات الفكرية .

٤ - تأثر السيد محمد محمد صادق الصدر - قد - في منهجه المعرفي بالملا صدرا تأثيرا كبيرا، انطبع ذلك الأثر في نتاجه الفكري بالدرجة الأساس وخاصة في دوره الاجتماعي، فهو - قد - مفجر أكبر ثورة اجتماعية في تاريخ العراق المعاصر

الحكمة المتعالية وليس هذا غريبا فنفس الإنسان واحدة ولكنها في - نفس الوقت - كثيرة ففيها القوة العصبية والشهوة والرغبات والحاجات ولكنها مع ذلك نفس واحدة والكثرة عين الوحدة ونستنتج من ذلك ان هذه الحقيقة النورية العليا هي أول الموجودات وأشرفها وأقدرها وأعلاها وأعلمها وهي مسيطرة على جميع الموجودات بأقذار^(٣٢) من الله سبحانه .

الخلاصة :

من خلال تتبع مضامين الأفكار التي طرحت في ثنايا البحث اتضح المنهج المعرفي الذي اتبعه السيد محمد محمد صادق الصدر - قد - ، والتي تعبر عن المصدر المعرفي المتبع الذي يحكم الفكر الإسلامي المعاصر، وهو منهج جديد يختلف عن المناهج المعرفية لأساتذته - قدست أسرارهم - ويمكن تلخيص بعض النقاط التي تعتبر نتاجا لهذا البحث وهي :

١ - اتضحت وبصورة تدريجية المناهج المعرفية الإسلامية، عبر تاريخ طويل من الحوار بين مختلف أطياف النسيج الفكري الإسلامي، ولتتبلور رؤية كونية، للمسائل

والحديث .

المناهج المعرفية الإسلامية الحديثة .

٧ - لم تثني الصدر - قد - المضايقات التي مارستها عليه السلطة البعثية الغاشمة ، فبالرغم من انزاله وانقطاعه سنين عديدة ، إلا إن تلك العزلة لم تجعله منقطعاً عن المجتمع كما كان من الملا صدرا مثلاً أو غيره من الفلاسفة ، بل على العكس فقد أعطى المجتمع هذا السير والسلوك ونقله من الحالة الشخصية إليه وإلى الساحة ، فبدأ بالسفر الفلسفي - حسب تطبيقات الملا صدرا عندما سافر السفر الأول (من الخلق إلى الحق) وهو مالم يتحقق إلا على يديه وفي ظل ولايته .

٥ - والذي يظهر من خلال متابعة التحصيل العلمي للسيد محمد الصدر رحمته إن معظم أساتذته كالسيد محمد باقر الصدر والسيد الخميني والسيد الخوئي - قدست اسراهم - كانوا كذلك من أتباع مدرسة الحكمة المتعالية .

٦ - انطبع ذلك التأثير في مجمل النتاج الفكري للسيد الصدر - قد - الذي يلاحظ عليه وبوضوح جنبه فلسفية تنتمي في مفاصل كثيرة منها إلى مناهج الملا صدرا في الفلسفة والحكمة ، وهو بكل تأكيد ناتج عن التأثير الذي أوجدته تلك المدرسة في

الهوامش :

- ١- المظفر ، محمد رضا ، اصول الفقه ، ط ٦ ، دار التفسير ، ١٤١٩ هـ ، قم ، ج ١ - ص ١٠ .
- ٢- الصدر ، محمد محمد صادق ، فقه الاخلاق ، ج ٢ - كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٣- يشمل مصطلح (الحقائق الوجودية) كل الموجودات المادية والمعنوية الموجودة في عالم الامكان ووفقاً لهذا الاعتبار تكون " الاحكام الشرعية " من ضمن تلك الممكنات ، ومن هنا يمكن ان نفهم قول المظفر - قد - في اصوله ج ١ - ص ١٨١ (العلم بالحكم الشرعي لا بد له من علة لاستحالة وجود ممكن بلا علة) .
- ٤- روح الله الخميني و رسالة الطلب والارادة ، ص ١٥٢ .
- ٥- بتصريف من محاضرات في الايدلوجية المقارنة ، محمد تقي مصباح اليزدي ، ص ١٤ .
- ٦- المظفر - مصدر تقدم ذكره ، ج ١ - ص ١٠ .
- ٧- مناهج المعرفة ، كمال الحيدري ، دار فراق ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ ، ص ٢٥ .
- ٨- الصدر ، محمد باقر ، الفتاوي الواضحة وفقاً لمذهب اهل البيت ، دار التعارف ، ص ٧٠٧ .
- ٩- شرح الاسماء الحسنى ، وشرح دعاء الجوشن الكبير ، للحكيم المتاله مولى هادي السبزواري ، تحقيق د : نجف قلي حبيبي ، ص ٢٣٤ .
- ١٠- الصدر ، محمد محمد صادق ، الجمعة الخامسة ، ١٨ - محرم ١٤١٩ هـ ، خ ١ .

- ١١- الصدر ، محمد محمد صادق ، منهج الاصول ، دار الاضواء ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، بيروت ، ج ٥ - ص ٢٣٧ .
- ١٢- محمود الهاشمي ، بحوث في علم الاصول ، ج ١ - ص ٢٩١ .
- ١٣- الصدر ، محمد محمد صادق ، الجمعة الثلاثون ، ١٦ رجب ١٤١٩ هـ ، خ ٢ .
- ١٤- حيدر الاملي ، جامع الاسرار ، ص ٤٩٨ .
- ١٥- مجموعة مقالات الطباطبائي ، سيد هادي خسرو ، ط ١ ، ج ١ - ص ٣٩ .
- ١٦- فلسفة السهروردي ، ص ١٧ .
- ١٧- انظر الحيدري ، مناهج المعرفة ، ص ٩٨ - ٩٩ .
- ١٨- انظر الحيدري ، مناهج المعرفة ، ص ١٠١ .
- ١٩- الطباطبائي ، مجموعة مقالات ، ج ٢ - ص ٦ .
- ٢٠- الصدر ، محمد محمد صادق الصدر ، منهج الاصول ، دار الاضواء ، ط ١ ج ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٦ .
- ٢١- الصدر ، محمد محمد صادق ، الجمعة ١٤ - ٢ ربيع الاول - خ ٢ .
- ٢٢- الصدر ، محمد محمد صادق الصدر ، منهج الاصول ، دار الاضواء ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ج ١ - ص ٦ .
- ٢٣- المصدر السابق .
- ٢٤- الصدر ، محمد محمد صادق ، الجمعة الخامسة ، ١٨ - محرم ١٤١٩ هـ ، خ ١ .
- ٢٥- من ذلك مناظرات ابن ابي العوجاء وابي شاكر الديصاني وابن المقفع وعبد الملك البصري مع الامام الصادق (عليه السلام) راجع الاحتجاج للطبرسي ج ٢ - ص ٧١ .
- ٢٦- رسالة الصحابة ، عبد الله ابن المقفع ، ضمن اعمال كاملة ، بيروت ، دار التوفيق ، ١٩٧٨ م .
- ٢٧- تاريخ الغيبة الصغرى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .
- ٢٨- الصدر ، محمد محمد صادق الصدر ، منهج الاصول ، دار الاضواء ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ج ١ - ص ٦ .
- ٢٩- محمد الصدر ، مئة المنان ، المقدمة .
- ٣٠- محمد الصدر ، مصدر سابق ، بحث البسملة .
- ٣١- الأعراف ، ٥٦
- ٣٢- محمد الصدر ، مصدر سابق ، مبحث البسملة.

الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي
باحث وأستاذ في حوزة النجف الاشرف

الجهود الفقهية والأصولية

لآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله
(ت ١٤١٤ هـ)

المقدمة :

تبقى مدرسة النجف الأشرف محور الدراسات الفقهية والأصولية وهي خصوصية عرفت منذ تأسيسها وعلى مدى تاريخها الطويل من الابتكار والتطور في مثل هذه الدراسات فضلاً عن الدراسات الإنسانية التي كان للنجف فيها اسهامات جليلة حظيت باهتمام كبير عند العلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم ، ولا يمكن أن ينظر إلى النجف خارج اطار تلك الدراسات وإن كان لها دور في العلوم الطبيعية ولكن لا يرقى إلى ما تتمتع به النجف من هيمنة علمية في الدراسات الفقهية والأصولية فأصبحت من أهم مراكز العلم في العالم مستقطبة الآلاف من الطلبة في العلوم الدينية تنهل من فيض علومها ونظرياتها .

إن الدراسات المعمقة في حوزتها قد أعطت ثمارها في فهم الشريعة الإسلامية وأبعادها الحقيقية في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وكان لها الدور الفعال في صياغة الواقع برغم الاضطهاد والقهر واكبت نشاطها العلمي ولن تنقطع أبداً في يوم من الأيام



ما يخص الشريعة الإسلامية من الناحيتين النظرية والتطبيقية، فقد عالج سماحته المسألة الأخيرة على المستوى العملي فكان مثلاً يحتذى به.

اهتم بتكثيف البحث الفقهي لأنه الأصل في العملية الاستنباطية بأسرها وما عداه مقدمات تمهيدية له، اعتمد على المصدرين الرئيسيين القرآن والسنة الشريفة وحدهما لأنهما ينبوع الشريعة ومنهما يستمد الفقيه أحكامه الشرعية بعيداً عن الاستدلالات الفلسفية والبرهانية المنطقية، فهو يميل إلى الذوق العرفي للشريعة ولا يرى للأبعاد الفلسفية والبراهين المنطقية أي أثر يذكر في الشريعة الإسلامية فان أحكامها معروضة بشكل أغلبه عرفي فهي لا تخص طبقة دون طبقة ولسان الشارع عام يتناول الجميع من دون استثناء وهذا ما تنبه له السيد أعلى الله مقامه، وعلى هذا المبنى سار في موسوعته الفقهية الرائعة، وهو نتاج من الطراز الأول وجديد في بابه بعد أن غزت الأدلة العقلية الصرفة والفقه الافتراضي بتفريعات لا مصاديق لها.

والنتاج الثاني كتابه المهم في الأصول وسنقف عندهما في هذا البحث الخاص

مع كل الرياح المعاكسة وقد عشنا أيام القهر والتسلط ودخول الزمر الطاغوتية إلى أماكن الدراسة وفي مسجد السبزواري رحمه الله، ومسجد الرأس وغيرها من المساجد، وكان الأساتذة يواظبون على التدريس وحضور الدرس بشكل ملفت للنظر مع كل هذه الخطورة.

هذا التواصل والتحدي رأيناه وفي أصعب الظروف التي مرت بها الحوزة العلمية ولم تنقطع عن العطاء العلمي في يوم من الأيام وكنا ندرس في جامع الخضراء وفي وقت مبكر جداً من الصباح فقد نجد أن باب الجامع مغلقاً، فيأمر أستاذنا رحمه الله بالدرس على بابه، ولم يتخلف أستاذنا عن الدرس إلا في ظروف قاهرة، وبهذا التواصل والعطاء لا يمكن للنجف العلمية أن تتوقف أو أن تجف.

كان من ثمار هذه المدرسة العريقة العديد من العلماء الأعلام على مدى تاريخها العتيق، ومن أبرزهم في عصرنا فقيه العصر آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله الشريف الذي أسهم وبشكل مباشر بجهود علمية في مختلف المعارف الفقهية والأصولية والتفسيرية والحديثية وكل

والشمولية في الأحكام الشرعية العامة للدين الإسلامي.

بعد هذه المقدمة لهذا البحث المتواضع الذي يهدف إلى بيان الجهود الفقهية والأصولية لعلم من أعلام المدرسة النجفية نبغ في أرجاءها ونال الدرجة العلمية الأولى في الفقه والأصول فحقاً أنه فقيه عصره، ولنا الشرف في الكتابة عن سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله الشريف، ومن الله العون والسداد والحمد لله رب العالمين.

بالجهود الفقهية والأصولية عند السيد رحمه الله، أن الجهادين دعوة إلى الأصالة ممزوجة بالتجديد والتأسيس للانطلاق نحو الفقه الاجتماعي، وهذا المنحى يطور الأدوات الفقهية والأصولية بالرجوع إلى خطوط الإسلام المستند إلى الكتاب والسنة ودراسة ذلك دراسة معمقة ومعرفة القواعد العامة التي أعطاها الإسلام للبشرية وصلاحيته لكل زمان ومكان من خلال هذه الرؤية الفقهية التي تدل دلالة واضحة على المواكبة والمعاصرة وهذه هي الصلاحية

المبحث الأول: الجهد الأصولي، النشأة والتطور

مرادات المعصوم عليه السلام في بيان الحكم، ولا يخفى ما لسيرة المعصومين عليهم السلام وحركتهم في المجتمع من بيان للتطبيقات ومساحاتها العامة وفق القانون الإلهي فالمعصوم محكوم به - لا على نحو الجبرية - لا يخالفه أبداً.

من هنا جاءت أهمية دراسة الحديث ومعرفة مراداتهم عليهم السلام، وهم قد شجعوا أصحابهم على اعتماد النص والافتاء على ضوء مراده، فكانت مدرسة النص هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في كتابه الجامعة أو كتاب علي أو صحيفة علي عليه السلام وكان الأئمة عليهم السلام يفتحونه وينظرون فيه ويسمون الجامعة^(١).

وهذه الجامعة احتوت علم الرسول صلى الله عليه وآله

علم الأصول:

نشأ علم الفقه من علم الحديث واستقل بعد تطوره في البحث عن الأدلة التفصيلية التي تعرف بها الأحكام الشرعية المستمدة من مصدرين هما القرآن والسنة الشريفة، وما زالت العلاقة قائمة ما بين علم الحديث بل علومه في الدراية والرجال وفقه الحديث محل نظر العلماء ولا يمكن الاستغناء عن هذه العلوم في اصدار الفتوى ومعرفة الأدلة فإذا لم تعتمد الدراية والرجال فلا مناص من فهم كلام المعصوم وغريب الألفاظ فيه وهو فرع من فروع فقه الحديث الذي هو بالتالي علم من علوم الحديث يفهم كلام المعصوم والاستدلال على إجماله وعمومه وإطلاقه ومحكمه ومتشابهه وتفصيله وغيرها من

وما تحتاجه الأمة من بعده^(٢)، وعلى ضوء ذلك اهتمت مدرسة النص بالحديث وبدأت بالتصنيف مبكراً، فقد ألف أبي رافع إبراهيم بن مالك الانصاري (ت ٤٠هـ) في السنن والأحكام والقضايا، وبرير بن خضير الهمداني (ت ٦١هـ) له كتاب القضايا والأحكام، وعلي بن أبي رافع له كتاب في فنون الفقه، وربيع بن سميع له كتاب في زكوات النعم، وعبيد بن محمد بن قيس البجلي له كتاب في الفقه وغيرهم ممن صنف حسب المواضيع الفقهية^(٣).

ثم في عصر النشاط العلمي أسس الامام الباقر عليه السلام علم الأصول وتوسع في عصر الامام الصادق عليه السلام وقد املوا على أصحابهما قواعد وأول من صنف فيه هشام بن الحكم صنف كتاب (الألفاظ ومباحثها)^(٤) ولم يصل هذا الكتاب إلينا وفقد كما فقدت الآلاف من الكتب، وأول مدون في الأصول وصل إلينا هو رسالة الشافعي (ت ٢٠٤هـ) فعُدَّ أول من صنف في هذا العلم، ولكن الامامية لهم سبق في تأسيس هذا العلم منذ القرن الأول الهجري وفي عصر النشاط العلمي في المدينة المنورة ومدينة الكوفة، ومع وجود النص فقد علم الأئمة عليهم السلام

أصحابهم في إرساء القواعد الكلية واستخراج الفرعيات من الأحكام وفي إطار فهم النص وألفاظه لذا صنف الأصحاب في هذا العلم مبكراً وممن صنف فيه :-

١ - هشام بن الحكم الشيباني (ت ١٩٩هـ)، له كتاب الألفاظ، ويعد أول من صنف في علم الأصول.

٢ - يونس بن عبد الرحمن له كتاب علل الحديث وكتاب اختلاف الحديث.

٣ - الحسن بن موسى النوبختي له كتاب الخصوص والعموم وكتاب في خبر الواحد والعمل به.

٤ - إسماعيل بن علي بن إسحاق النوبختي شيخ متكلمي الامامية في القرن الثالث الهجري له كتاب الخصوص والعموم والأسماء والأحكام وكتاب نقض رسالة الشافعي وكتاب ابطال القياس وكتاب النقض على عيسى بن ابان في الاجتهاد.

٥ - الحسن بن علي بن أبي عقيل العماني من فقهاء القرن الرابع الهجري ويعد أول من عمل بالاجتهاد في الفقه الامامي وصنف فيه كتابه المشهور (التمسك بحبل آل الرسول) قد أدرج فيه الآراء الأصولية.

(ت ٦٧٦هـ) له كتاب معارج الأصول وهو: «عصارة الأفكار الأصولية المعاصرة له ولباب المطالب المهمة مع تهذيب المباحث وتنقيح الأدلة وتبويب المسائل بعيداً عن التكرار^(٦) والاطناب وبعثرة المطالب» .

١٢ - العلامة الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ) له كتاب تهذيب الوصول إلى علم الأصول كان عليه مدار التدريس في العراق وجبل عامل قبل ظهور كتاب المعالم^(٧) .

١٣ - الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ) له كتاب المعالم (معالم الدين وملاذ المجتهدين) ، ويعد هذا الكتاب الذي هو مقدمة في الأصل لكتاب فقهي استدلالي مستوعب لجميع الأبواب الفقهية إلا أنه لم يمهل الأجل المحتوم رحمه الله وأعلى مقامه ، فكتب الله سبحانه وتعالى لهذه المقدمة التي حظيت باهتمام كبير وعناية الطلبة والعلماء ومما وفقه الله عز وجل بها فتعلم الآلاف منها واقتربت به من دون ذكر اسمه ، وتعد هذه الدراسة حلقة الوصل بين افكار القدماء وما توصل إليه هذا العلم في مجال تطوره وهو أخريات القرن العاشر الهجري ، ولكنه استمر الدرس على

٦ - محمد بن احمد الجنيد أبو علي الكاتب الاسكافي (ت ٣٨١هـ) له كتاب كشف التمويه والالتباس في ابطال القياس .
٧ - أبو منصور النيسابوري له كتاب ابطال القياس .

٨ - الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) ويعد أول من صنف في جميع مباحث علم الأصول عند الامامية ولكن الكتاب فقد ووصل إلينا مختصره والمختصر له أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ) حيث أدرجه في كتابه كنز الفوائد وسماه المختصر في أصول الفقه .

٩ - السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) له كتاب الذريعة في أصول الشريعة حيث جمع فيه مباحث الأصول عند الشيعة الامامية .

١٠ - الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) له كتاب العدة في أصول الفقه وهو من أهم كتب الامامية التي لاقت شهرة عظيمة ويمثل مرحلة متطورة في هذا العلم ، وبقي هذا الكتاب كبقية كتب الشيخ الطوسي رحمه الله محور الدراسات ولعدة قرون حتى إلى ما بعد العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)^(٥) .

١١ - المحقق الحلي جعفر بن الحسن

- ما جاء فيه إلى أيامنا هذه ^(٨) .
- ١٤ - الشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ) له كتاب (زبدة الأصول) .
- ١٥ - الملا عبد الله التوني (ت ١٠٧١هـ) له كتاب الوافية في الأصول .
- ١٦ - السيد حسين الخونساري (ت ١٠٩٨هـ) له كتاب مشارق الشمس في شرح الدروس وهو وإن كان من الكتب الفقهية لكنه متضمن الآراء الأصولية له ، ونتيجة لمرانه العظيم في التفكير الفلسفي انعكس اللون الفلسفي على الفكر العلمي والأصولي بصورة لم يسبق له نظير ^(٩) .
- ١٧ - محمد باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦هـ) له كتاب الفوائد الحائرية ، وبجهود مدرسته استطاع أن يؤسس لحركة أصولية جديدة ضد التيار الاخباري آنذاك ^(١٠) .
- ١٨ - الميرزا القمي أبو القاسم بن المولى محمد حسن الجيلاني (ت ١٢٣١هـ) وهو من أعظم تلامذة الوحيد البهبهاني له كتاب قوانين الأصول وهو يدرس إلى عصور قريبة من زماننا ^(١١) .
- ١٩ - الشيخ محمد حسين (ت ١٢٦١هـ)
- له كتاب الفصول في الأصول وهو من الكتب الدراسية المهمة ^(١٢) .
- ٢٠ - الشيخ مرتضى الانصاري (ت ١٢٨١هـ) باني الأصول له كتاب دراسي مهم اسمه (فرائد الأصول) ويعرف في الأوساط العلمية بكتاب الرسائل فقد حوى الآراء الأصولية التي سبقتها والآراء التي توصل إليها ، وما زال هذا الكتاب محور الدراسات إلى اليوم منذ تأليفه ومنهجه فيه على ثلاثة مباحث هي القطع والظن والشك ، ويعد أهم كتاب في الأصول وعليه مدار المراحل الدراسية في مرحلة السطوح والبحث الخارج .
- ٢١ - المحقق الخراساني الشيخ محمد كاظم الآخوند (ت ١٣٢٩هـ) له كتاب الكفاية (كفاية الأصول) ، وهو كتاب يتعسر فهمه إلا لمن له خبرة لغوية وعلمية كبيرة لأنه قد تصل بعض عباراته حد الاغلاق ^(١٣) .
- وما زال هذا الكتاب من الكتب المنهجية في الحوزة العلمية بل هو من اصعب الكتب الأصولية على الاطلاق وهذا يرجع إلى قوة وعلمية المحقق الخراساني رحمه الله وينقل انه كان يحضر في محفل درسه ما يزيد على الألف طالب من بينهم أكثر من ثلثمائة

مجتهد^(١٤) ، وهو ما يدل على تمكّنه من الأبحاث العالية لهذا العدد الضخم من العلماء ، ومنحهم آخر النظريات الأصولية التي شرع فيها أستاذة الشيخ مرتضى الانصاري .

ثم توسع بحث الأصول عند تلامذته كثيراً ودخلت المباحث الفلسفية بشكل واسع جداً ، إذ تضخم هذا العلم على حساب علم الفقه ودخلت فيه الأبحاث التي لا فائدة ولا ثمرة علمية ولا عملية منها سوى الاطلاع واشغال الوقت الكثير في فك بعض العبارات وارجاع بعض الضمائر .

ثم كثر في عصرنا بحث التقارير كفوائد الأصول وهو تقدير لدرس المحقق الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ) بقلم تلميذه الشيخ محمد علي الكاظمي وأجود التقارير له بقلم السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ) ثم نهاية الافكار وبدائع الافكار تقارير بحث المحقق أغا ضياء العراقي (ت ١٣٦١هـ) ، الأول بقلم تلميذه الشيخ محمد تقى البروجردى والآخر بقلم الشيخ هاشم الأملي .

ثم ظهرت البحوث الفلسفية واضحة في كتاب (نهاية الدراية في شرح الكفاية)

للشيخ محمد حسين الاصفهاني (ت ١٣٦١هـ) وهو من تلامذة صاحب الكفاية ومن المقربين لديه^(١٥) .

وأغلب المؤلفات الأصولية جاءت شرحاً لكتاب الكفاية كحقائق الأصول للسيد محسن الطباطبائي الحكيم (ت ١٣٩٠هـ) ، ومنتهى الأصول للسيد الميرزا حسن البجنوردي (ت ١٣٩٥هـ) وغيرها من الكتب التي ظهرت في هذه الحقبة الزمنية .

ثم ظهرت تقارير بحث السيد الخوئي الذي دام طويلاً وتخرج على يديه العشرات من العلماء وهم مراجع الآن .

كانت مدرسته تعتمد الدقة العقلية والمباحث العالية فاسهمت بنظريات جديدة في علم الأصول منها نظرية التعهد ومسألة الوضع اللغوي ونظرية التحصيل ومسألة وضع الحروف ومن أهمها نقد نظرية الشهرة الفتوائية التي انطلق منها السيد في مبانيه الفقهية كلها والمعروف بين الأصوليين أن الشهرة الفتوائية إذا قامت على خلاف رواية معتبرة وكانت الرواية في متناول أيديهم فإنها تكشف عن عدم حجيتها وخروجها عن دليل الاعتبار وإن كانت مستندة إلى رواية ضعيفة فيها ، فإنها تكشف عن حجيتها وصدورها

المذاهب الإسلامية الأخرى، الذي غيب عن الساحة العلمية في مدرسة النجف الأشرف في العصور المتأخرة.

ثم ظهرت دراسة اصولية تجديدية من ناحية المنهج وعلى نحو التدرج فكانت حلقات السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ) وظهر منها الحلقة الأولى والثانية والثالثة وهو يستحق الدراسة والتأمل بأسلوب وعرض جديد بعيداً عن لغة التعقيد والانغلاق، والعلم يفهم بلغة عصره ومنه انطلق السيد الشهيد الصدر في تدوين حلقاته.

إن ما يعانيه الطالب كثيراً الكتب المنهجية المطولة التي تستغرق وقتاً كبيراً بل سنوات طويلة من عمر الطالب وخاصة كتب الأصول مثل الكفاية والرسائل لصعوبة فهمها وانغلاق عبارتها فضلاً عن طول المنهج الفقهي بدراسة دورات استدلالية يقوم بها المصنف نفسه ثم أن الطالب لا يعرف كيفية الاستدلال وطرقه بعد دراسة هذا المنهج المطول جداً.

ولما جاء دور السيد عبد الأعلى السبزواري ورأى طول المنهج الأصولي وكثرة المدخولات عليه، والمحاولات الحثيثة

عن المعصوم عليه السلام، وقد جرى العمل على ضوء نظرية الشهرة على طول التاريخ ^(١٦)، وذكر السيد نظرية المعيار في تمييز المسألة الأصولية بوجود الخلاف وإبداء النظر والرأي فيها فتخرج المسائل التي لا خلاف فيها مثل مبحث حجية الظواهر وأصالة الطهارة في الشبهات الحكمية ^(١٧).

وكتب العديد من تلامذته تقاريرته على شكل دورات أصولية تناولت آرائه وآراء صاحب الكفاية والشيخ النائيني وغيرهم.

ومع كل هذا الجهد الأصولي عند الامامية ظهرت عدة كتب بمنهجية جديد ومختلفة مثل كتاب أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر وهي محاضرات القيت في كلية الفقه آنذاك واعتبره مؤلفه الحلقة المفقودة بين كتاب المعالم والكفاية أو بين المنهج التقليدي والتجديدي وكتب بأسلوب جديد وبأمثلة حديثة ^(١٨)، ثم ظهرت ولأول مرة في عصرنا الدراسات الأصولية المقارنة فكان كتاب الأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم وهي أيضاً بحوث القيت في كلية الفقه المباركة التي كان في ثمارها أصول الفقه والأصول العامة للفقه المقارن وهو دراسة مقارنة مع أصول

عنه منطق الفقه، أو مقدمة له فالفقيه حتماً أدرك المقدمة.

ولم يكن السيد عليه السلام وحده أدرك حقيقة المقدمة والمنطق فأخذ منها ما أنتج موسوعة المذهب في الفقه، بل أن المعاصرين من العلماء أدركوا حقيقة علم الأصول كالسيد الخميني رحمه الله الذي حذف منه الزوائد وفضول الكلام واهتم بالأساس وناقش فيه في محفل درسه ^(٢٠)، بل أن تقارير تلامذته سميت بتهذيب الأصول، يقول الشيخ عبد الهادي الفضلي عن كتاب تهذيب الأصول: « ما قام به السيد السبزواري فإنه استبعد الفضول من علم الأصول واقتصر على ما يدخل منه في عملية الاستنباط » ^(٢١).

الثمرات العلمية والعملية:

اتسعت دائرة الأبحاث الأصولية في القرنين الأخيرين اتساعاً مفرطاً فدخلت الأبحاث الفلسفية والبراهين العقلية بشكل ملفت للنظر مما ضخّم المادة الأصولية إلى أعظم ما تكون وقد تكون الصفحة الواحدة يستغرق شرحها أيام متتالية والكتاب إلى سنوات متعددة ثم الحواشي والنقض والابرام وكلها أدلة عقلية فلسفية ومن ثم جزئية قابلة

على توسيعه بشكل يخرجها لأصل ما وضع إليه، فلم يكن في العصور الإسلامية الأولى له أي ذكر، ولكن لما احتاج علم الفقه الذي هو الأصل إلى علم يساعده في إيجاد الأرضية المناسبة لإجراء العملية الاستنباطية بدأت المحاولات لأبحاثه ضمن علم الكلام وما زال إلى اليوم بعض الأبحاث الكلامية هي رواسب المراحل الأولى قائمة.

إن علم الأصول نشأ اثر الاحتياج إلى النظريات التي تساند العملية التطبيقية وفروعها الفقهية، من هذه الرؤية انطلق السيد في تعامله مع هذا العلم، فتعرض أثرها إلى إشاعات انه يصنف في عداد الفقهاء ولا يصنف في عداد الأصوليين، ولم يعرف هذا التقسيم ومن اين أتى؟، فقد ذكروا أن الشيخ الآخوند اشتهر بالأصول والسيد اليزدي في الفقه وهذا تعبير فيه تسامح لأن كل فقيه أصولي ولا عكس ^(١٩).

ولكن يمكن لشخص أن يكون أصولياً بدراسة النظريات الأصولية ومعرفتها فيتعرض للسؤال الآتي: لماذا درست هذا العلم؟ فلا بد أن تكون الإجابة هي مقدمة لمعرفة علم الفقه والعملية الاستنباطية، أما الاكتفاء به وحده لا طائل منه، لذلك عبروا

واعتقدها فكتب كتابه في الأصول على ضوء هذه الرؤية مشيراً للمواضع المهمة والمواضع التي لا ثمرة علمية ولا عملية منها .

كان السيد عليه السلام يؤكد على الزوائد التي حصلت في هذا العلم لذلك يقول في مقدمته للكتاب : « أبرزتها في أسهل العبارات وأيسر الجملات خالية عن جميع الزوائد .. » ^(٢٣) .

كانت التسمية لهذا الكتاب بـ (تهذيب الأصول عن الزوائد والفضول) وهذه هي رؤيته لهذا العلم وما علق به من زوائد لا نفع لها وفضول لا طائل منها وهكذا هو مبناه بأن علم : « الأصول مقدمة وآلة للتعرف على الفقه وليس مطلوباً بالذات ، فلا بد أن يكون البحث فيه بقدر الاحتياج إليه في ذي المقدمة لا زائداً عليه » ^(٢٤) .

ومما اتفق عليه أن علم الأصول مقدمة لعلم الفقه بلا خلاف فلا يمكن أن يزيد عليه بالدرس والوقت والعمر ، فالقاعدة الأصولية هي المرجع إلى الفروع الفقهية فالعمل والزيادة أي الدرس والتحقيق على التطبيقات الفقهية وكيف يحصل التطبيق بعد الدراسة النظرية وإيجاد القاعدة الأصولية أما أن اقلب القاعدة بلحاظات هندسية ناتجة من التأمل الفلسفي مما لا طائل منه لأن

للاحتمالات والوجوه فهي تتشكل حسب النظر والتأمل ولا تثبت قاعدة كلية في طريق الاستنباط ، ومن هذا التراكم بدأت الدعوات الكثيرة للخروج من نفق الانسداد وبحث الاحتمالات التي قلبت من كل الاتجاهات وبدلاً من كونه مقدمة أصبح عائقاً عن الدراسات القرآنية لأنه شغل العمر كله فضاعت وسط ذلك علوم القرآن والسنة ، وأثناء خوضنا غمار تلك الدراسات لم نحصل على أية تطبيقات خارجية من عدة بحوث أتعبنا انفسنا في فهمها كمبحث المشتق والضد والانسداد ومن الجدير ذكره قول السيد محسن الأمين رحمه الله في كتابه (حذف الفضول عن علم الأصول) : « وضعناه بطريقة مختصرة واقتصرنا فيه ما لا بد منه لما رأينا المؤلفات في هذا العلم قد كثرت فيها الفضول التي أوجبت بعد الطريق وضياح العمر وجعلنا اسمه مطابقاً لمعناه » ^(٢٢) .

وهذه الدعوات لرفع الزوائد والمدخولات استمرت من عدة علماء وتعرض علم الأصول إلى انتقادات شديدة من أن أكثره لا ثمرة منه .

لقد رأى السيد السبزواري عليه السلام هذه الرؤية

١ - في بحث الحقيقة والمجاز ، قال :
« وبذلك كله يسقط البحث عن جملة كثيرة
من مباحث الحقيقة والمجاز التي أطيل فيها
الكلام من دون أن تكون فيها ثمرة علمية
ولا عملية »^(٢٨) .

٢ - في مبحث الالفاظ والحقيقة
الشرعية ، قال : « ومثل هذه الالفاظ كثير لا
يحصى مع انه لا ثمرة عملية ولا علمية لهذا
البحث رأساً »^(٢٩) .

٣ - في الجمع بين الصحيح والأعم ،
قال : « مع بطلان الثمرة العملية »^(٣٠) .

٤ - وفي بحث الصحيح والأعم ، قال :
« ثم أن الظاهر عدم الثمرة العملية لهذا
البحث »^(٣١) .

٥ - وفي بحث الصحيح والأعم ، قال :
« فلا ثمرة بينهما لا بالنسبة للأصول اللفظية
ولا العملية »^(٣٢) .

٦ - وفي إجراء بحث الصحيح والاعم في
المعاملات ، قال : « فلا ثمرة فيها أيضاً على
القولين »^(٣٣) .

٧ - وفي بحث المشتق ، قال : « لا ثمرة
في بساطة المشتق وتركبه بل لا ثمرة عملية
في أصل بحث المشتق »^(٣٤) .

الفقه يبتني على المحاورات العرفية وإلى ما
هو أقرب إلى الالهام لحقيقة الكتاب والسنة
وهما أساس الفقه والأصول من شؤونته^(٢٥) ثم
أن الاستغراق في المباحث الأصولية يستلزم
تلف العمر وعدم اعطاء علم الفقه حقه وهو
علم مدرسة أهل البيت عليه السلام^(٢٦) .

وينقل عن أبي الحسن المشكيني رحمته الله
صاحب الحاشية على الكفاية انه تأسف في
مرضه الذي توفي فيه على ضياع عمره في
تحرير الأصول والتعليق عليه^(٢٧) .

إن ما قام به السيد رحمته الله هو وقف ظاهرة
الطغيان الأصولي على أساس الاستنباط
ومحو الفقه من أساسه بهذه التوسعة والجهد
البدني والعلمي وضياع ذلك في مطالب لا
ثمرة علمية ولا عملية فيها وإن كانت فهي
خارج أصل الموضوع .

وهذه الدعوة للتهذيب جسدها على أرض
الواقع السيد رحمته الله وإن كانت هناك دعوات
ومصنفات ظهرت فحذفت الكثير من
المطالب ولكن السيد رحمه الله قد كتب
ذلك وناقشه ثم أعطى رأيه في المواضيع التي
لها نفع في العملية الاستنباطية من دون
حذف من أصل ، وبتعليقه على الكثير من
المواضيع التي سنذكر جملة منها : -

٨ - وفي بحث الطلب ، قال : « وحيث انه لا ثمرة عملية بل ولا علمية في هذه المسألة ، فلا وجه للتطويل بأكثر من ذلك » ^(٣٥) .

٩ - وفي مبحث العيني والكفائي ، قال : « ولا وجه للتطويل بأكثر من ذلك بعد كونهما من المبنيات عند متعارف الناس وبعد انتفاء ^(٣٦) الثمرة العملية والعلمية في هذا البحث » .

١٠ - وبعد أن أطال الكلام في مسألة اجتماع الأمر والنهي قال : « الظاهر انه لا ثمرة عملية لهذا البحث الطويل » ^(٣٧) .

١١ - وفي بحث استعمال العام في المخصص ، قال : « الظاهر انه لا ثمرة عملية بل ولا علمية لهذا البحث فلا وجه للاطالة بأكثر من ذلك » ^(٣٨) .

١٢ - وفي بحث الخطابات الشفاهية ، قال : « انه لا ثمرة عملية بل ولا علمية لهذا البحث بشقوقه وفروعه » ^(٣٩) .

١٣ - وفي بحث تعقيب العام بضمير يرجع إلى بعض افراده قال : « وعلى أي تقدير فلا ثمرة عملية لهذا البحث بعد تعيين المراد الواقعي بالقرينة » ^(٤٠) .

١٤ - وفي بحث تخصيص العام بالمفهوم ، قال : « فلا ثمرة عملية في هذا

النزاع » ^(٤١) .

١٥ - وفي بحث الأصول العملية وحصرها بأربعة ، قال : « وليس في البحث عن كيفية الحصر مطلقاً ثمرة عملية ولا علمية » ^(٤٢) .

١٦ - وفي بحث مراتب الحكم قرر انها مرتبة واحدة هي الفعلية ثم قال : « لا تترتب على هذه المراتب ثمرة عملية بلا ولا علمية » ^(٤٣) .

١٧ - وفي ذكره العلوم الدخيلة في العملية الاستنباطية قال : « وإن اشتملت على ما ليس فيه ثمرة عملية بل ولا علمية معتنى بها : -

١ . كجل مباحث الوضع .

٢ . والصحيح والأعم .

٣ . والمشتق .

٤ . واتحاد الطلب والإرادة .

٥ . وبحث الانسداد .

٦ . ونحوها مما هو كثير » ^(٤٤) .

١٨ - ومن إشارات الله ﷻ للتزود بعلم الأصول على الطالب الاكتفاء بالقدر اللازم والابتعاد عن الفضول والاحتمالات البعيدة ، فقال : « ولا عبرة بالدقيات العقلية والاحتمالات

الاصطلاحات بل ولا علمية معتنى بها أصلاً
بعد أن اتفق العلماء بل العقلاء على
تقديمها» ^(٤٨).

٢٢ - وفي الخاتمة ذكر: «تقدم الامارات
على الأصول للورود لأن الأصول مجعولة في
ظرف الحيرة المحضة وهي منتفية مع وجود
الامارة وهذا معلوم ولا وجه للاطناب فيه مع
انه لا ثمرة عملية في البين» ^(٤٩).

يرى السيد عليه السلام أن هذه المدخولات إلى
علم الأصول وتوسع البحث فيها واطالته مما
لا نفع فيه من جهة العمل لأن علم الأصول
منطق الفقه أو آلة له أو مقدمة من ناحية
وضع النظرية الأصولية ومدى استخدامها
وحجم المستخرجات منها ولا في هذه
المدخولات ثمرة علمية تساعد الفقيه في
البحث والتحقيق أو تجد له منهجية في
التعامل مع المفاهيم والمفردات العلمية.

البعيدة لعدم ابتناء الفقه عليها.. وتأليفات
الفقه الاستدلالي في هذه الاعصار وما قاربها
تشتمل على القدر اللازم من الأصول ويمكن
أن يعد الزائد عليه من الفضول» ^(٤٥).

١٩ - وفي دليل الانسداد، قال: «لا
نتيجة لدليل الانسداد أصلاً»، ومن قال
بالاحتياط: «يصير هذا النزاع أيضاً لفظياً بلا
ثمرة» ^(٤٦).

٢٠ - وفي مرتبة الفعلية يحتاج إلى وجود
الشرائط وفقد الموانع.. بلا فرق بين أن
يكون هذا التقدم تخصيصاً أو حكومة أو
وروداً إذ لا ثمرة عملية بينهما بل ولا علمية
معتنى بها» ^(٤٧).

٢١ - وفي ذكر القواعد اثبت انها عقلائية
أمضاها الشارع فلا حاجة لاتعاب النفس في
البحث عن سندها، ثم أن قاعدة الضرر
وتقديمها على نحو الجمع العرفي أو الحكومة
أو أي لفظ آخر «لا ثمرة عملية في هذه

المبحث الثاني: الجهد الفقهي

الحسن الاصفهاني .

٦ - تعليقة على منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم .

٧ - جامع الأحكام الشرعية وهو رسالة عملية لمقلديه .

٨ - منهاج الصالحين وهو أيضاً رسالة عملية لمقلديه اوسع من جامع الأحكام الشرعية .

٩ - مناسك الحج .

وبما اننا اقتصرنا على الجهد الفقهي والأصولي في هذا البحث لذلك لم نذكر المصنفات في غير الفقه والأصول فإن للسيد رحمه الله اسهامات علمية كبيرة في التفسير وتعليقات على كتب الحديث وله حاشية على كتاب بحار الأنوار وتعليقة على كتاب الوافي

كان الجهد الفقهي متميزاً عند السيد السبزواري رحمه الله في النتاج فاسفر عن موسوعة فقهية كبيرة هي (مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام) وقبل الكلام عن هذه الموسوعة الهامة سنتطرق إلى الجهود الفقهية الأخرى غير الموسوعة فقد ذكروا أن له عدة جهود منها :-

١ - تعليقة على مستند الشيعة للنراقي .

٢ - تعليقة على الحقائق الناضرة للبحراني .

٣ - تعليقة على جواهر الكلام للشيخ محمد حسن الجواهري .

٤ - تعليقة على العروة الوثقى للسيد اليزدي .

٥ - تعليقة على وسيلة النجاة لأبي

إشارته إلى خلو: « كتب أصحابنا في العبادات والمعاملات » من القواعد العامة بحسب المناسبات والفروع^(٥٥) ، لقد أشار في المقدمة إلى منهجه في الاستدلال بأحكام الكتاب المبين ونتائج أحاديث المعصومين عليه السلام^(٥٦) ، ويكاد يتفق الجميع أن الكتاب الكريم والسنة المعصومية هما مصدرا الأحكام في رسائلهم العملية واستدلالاتهم الفقهية .

مميزات فقه السيد السبزواري :

يذكر السيد عبد الستار الحسني في كتابه (الطاف الباري) أن فقهه يمتاز بعدة أمور :

١ - يوافق الأساليب العرفية التي ابتنى عليها الأئمة عليهم السلام في بيان الأحكام الإلهية .

٢ - خلوه عن الأدلة البرهانية التي يستدل بها في الكتب الفلسفية والمنطقية .

٣ - الاسلوب العلمي الميسر والعبارات الوجيزة الخالية من الحشو والزوائد وموسوعته الفقهية تختلف عن بقية الكتب الدائر أمرها بين الافراط في السهولة بحيث يخرجها عن الاسلوب العلمي والتفريط في الصعوبة والتعقيد .

٤ - كثرة الفروع الفقهية مع ذكر

للفيض الكاشاني وغيرها من الكتب في غير الفقه والأصول^(٥٧) .

موسوعة مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام :

هذه الموسوعة الفقهية هي عبارة عن شرح استدلالي على كتاب العروة الوثقى مع إضافة المتن وشرحه لبعض الأبواب الناقصة يقع في ثلاثين مجلداً^(٥٨) .

كان مشروع السيد السبزواري رحمته الله إعداد دورة فقهية متكاملة ، فيبدو أن اختياره كتاب العروة الوثقى الذي نال شهرة واسعة لاحتواءه الفروع الدقيقة ولكنه لم يستوعب كل الأبواب الفقهية فبادر السيد لتكملة الأبواب الفقهية الناقصة^(٥٩) كان موفقاً في مسعاه فقد اضاف العديد من الأبواب الفقهية واستدل عليها^(٦٠) بما اقتبسه من المأثورات عن الامام المعصوم أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق الأمين وسائر الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين المنتهية إلى رسول الله ﷺ ثم انه اقتصر من المطالب على أهمها ومن الدلائل على اتمها^(٦١) ، لم يصرح السيد في مقدمة كتابه عن كتاب العروة الوثقى أو انه يريد تكملته إلا

المستحدثات من المسائل .

٥ - استخراج الروايات التي هي بمنزلة الأصل والقاعدة والفروع ترد للقاعدة فإن وافقتها أخذ بها وإلا فلا بد من التأويل أو الطرح .

٦ - المعالجة الخاصة للروايات وطريقة معرفتها لا تيسر لكل أحد إلا لمن تنور قلبه وفكره بنور الحقيقة^(٥٧) .

إن الأسلوب الخاص المستنبط من الخطابات الشرعية المؤسسة لنظام الفرد والجماعة هي التعامل العرفي مع هذه النصوص المعروضة للأمة الإسلامية .

لذلك اعتقد السيد أن الفقه العرفي هو المطلوب لا الفقه العقلي الدقي فتعامل مع النصوص بهذا الذوق دون الغوص في الأدلة العقلية والفلسفية المعقدة التي تبعد الفقيه عن روح النص الشرعي^(٥٨) .

إن الاستدلال بالآية والرواية هو ديدن السيد السبزواري رحمته الله ، والرواية عنده إما معتبرة أو غير معتبرة ولم يرتض التقسيم الرباعي أو الخماسي واعتبر طريقة القدماء في الاستدلال على أن الرواية معتبرة من جهة صدورها وهو كاف في الاعتبار ، ويعتبر

المشهور ويرى أن القواعد الفقهية هي قواعد عقلائية كقاعدة السلطنة وقاعدة الضرر وقاعدة الميسور أمضاها الشارع^(٥٩) .

هذا الجهد الموسوعي كان نتيجة لقراءات طويلة مع التمعن والتفكر فذكر أنه قرأ موسوعة الجواهر ست مرات وموسوعة البحار مرتين وكتاب القضاء من الوسائل ستين مرة وباحث ثلاث دورات فقهية ودورتين كاملتين في كتاب المكاسب^(٦٠) ، وهذا الاطلاع الواسع بتمعن وإدراك على المستويين المستوى النظري والمستوى العملي التطبيقي أوجد ملكة خاصة لا تتوافر عند كل أحد في الرؤية الفقهية المرادة من الفقيه في استنباط الأحكام الشرعية ، أن ملكة الاجتهاد زرعها الأئمة عليهم السلام في أصحابهم كزرارة ومحمد بن مسلم وإبان بن تغلب وغيرهم فكانوا يفتون مع وجود المعصوم ضمن إطار النص لا خارجه وهذه هي المرحلة التعليمية والبدائية الحقيقية لجذور الاجتهاد عند الامامية برعاية الأئمة أنفسهم لتأسيس مرحلة مابعد فقد النص ، فالرجوع إلى النص وفهمه وبيان دلالاته هو العملية الاستنباطية لمعرفة الحكم الشرعي من مصدره القرآن الكريم والسنة الشريفة

ولو استعرضنا هذه الموسوعة نجد ذلك واضحاً في التطبيقات الفرعية الناتجة من المبنى الأصولي على المنهج العرفي في التطبيق الفقهي وهو على طول الموسوعة من أولها إلى آخرها، ولا يمكن لنا أن نستعرض كل المنهج في هذا البحث المتواضع الذي لا يمكن أن يرقى لفهم مدارك المبنى العرفي في موسوعة المذهب الرائعة، ولكننا سنبحث في إحدى موضوعاتها المعاصرة وكيف عالجهما سماحته فقهياً وهو مما يسعنا في البحث.

الفقه المعاصر، عقد التأمين نموذجاً:

في الجزء الثامن عشر من الموسوعة نجد بحث التأمين بعنوان « فصل في التأمين » وقد عرفه بأنه: « الالتزام بتدراك النقص أو التلف بما هو المقرر عندهم في شيء بعوض معين »^(٦١)، في حين عرفه السيد الشهيد محمد الصدر رحمته الله: « عقد تخصص له شركات حكومية أو أهلية لتنفيذه ومضمونه: التعويض ضد حادث معين »^(٦٢)، وإذا قيل أن العقود مسمأة وغير مسمأة فالتأمين عقد غير مسمى في صدر الإسلام ولم يعرفه الصدر الأول من

وهذا ما لم يتعداه السيد رحمته الله، أن المنهج الذي اعتمده كان هو المقرر والمعتبر عند الأئمة أنفسهم ومع اشاراتهم لأصحابهم في الافتاء على ضوء النص ودخله ومعرفة اللفظ ومعانيه يكفي في الافتاء على رأي مدرسة النص، ومع تقادم الزمن وفقد بعض القرائن لابد من النظر في الروايات وتحديد درجاتها ثم البناء على ما جاء فيها من أحكام بالنسبة للدليل اللفظي الذي اهتم به اشد الاهتمام ودونت المصنفات في رواياتهم أي أقوالهم وربما شيء من أفعالهم ولكن السنة الفعلية لم تأخذ المساحة التي أخذتها السنة القولية وكذا التقريرية التي تبين الفقه بأوسع مجالاته الحياتية.

كان الفقه العرفي هو الأقرب والجامع المشترك لفهم هذه الأحكام الشاملة التي لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأعطت لها حكماً من الأحكام التكليفية أو الوضعية التعبدية أو التوصيلية المعللة أو غير المعللة وقد تساوى الجميع في الأحكام العالم والجاهل بالفقه العرفي اقرب وأكثر فهماً ومسامحة بين الناس، وباحساس انه نابع منهم ومهتم بهم ويراعي مصالحهم باعتبار أن الأحكام المعللة بالمصالح والمفاسد.

الأصحاب ، ويتفق السيد الصدر والسيد السبزواري في أن عقد التأمين عقد مستقل صحيح ولازم ^(٦٣) .

استدل السيد السبزواري بعموم قوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٦٤) ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ ﴾ ^(٦٥) ، هذا هو الاستدلال بالمصدر الأول وهو القرآن الكريم وهي نصوص عامة تحتاج في إيرادها تفحص السنة الشريفة لمعرفة انه يمكن العمل بالعام أو كما يقولون لا يمكن العمل بالعام إلا بعد الفحص عن المخصص ، فعلى هذه القاعدة لابد من فحص الروايات في موضوع العقود وهل يمكن العمل بعموم الآية فلكي يبين العمل بالعموم يستدل بقول الرسول الأعظم ﷺ : « المسلمون عند شروطهم » وقول أبي عبد الله الصادق عليه السلام في صحيح محمد بن مسلم : « استوثق من مالك ما استطعت » ، ومنهما يستدل أن شمول الجميع لكل عقد عرفي إلا ما ورد الردع عنه وهنا لم يرد الردع عنه ^(٦٦) .

ويمكن أن يفهم منه قاعدة عامة من شمول العمومات والاطلاقات لكل عقد عرفي لم يردع عنه الشارع مع فقدان دليل

الردع فيكون العموم والاطلاق مسلم ^(٦٧) ، ويبدو أن الدليل العرفي معتبراً لدى السيد الشهيد محمد الصدر أيضاً في قوله : « ما لم يرجع إلى أمر تقريبي يرضى العرف بالتسامح فيه ولا يكون أحد الطرفين مغرراً به ^(٦٨) ومخدوعاً » .

ثم يرفع السيد السبزواري الشكوك حول هذا العقد بالاجابة عن الاشكالات المعروضة وهي :-

- ١ - أن العقود منحصرة فلا يتعدى عنها .
- ٢ - أن العقود توقيفية .
- ٣ - بطلانه بالاجماع .
- ٤ - بطلانه بأصالة عدم ترتب الأثر .

الجواب عن الأول : والحصص استقرائي وليس عقلياً وبحسب تلك الازمنة ولم يشهد مثل هذه العقود في زماننا اليوم ^(٦٩) .

والجواب عن الثاني : أكد الشارع على موضوع العقود والايقاعات بأنها عرفية بحسب اللغة والمحاوراة أيضاً .

والجواب عن الثالث : من أين يحصل الإجماع ولا أثر له في كلمات القدماء لأنه من الفقه المعاصر والمسائل المستحدثة .

العقود اللازمة لقاعدة أصالة اللزوم في كل عقد إلا ما خرج بالدليل وهو مفقود في المقام^(٧٢).

المعروف أن التأمين عقد بين اشخاص وشركات التأمين هذا أوضح مصاديقه وأنه يمكن أن يجري بين الافراد انفسهم، ويذكر أهل القانون الوضعي أن الشركة شخصية معنوية يمكن التعاقد معها ورفع الدعوى القضائية عليها، فإن كان التأمين مع الأفراد فيكون الإيجاب والقبول بينهما وإذا كان الافراد مع الشركات وهو الغالب فالإيجاب من المستأمن والقبول من المؤمن (أي الجمعية أو الشركة) أو بالعكس وكله صحيح^(٧٣).

ولمعرفته الواسعة في الأحاديث وتضلعه بها ففي تعليقه على كتاب جواهر الكلام، قال رحمته: «فائدة: المنى كله منح» وهو هنا يعلق على جواز الذبح وهل لمنى حد أم لا؟ ولكن حدد قسم من الفقهاء مما أدى إلى إحراج في يومنا هذا بعد توسع الأعداد البشرية وعدم قدرة منى كم منطقة محددة لا يمكن تجاوزها سواء في المبيت أو مكان الذبح وهو مما يوافق حالنا اليوم فجاء قوله معلقاً على كتاب الجواهر: «ليس لمنى حد

والجواب عن الأخير: له الأثر عند تطبيق العمومات والاطلاقات^(٧٠).

ويمكن أن ييؤب في باب الجعالة فتشمله أدلتها أو أنه كالصلح مع العوض أو أنه هبة معوضة أو ضمان عين بالعوض، وعلى هذا لا بد من النظر في مقامين :-

الأول مقام الثبوت:

قال: «لا اشكال في صحة انطباق كل من هذه العقود على التأمين المتعارف».

الثاني مقام الاثبات:

وهو يتوقف على أمرين :-

أ. القصد والاختيار.

ب. قصد أصل العقد وذاته فينطبق عليه عنوان الاستقلالية مع أهم أركانه وهو الرضا^(٧١).

ولكن يمكن أن يقال أن القصد والاختيار والرضا مع الشروط العامة يصحح العقد بأدلة العموم والاطلاق وعدم الردع عن مثل هذه العقود ويمكن أن يشمل غير التأمين بنفس هذه الأدلة.

ثم يستدل السيد بأن عقد التأمين من

الأئمة عليهم السلام أيضاً كانوا يحجون ، ولم ينقل ناقل ولم يرو راو ولم يضبط في تاريخ انهم عليهم السلام أعادوا الموقف أو أعادوا حجهم أو أمرو أحداً من شيعتهم بذلك ... »^(٧٥) .

وللسيد عليه السلام عدة تعليقات مهمة على كتب فقهية لم تنشر بعد منها تعليقة على كتاب الحقائق الناضرة للشيخ يوسف البحراني وتعليقة على مستند الشيعة لأحمد النراقي وتعليقة على وسيلة النجاة لأبي الحسن الاصفهاني وتعليقة على كتاب منهاج الصالحين للسيد محسن الحكيم فضلاً عن تعليقة مهمة على كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام لمحمد حسن الجواهري وهي موسوعة فقهية كبيرة جداً لم يكتب مثلها وتعليقته على كتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي مع اكمالها وإضافة العديد من المطالب الفقهية المهمة والمستحدثة فخرجت موسوعة مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام كأخر جهد فقهي شهدت له الساحة العلمية بالاجلال والاكبار .

خلاصة البحث

استعرضنا في البحث المعنون بـ

محدود معين وهي تزيد زيادة سريعة فأين حد منى في عهد النبي صلى الله عليه وآله ؟ وأين حدها في هذه الاعصار ؟ وبينهما بون بعيد ، والظاهر اطلاق لفظ مكة أيضاً ، كذلك فمقتضى الاطلاق كفاية الذبح في أي مكان من منى ، صح اطلاق لفظ منى عليه ، ويشهد لما قلناه انه قد ورد التحديد لعرفات والمشعر الحرام في النصوص ولم يرد لمنى في الأخبار فراجع وتفحص^(٧٤) .

استدل السيد عليه السلام من الاطلاق عدم التحديد ، وبهذا اتسع المجال للحاج بالذبح والبيتوته بعدم وجود حد ثابت لمنى ، ومن كلامه انه قد ورد التحديد لعرفات والمشعر ولم يرد في منى ومنه يفهم قابليته ومعرفته واطلاعه الواسع جداً ، لذلك قطع بعدم ورود رواية لحدود منى أو انها تضع تحديدات لمنطقة منى في الروايات والأخبار .

وقال أيضاً في مسألة الإجزاء في الوقوف بل في الحج كله بين المسلمين وان اختلفوا في المواقيت واستظهر الامضاء من قبل الأئمة عليهم السلام بعدم إعادة الموقف بعرفة أو المزدلفة أو إعادة الحج واعتبر السيد عليه السلام ذلك قرائن دالة على الإجزاء والامضاء فقال : « وكانت الشيعة تحج في زمانهم بل

١ - (تاريخ النظرية الفقهية في المدرسة الامامية) ، مجلة تراثنا ، فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليه السلام لاهياء التراث ، العددان الأول والثاني ، السنة الثانية والعشرون ٨٥ و ٨٦ لسنة ١٤٢٧ هـ .

الأمين ، محسن العالمي (ت ١٣٧١ هـ) .

٢ - حذف الفضول عن علم الأصول ، (قم : انتشارات التشيع ، ١٤٢٣ هـ) .
الحسني ، عبد الستار .

٣ - الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري ، (قم : كوثر ، ١٤٢٥ هـ) .
الحكيم ، محمد جعفر .

٤ - تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية ، (بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٤٢٣ هـ) .
حيدر ، أسد .

٥ - جامعة الامام الصادق ومدارس الإسلام الأخرى ، اعداد وتلخيص : عباس الموسوي (كمال السيد) ، (قم : قدس ، ١٤٢٨ هـ) .
الحيدري ، كمال .

٦ - معالم التجديد الفقهي معالجة اشكالية الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٩ هـ) .

الربيعي ، حسن كريم ماجد .

٧ - (الجامعة أول مدون في الحديث) بحث منشور في مجلة ينابيع فصلية تصدر عن

(الجهود الفقهية والأصولية لآية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله الشريف (ت ١٤١٤ هـ) وقد توصلنا إلى النتائج الآتية :

١ - في علم الأصول كانت هناك وقفة ضد التوسع الأصولي غير المثمر المؤدي بالتالي إلى ضياع أساس العملية الاستنباطية بالاتجاه الفلسفي والبرهاني المنطقي وأغلبه افتراضات ليس لها مصاديق أو تطبيق وبتعبير السيد لا ثمرة علمية ولا عملية .

٢ - اثبات المبنى الأصولي الأساس في العملية الاستنباطية على العرف .

٣ - بعد اثبات ذلك كان نتاج السيد موسوعة فقهية تتناسب مع المبنى العرفي العام مع كثرة التفريعات الفقهية على أساسه والمبني كذلك على الأخذ بالمصدرين فقط مع الابتعاد عن المباني العقلية الدقيقة الفلسفية إلا عند اثبات الطريق العقلاني لبعض القواعد الفقهية التي أمضاها الشارع المقدس .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
الأعرجي ، زهير .



١٥ - دروس في أصول فقه الامامية، مؤسسة أم القرى ١٤٢٠هـ.

الفياض، محمد إسحاق.

١٦ - (مظاهر الابداع الأصولي في فكر الامام الخوئي) بحث منشور في مجلة الاجتهاد والتجديد، فصلية متخصصة بقضايا الاجتهاد والفقه الإسلامي، تصدر عن مركز البحوث المعاصرة في بيروت، العدد الأول ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

القطيفي، ضياء السيد عدنان الخباز.

١٧ - العارف ذو الثغفات قراءة تحليلية للأبعاد المشرقة من حياة سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله، (قم: وفا، ١٤٢٧هـ).

محفوظ، حسين علي.

١٨ - جوانب منسية في دراسة السنة النبوية، (بغداد: مطبعة الشموع، ١٤٢٦هـ).

المحقق الحلي، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى (ت ٦٧٦هـ).

١٩ - معارج الأصول، تحقق: محمد حسين الرضوي الكشميري، (قم: سرور، ١٤٢٣هـ).

محمد، حسين نجيب.

٢٠ - جمال السالكين العالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري، (قم: مهر، ١٤٢٥هـ).

المدرسي، محمد تقي الحسيني.

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية العدد ١٧ السنة الرابعة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٨ - نظريات فقهية معاصرة، محاضرات غير منشورة لطلبة الكلية الإسلامية الجامعة، قسم الفكر الإسلامي والعقيدة.

السبزواري، عبد الأعلى (ت ١٤١٤هـ).

٩ - تعليقة على جواهر الكلام، اعداد: السيد محمد تقي الحجار.

١٠ - تهذيب الأصول عن الزوائد والفضول، (بيروت: الهادي، ١٤١٧هـ).

١١ - مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، (قم: فروردين، ١٤١٣هـ).

الصدر، محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ).

١٢ - المعالم الجديدة، (قم: شريعة، ١٤٢٥هـ).

الصدر، محمد محمد صادق الصدر.

١٣ - منهج الصالحين، (النجف الأشرف: مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر، ١٤٢٩هـ).

العلامة الحلي، الحسن بن مطهر (ت ٧٢٦هـ).

١٤ - ارشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، تحقق: فارس الحسون، (قم: جماعة المدرسين، ١٤١٠هـ).

الفضلي، عبد الهادي.

٢١ - الفقه الإسلامي تعليقات على العروة الوثقى ومهذب الأحكام ، (بيروت : دار القارئ ، ١٤٢٧هـ) .
٢٢ - مع علماء النجف الأشرف ، مراجعة وتصحيح : رياض الدباغ ، (قم : شريعة ، ١٤٢٦هـ) .

مغنية ، محمد جواد .

الهوامش:

- ١- محفوظ ، حسين علي : جوانب منسية في دراسة السنة النبوية ، (بغداد ، مطبعة الشموع ، ١٤٢٦هـ) ، ص ١٩ .
- ٢- للمزيد ينظر : الربيعي ، حسن كريم : ((الجامعة أول مدون في الحديث)) بحث منشور في مجلة ينابيع فصلية تصدر عن مؤسسة الحكمة الثقافية الإسلامية ، العدد ١٧ ، السنة الرابعة ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م ، ص ٩٤ .
- ٣- الاعرجي ، زهير : ((تاريخ النظرية الفقهية في المدرسة الامامية)) مجلة تراثنا ، فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت (عليه السلام) للاحياء التراث ، العددان الأول والثاني السنة الثانية والعشرون ٨٥ و ٨٦ ، لسنة ١٤٢٧هـ ، ص ٩٧ .
- ٤- حيدر ، اسد : جامعة الامام الصادق ومدارس الإسلام الأخرى ، اعداد وتلخيص : عباس الموسوي (كمال السيد) ، (قم ، قدس ، ١٤٢٨هـ) ، ص ١٨٠ .
- ٥- الربيعي ، حسن كريم : نظريات فقهية معاصرة ، محاضرات مادة النظريات ، ص ٣٧ .
- ٦- المحقق الحلي ، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي : معارج الأصول . تحقق : محمد حسين الرضوي الكشميري ، (قم : سرور ، ١٤٢٣هـ) ، ص ٤٨ مقدمة المحقق .
- ٧- العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر : ارشاد الازهان إلى أحكام الإيمان ، تحقق : فارس الحسون ، (قم : جماعة المدرسين ، ١٤١٠هـ) ، ج ٦ ، ص ٨٦ ، مقدمة المحقق .
- ٨- الحكيم ، محمد جعفر : تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية ، (بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٤٢٣هـ) ، ص ١٨٣ .
- ٩- الصدر ، محمد باقر : المعالم الجديدة ، (قم : شريعة ، ١٤٢٥هـ) ، ص ١٠٦ .
- ١٠- الصدر : المعالم الجديدة ، ص ١٠٨ .
- ١١- الحكيم : تاريخ وتطور ، ص ٢٠٣ .
- ١٢- المرجع نفسه ، ص ٢٠٦ .
- ١٣- الحكيم : تاريخ وتطور ، ص ٢٠٩ .
- ١٤- المرجع نفسه ، ص ٢١٠ .
- ١٥- المرجع نفسه ، ص ٢١٢ .
- ١٦- الفياض ، محمد إسحاق : ((مظاهر الابداع الأصولي في فكر الامام الخوئي)) بحث منشور في مجلة الاجتهاد والتجديد ، فصلية متخصصة بقضايا الاجتهاد والفقه الإسلامي تصدر عن مركز البحوث المعاصرة في بيروت ، العدد الأول ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٠٨ .
- ١٧- المرجع نفسه ، ص ١١٤ .

- ١٨- الحكيم : تاريخ وتطور ، ص ٢١٦ .
- ١٩- مغنية ، محمد جواد : مع علماء النجف الأشرف ، مراجعة وتصحيح : رياض الدباغ (قم : شريعة ، ١٤٢٦هـ) ، ص ١٣٦ .
- ٢٠- الحيدري ، كمال : معالم التجديد الفقهي معالجة اشكالية الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي ، (بيروت : دار الهادي ، ١٤٢٩هـ) ، ص ٦٥ .
- ٢١- الفضلي ، عبد الهادي : دروس في أصول فقه الامامية ، مؤسسة أم القرى ، ١٤٢٠هـ ، ص ٨٧ .
- ٢٢- الأمين ، محسن : حذف الفضول عن علم الأصول ، (قم : انتشارات التشيع ، ١٤٢٣هـ) ، ص ٣ .
- ٢٣- السبزواري ، عبد الأعلى الموسوي : تهذيب الأصول عن الزوائد والفضول ، (بيروت : الهادي ، ١٤١٧هـ) ، ج ١ ، ص ٥ .
- ٢٤- المرجع نفسه ، ص ٦ .
- ٢٥- المرجع نفسه : ص ٦ .
- ٢٦- محمد ، حسين نجيب : جمال السالكين العالم الرباني السيد عبد الأعلى السبزواري ، (قم ، مهر ، ١٤٢٥هـ) ، ص ٣١ .
- ٢٧- المرجع نفسه ، ص ٣١ .
- ٢٨- التهذيب ، ج ١ ، ص ٢١ .
- ٢٩- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦ .
- ٣٠- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣١ .
- ٣١- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣١ .
- ٣٢- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- ٣٣- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- ٣٤- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦ .
- ٣٥- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٧٢ .
- ٣٦- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ٨٦ .
- ٣٧- التهذيب ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
- ٣٨- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
- ٣٩- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٠ .
- ٤٠- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .
- ٤١- المرجع نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- ٤٢- المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٧ .
- ٤٣- المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩ .
- ٤٤- المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
- ٤٥- التهذيب ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

- ٤٦- المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ١٤٤ .
- ٤٧- المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٧ .
- ٤٨- المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٢٤٢ .
- ٤٩- المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٢٩٢ .
- ٥٠- محمد ، جمال السالكين ، ص ٢٧ .
- ٥١- محمد ، جمال السالكين ، ص ٢٥ .
- ٥٢- المدرسي ، محمد تقي الحسيني : الفقه الإسلامي تعليقات على العروة الوثقى ومهذب الأحكام ، (بيروت : دار القارئ ، ١٤٢٧هـ) ، ج١ ، ص ٧ .
- ٥٣- للمزيد : في معرفة الأبواب الفقهية في كتاب العروة الوثقى ومهذب الأحكام ، ينظر : المدرسي ، الفقه الإسلامي ، آخر الجزء الرابع .
- ٥٤- السبزواري ، عبد الأعلى : مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام ، (قم : فروردين ، ١٤١٣هـ) ، ج١ ، ص ٥ المقدمة .
- ٥٥- المهذب ، ج١ ، ص ٥ المقدمة .
- ٥٦- المرجع نفسه ، ج١ ، ص ٥ .
- ٥٧- الحسيني ، عبد الستار : الطاف الباري من نفحات الامام السبزواري ، (قم : كوثر ، ١٤٢٥هـ) ، ص ٧٩ .
- ٥٨- محمد : جمال السالكين ، ص ٢٨ .
- ٥٩- القطيفي ، ضياء السيد عدنان الخباز : العارف ذو الثغفات ، قراءة تحليلية للأبعاد المشرقة من حياة سماعة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره ، (قم : وفا ، ١٤٢٧هـ) ، ص ١٤١ .
- ٦٠- المرجع نفسه ، ص ١٥٠ .
- ٦١- مهذب الأحكام : ج١٨ ، ص ٢٢٠ .
- ٦٢- الصدر ، محمد محمد صادق : منهج الصالحين ، ((النجف الأشرف : مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد الصدر ، ١٤٢٩هـ) ، ج٣ ، ص ٣٩٤ .
- ٦٣- مهذب الأحكام ، ج١٨ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٩ ؛ منهج الصالحين ، ج٣ ، ص ٣٩٧ .
- ٦٤- سورة المائدة : الآية ١ .
- ٦٥- سورة النساء : الآية ٢٩ .
- ٦٦- مهذب الأحكام : ج١٨ ، ص ٢٢٠ .
- ٦٧- المرجع نفسه ، ج١٨ ، ص ٢٢١ .
- ٦٨- الصدر : منهج الصالحين ، ج٣ ، ص ٣٩٨ .
- ٦٩- المهذب : ج١٨ ، ص ٢٢١ .
- ٧٠- المرجع نفسه : ج١٨ ، ص ٢٢١ .
- ٧١- المرجع نفسه ، ج١٨ ، ص ٢٢٢ .
- ٧٢- المرجع نفسه : ج١٨ ، ص ٢٢٩ .

٧٣- المذهب ، ج١٨ ، ص ٢٢٨ .

٧٤- السبزواري : تعليقه على كتاب جواهر الكلام ، اعداد : محمد تقي الحجار ، باب الحج .

٧٥- السبزواري : تعليقه ، باب الحج .

✍ من آفاق الحوزة والمرجعية

م . د . عبد الكريم كاظم عجيل
باحث وأكاديمي من العراق

المرجعية الدينية ودورها في ترشيد وتوجيه الواقع السياسي العراقي عبر تصويب الرأي العام

المقدمة :

لقد أصبح للرأي العام أهمية بالغة في عالمنا المعاصر ، وتحول إلى ركن أساسي من أركان المجتمعات ، فلمواقف الرأي العام تجاه القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية الوطنية والإقليمية والدولية أهمية كبيرة في الوقت الحاضر ، فإذا كانت وظيفة الدولة هي إدارة المجتمع وتنظيم شؤونه ، فإن الوقوف على آراء المواطنين وميولهم هي إحدى أبرز الوسائل التي تمكنها من هذه الوظيفة ، لذلك أصبحت الدول بمختلف أنظمتها السياسية تعطي للرأي العام مكانة خاصة ، ومن هذا المنطلق يلعب الرأي العام دورا كبيرا في عملية صنع القرارات داخل الدولة ، إلا أن هذا الدور يبقى رهينا بمدى تمتع المجتمع بالوعي ، وبمدى قوة الرأي العام فيه ، والذي تلعب مجموعة من المؤسسات السياسية وغير السياسية دورا كبيرا في تشكيله وتوجيهه .



تنامي دورها الأساس والرئيس في الشؤون العامة ظهر جلياً بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، وبعد صعود التيارات السياسية الإسلامية خصوصاً إلى السلطة في العراق، حيث ظهرت مطالب شعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية الدينية في النجف الأشرف وعلى رأسها (آية الله العظمى السيد علي السيستاني حفظه الله) للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة .

وإزاء هذا الواقع تصدت المرجعية الشريفة لهذه المهمة من خلال مجموعة من الطرق والأدوات والوسائل، وستخصص في هذا البحث بدراسة دورها الشريف في تشكيل وتوجيه وتصويب الرأي العام، وجعله (الرأي العام العراقي) قوة لا يستهان بها . وللوصول إلى النتائج المرجوة سنقسم الدراسة إلى مبحثين وهي :

المبحث الأول : ماهية الرأي العام /
تأصيل الدور السياسي للمرجعية الدينية
المبحث الثاني : المرجعية الدينية ووسائل
تأثيرها بالرأي العام

فعملية تكوين أو تشكيل الرأي العام من العمليات المعقدة التي تمتد جذورها في مجالات مختلفة، ويتكون الرأي العام نتيجة التفاعل بين مجموعة من العوامل الفسيولوجية والوظيفية والاجتماعية والنفسية المتداخلة بحيث يمارس كل منها أثره في تكوين الرأي العام وتوجيهه، وسنعرض في صفحات هذه الدراسة أهم مقومات تشكل الرأي العام وتوجيهه، مع التركيز على دور المرجعية الدينية الشريفة التي كان وما زال لها الدور المهم في تعبئة الرأي العام وإنضاجه وتوجيهه بالشكل الصحيح .

ان الدور الفاعل الذي مارسه وتمارسه المرجعية الدينية الشريفة ليس بجديد، بل يجمع الباحثين والمتابعين على ان لها دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة، فدورها قبل سقوط النظام البائد لا يمكن لأحد إن يتجاهله، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى، حيث دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز، وساهم بعضهم في القتال فعلاً . غير إن

المبحث الأول : ماهية الرأي العام تأصيل الدور السياسي للمرجعية الدينية

النامي أينما وجد ، ولا شك ان أحداثاً ضخمة في تاريخ البشرية ما كان لها ان تتحقق وتحدث لولا إجماع كلمة الجماهير . وقد أصبح الرأي العام اليوم قوة كبيرة في مجتمعنا الدولي الحديث ، وذلك نتيجة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لهذا المجتمع ، ولتقدم العلم والتكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال ، ولم يعد في استطاعة أي حكومة من الحكومات اليوم الاستمرار في الحكم دون الحصول على الحد الأدنى من موافقة الجماهير^(١) .

ولم يتفق الباحثون على تعريف محدد للرأي العام ، وبشكل عام يمكن تعريف الرأي العام : انه حصيلة أفكار ومعتقدات ومواقف

نسعى في هذا المبحث التعرف على الإطار المفاهيمي للدراسة وذلك من خلال التعرف على ماهية الرأي العام ، والذي سنبحثه في المطلب الأول ، ثم نتناول تأصيل الدور السياسي للمرجعية الدينية في المطلب الثاني وكما يلي :

ماهية الرأي العام

شاع استخدام تعبير الرأي العام بمدلوله الحديث في خضم الثورة الفرنسية ولا عجب في ذلك ، فالثورة الفرنسية - كسائر الثورات الكبرى - ليست سوى لون من ألوان التعبير عن الرأي العام . علما ان الرأي العام كان قائما - بصورة او أخرى - على مر العصور ، فالرأي العام مرتبط بالمجتمع الإنساني

في المجتمع من يتحملون مسؤولية اتخاذ القرار .

ب - الرأي العام المنقاد : وتمثله الأكثرية الساحقة من الجماهير وهو يخضع لسيطرة وسائل الاعلام والتأثيرات الرأي العام القائد .

ج - الرأي العام المستنير : ويمثله المثقفون في المجتمع وهو كذلك يتأثر بالأعلام والدعاية بشكل نسبي وليس مطلق .

٢ - الرأي العام وفق معيار الانتشار وينقسم إلى : الرأي العام الوطني ، والرأي العام العالمي ، والرأي العام الإقليمي ، والرأي العام المحلي .

كما ان هناك عدة تصنيفات أخرى للرأي العام مثل رأي الأقلية ورأي الأغلبية والرأي العام اليومي او المؤقت والرأي العام المستقر او الكلي او الثابت وفق معيار الزمن ... الخ .

ولكي يكون الرأي العام معبراً فعلاً عن رأي الأغلبية السائدة فلا بد ان تتوفر مواصفات معينة في عملية تشكيل الرأي العام وهذه المواصفات هي :^(٤)

١ - العمومية : وتعني صفة الأجماع وتوافق آراء الجمهور (مجموعة من الأفراد)

الأفراد والجماعات ، إزاء شأن من شؤون تمس النسق الاجتماعي كأفراد او منظمات ونظم والتي يمكن ان يؤثر في تشكيلها من خلال عمليات الاتصال التي تؤثر نسبياً او كلياً في مجريات أمور الجماعة الإنسانية على النطاق المحلي او الدولي^(٢) .

وبعد التفاعل بين الأفراد والجماعات من العوامل المهمة في تغيير عناصر ثقافتهم واتجاهات سلوكهم ، فالناس لا يحبذون فقط تلقي المعلومات من الآخرين بل يودون أيضاً إيصال آرائهم ومشاعرهم اليهم ، وهكذا يشكل الاتصال بأنواعه المختلفة أساساً لهذا التفاعل فهو الوسيلة او الإدارة إلى التأثير والاتصال الجماهيري كأحد أنواع الاتصال والذي يشكل الاعلام بوسائله المختلفة أداته الرئيسة الفاعلة يدخل مع مصادر او قنوات أخرى في تشكيل وصيانة الرأي العام بصورته التقليدية المتعارف عليها ، ومن هذه المصادر الأسرة ، والتعليم ، والعلاقات الشخصية ، وغيرها . ويعتمد تصنيف الرأي العام على عدة محاور أساسية لعل من أهمها^(٣) :

١ - الرأي العام وفق المعيار الثقافي وينقسم إلى :

أ - الرأي العام القائد : ويمثله قادة الرأي

العامّة يعد باطلا ولا يمثل الرأي العام للجمهور .

هـ - الثبات والتقلب : يعد الرأي العام ظاهرة متغيرة تمثل الانتقال من حال إلى حال .

ومع ما تقدم فان للرأي العام في أي بلد من البلدان عوامل تكوينه المنبعثة من تأريخه وتقاليده وظروف البيئة والتراث الثقافي والمناخ النفسي لذلك البلد والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيه ، ومن تجاربه الذاتية وهذه العوامل متشابكة ومتفاعلة مع بعضها بحيث يؤثر احدها على الأخرى ، وهذه العوامل ليست عناصر نظرية مجردة او منعزلة ولكنها قوى فاعلة في مجال نابض بالحركة والتغير والتفاعل ولا يمكن فهمها الا باعتبارها مؤثرات متكاملة ، الا ان التطور المعاصر الذي أصاب وسائل الاتصال والأعلام وما رافق ذلك من تسارع في مستوى التقنية والمضمون داخل هذه الوسائل مما أعطى بعداً جديداً مؤثراً في صياغة ملامح الرأي العام على اختلاف مستوياته وتصنيفاته ، وفي ظروف العالم المعاصر أصبحت هذه القضية ذات أبعاد سياسي واجتماعي وثقافي بالغة الخطورة

إذ ان الرأي الواحد لا يعد رأياً عاماً ، وليس معنى ذلك ان الرأي العام يخضع للانفعال لأنه بمثابة حكم لا يعد رأياً عاماً . وليس معنى ذلك ان الرأي العام يخضع للانفعال لأنه بمثابة حكم الجمهور على موضوع ما بعد مناقشة كافية .

٢ - الحركية الديناميكية : إذ ان شعور المستهلك اتجاه سلعة معينة في وقت وظرف معين عرضة للتغير ، فالرأي العام لا يمتلك صفة الثبات الدائم أو الاستمرارية بل يتأثر بشتى الظروف المحيطة فهو بالتالي نوعاً من الحركة الديناميكية .

٣ - حرية التعبير : ان كل ما يؤثر على حرية اتخاذ القرار يؤدي إلى سلب حرية الرأي العام ويبعده عن أصلته ، فنقاء الرأي العام يتوقف على مناخ المجتمع العام ، ولا يتأتى الرأي العام إلا في جو صحي من الحرية الكاملة والديمقراطية ولا فانه يتحول إلى رأي كامن أو باطن لا يقدر على الظهور .

٤ - التوافق مع المصلحة : ان الرأي العام لا يجب ان يكون نتيجة انفعال وجداني في مجتمع ما أو نتيجة لسيطرة فئة على فئة أو طبقة على أخرى ، إذ ان الرأي العام هو رأي الأغلبية السائدة . فكل ما يخالف المصلحة

والأهمية لأنه من خلال التحكم بوسائل الاعلام والتلاعب بمضمونها تجري صيانة جديدة للرأي العام^(٥).

وعلى هذا الصعيد ادركت المرجعية الدينية منذ بداية التغيير أهمية العوامل المشكلة للرأي العام ولاسيما الاعلام الذي غالبا ما يكون ليس حراً ومدفوع الثمن، والذي اخذ مأخذه بالساحة العراقية التي كانت تتسم بالفوضى مع دخول القوات الأمريكية عام ٢٠٠٣، لذلك عملت المرجعية باعتبارها من اهم العوامل المشكلة والمصوبة للرأي العام، لمحاربة الظواهر السلبية القيم الدخيلة على المجتمع مع الانفتاح الجديد، كما عملت على رسم الأطر الصحيحة للعملية السياسية وتغذية الشارع العراقي بالمعلومات الأفكار السياسية المناسبة والتي تتلائم مع طبيعة العراق وقيمة، وسنسى في المطلب الثاني التعرف اكثر على أدوات ووسائل المرجعية الدينية للتأثير بالرأي العام.

تأصيل الدور السياسي للمرجعية الدينية

تعد الحوزة العلمية مؤسسة علمية

متخصصة في دراسة العلوم الفقهية الإسلامية، وارتبطت هذه المؤسسة بالمذهب الشيعي^(٦). وما يقارب من ألف سنة كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف أحد هم حواضر العراق دينياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً، ولا يكاد يخلو عصر من العصور او مرحلة من مراحل العراق في العصور الوسيطة والحديثة والمعاصرة إلا وكان للحوزة العلمية حضوراً بارزاً فيه، على الرغم من معاناتها في مراحل كثيرة من سيرتها من التضييق والاضطهاد ومحاولات الإلغاء إلا أنها بقيت تمارس دورها المتميز في مختلف الصعد^(٧).

ان دور المرجعية الدينية لا تدور في دائرة الفقه والإفتاء بالحلال والحرام فحسب، وإنما نقصد بها خط الإمامة، والذي في حقيقته قيادة الأمة، ورعاية مصالحها السياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى الجانب الفتوائي في الحلال والحرام، وهذا واقع المسؤولية الكبرى، التي أسندها الله إليهم بعد مسؤولية الأئمة^(٨).

لقد كان للمرجعية الدينية دوراً بارزاً في الأحداث الدينية والوطنية وكشفت مواقفها عن امتلاكها فكراً سياسياً يؤهلها تحمل

والدكتاتورية .

٨ - الدور الواضح مرجعية السيد محمد باقر الصدر بنشر الوعي الجهادي للدفاع عن مصالح الأمة ، ومطالبته بإنهاء العهد الدكتاتوري والعودة إلى واقع الأمة الأصيل ، ومن ابرز مواقفه السياسية تحريمه الانتماء إلى حزب البعث الحاكم .

٩ - تأييد الأمام الخوئي للانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ .

١٠ - مواقف مرجعية السيد السيستاني الراضية للاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ ، ودعمه لتشكيل العملية السياسية الجديدة .

ولم تخرج المرجعية الدينية في موقفها من النظام السياسي عن سابقتها ، فلم تدخل في صلب العملية السياسية بل بقيت على مسافة بعيدة نسبياً عنها مجنباً المؤسسة الدينية عن التدخل مع السلطة والاستفادة من الحكومة ، فقد طرحت المرجعية خيارات حالت دون فرض إرادة الأمريكيان ، حيث أرادوا فرض دستور منبثق منهم ، فأصرت على كتابة دستور بأيادي عراقية ، ودعت إلى استعادة السيادة العراقية بالطرق السلمية وإلى تشكيل حكومة عراقية

مسؤولية قيادة المجتمع ، والذي يعتبر جزءاً من مهامها السياسية ، إذ من الصعب فصل الدين عن السياسة ، وفي هذا الموقع يمكن ان نذكر بعض أبرز المواقف السياسية للمرجعية الدينية وهي ^(٩) :

١ - تشكل طلائع مسلحة لحماية النجف الأشرف من الغزو الإرهابي الوهابي عام ٥١٢١٨ .

٢ - محاربة الغزو الإنكليزي للعراق عام ١٩١٥ م .

٣ - دعم ثورة النجف ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ م .

٤ - دعم ثورة العشرين بقيادة الزعيم الديني الشيرازي .

٥ - الوقوف ضد معاهدة الانتداب البريطاني .

٦ - تأييد حركة مايس عام ١٩٤١ الانقلابية حفاظاً على استقلال البلاد وإنهاء التدخل الأجنبي .

٧ - المواقف الواضحة لمرجعية السيد الحكيم من الأنظمة الدكتاتورية ، حيث كان صوت الأمة قبال حكام الاستبداد

منتخبة من قبل برلمان منتخب، ومع كل ذلك تعاملت المرجعية بإيجابية، وأكدت على أنها تبقى راعياً ابوياً لكل المجتمع^(١٠).

ان مجمل خطابات السيد السيستاني التي يصدرها على شكل بيانات وفتاوى او خطابات يلقيها ممثلوه إلى ان الدولة الصالحة هي تلك التي تضمن المساواة بين المواطنين وتحترم التعددية والتنوع، وتقر بحقوق الأقليات، وتلتزم بمبدأ الانتخابات والتداول السلمي للسلطة، ويرفض السيد السيستاني أي شكل من أشكال الهيمنة الطائفية او النظام السياسي المستند إلى الطائفية والعرقية، ومن الملاحظ ان

ممارسات السيد السيستاني تطورت لتشمل تفاصيل دقيقة في المجتمع والساحة السياسية - (وهو ما قد يراه البعض تجاوزاً للدور المرسوم للفقهاء في منظومة السيستاني الفكرية والتي تتحدد بالنصح والإرشاد والتوجيه العام) -، وقد نجح السيد السيستاني في بعض من هذه التدخلات كتلك التي تتعلق بطلبة من حزب الدعوة الإسلامية تغيير مرشحه لرئاسة الوزراء عام ٢٠١٤، او فتواه التاريخية بالجهاد ضد داعش بعد احتلالها الموصل^(١١). ٢٢١ - ٢٢٢

المبحث الثاني: المرجعية الدينية ووسائل تأثيرها بالرأي العام

قضية او امر ما ، وكل هذه الوسائل والأدوات لها وقع كبير على الرأي العام أما بالتوجيه او التصويب او التشكيل ، وسنسعى للتعرف على هذه الوسائل وفقا لما يلي :

أولاً : الفتوى والبيانات :

يعد الفقيه في النظرية الشيعية الأمامية نائب للأمام ، وهو يملك من السلطات ما يملكه الإمام إلا ما ثبت اختصاصه بالأمام ، ومن اهم هذه السلطات ؛ حق الفتيا في القضايا الشرعية ، وحق القضاء بين الناس ، وحق الولاية على الناس ، وللعوام ان تلتزم بما يصدر من الفقيه من فتوى او حكم ، فللفقيه حق الولاية على الناس ، فيجب

نتناول في هذا المبحث وسائل تأثير المرجعية الدينية بالرأي العام وذلك من خلال مطلبين نتناول في الأول الوسائل المباشرة ، ثم نبحت في المطلب الثاني الوسائل غير المباشرة وكما يلي :

وسائل التأثير المباشرة بالرأي العام —

ان وسائل التأثير المباشرة للمرجعية الشريفة بالرأي العام ، تتضمن جملة من الوسائل والأدوات ، فمنها الفتوى الشرعية والخطب مثل خطبة الجمعة والعيدين والمنبر الحسيني ، وكذلك البيانات العلنية إلى جانب الممارسات العملية للمرجعية الدينية ، والتي تعبر بها عن ردود فعلها اتجاه

البلدان^(١٣) .

وبالإضافة إلى الفتوى تعد البيانات التي تصدر من المرجعية الدينية من الوسائل المهمة جدا التي تستخدمها المرجعية ، حيث دأبت المرجعية الدينية على رفع المستوى الثقافي للمجتمع في العراق ببياناتها وتوجيهاتها للمجتمع ، والمرجعية تلجأ في العادة إلى إصدار البيانات في المواقف المهمة والقضايا الحساسة ، التي تحتاج إلى بيان رأيها للمجتمع ، سواء كان المقصود اتباعها ومريديها ، أم السلطة الحاكمة ، أم قوات الاحتلال في زمان الغزو والخارجي والاحتلال ، وقد تمر الأمة بمرحلة صعبة وحساسة تحتاج إلى موقف علني للمرجعية لدرء فتنة طائفية أو تحشيد الرأي العام أو إعلان النفير بوجه خطر داهم ، أو حماية البلد ، وقد كان لبيانات المرجعية الدينية أكبر الأثر في تعبئة الرأي العام وتصويبه في^(١٤) مراحل حساسة من تاريخ العراق .

وبهذا الصدد يمكن الاستشهاد بمجموعة من الفتاوى والبيانات التي كان لها وقع كبير على الرأي العام أما بالتوجيه أو التشكيل أو التصويب ، ومنها على سبيل الأمثلة لا الحصر :

عليهم الالتزام بكل أحكامه في شؤونهم العامة والخاصة ، وعليه فالإفتاء هو أحد المهمات الكبيرة للمرجع الديني إلى جانب القضاء والولاية^(١٢) .

وتعد الفتوى من أهم الوسائل والأدوات التي تستخدمها المرجعية الدينية للاتصال المباشر بالشعب فمن خلالها تحرك الرأي العام أو تصنعه ، وعلى مر التاريخ كانت للمرجعية الدينية في النجف الأشرف فتاوى معروفة غيرت الواقع وأثرت فيه بشكل كبير ، وكان له أثر مباشر في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي .

فقد أصبح للإفتاء في الوقت الحاضر ، أهمية بالغة وكبيرة لما تشهده المجتمعات العربية والإسلامية من نمو وتقدم في شتى مناحي الحياة ، وبروز تعقيدات جديدة أفرزتها عوامل التقدم التكنولوجي والاقتصادي والثقافي .. الخ ، الأمر الذي جعل الناس أكثر التصاقاً والتفاتاً إلى معرفة الفتوى لاستجلاء الأحكام الشرعية عن بعض القضايا المعاصرة التي تمر بها الأمة الإسلامية من محن وحروب أو كوارث ، أو أزمات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها لا تزال تلقي بظلالها على جميع

٣ - لقد كان موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف - كما هو ديدنها على الدوام - من الاحتلال موقفاً واضحاً متبلوراً في الرفض التام لوجوده، وقد استنكر السيد السيستاني الاحتلال منذ الأيام الأولى للغزو الأمريكي، ووصفه بالعدوان الظالم ودعا المسلمين في كل مكان إلى التكاتف والتآزر، والوقوف مع العراق في كل ما يستطيعون، والواقع ان الدور القيادي للمجتهدين في قيادة الشيعة في العراق عشية دخول القوات الأمريكية العراق في ٢٠٠٣، هو نفسه عشية دخول القوات البريطانية في عام ٢٠١٤، غير ان الاختلاف بين المرحلتين يكمن في ان موقف المرجعية في التدخل الأخير أصبح أكثر وضوحاً وظهوراً بفضل التطور الإعلامي والتقني^(١٧).

لقد تمكنت المرجعية الدينية خلال هذه الفترة من خلق رأي عام قوي وواعي لخطورة المرحلة وقد كان هذا الرأي يتطور من خلال تغذيته بالتوجيه والتصويب الواعي من قبل المرجعية، فقد أوضح السيد السيستاني ان المرجعية الدينية تدعو إلى اتباع الأساليب السلمية في إعادة السيادة إلى العراقيين،

١ - الفتوى التي أصدرها علماء النجف الأشرف للجهاد ومواجهة الغزو البريطاني عام ١٩١٤، وعلى أثرها لعب علماء الدين في حوزة النجف العلمية دوراً كبيراً في تحفيز أبناء العشائر على الجهاد، وكان على رأسهم السيد محمد سعيد الحبوبى والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري وغيرهم^(١٥).

٢ - عندما وضع العراق تحت الانتداب البريطاني على اثر اتفاقية سان ريمو سنة ١٩٢٠م، اصدر الميرزا الشيرازي بياناً إلى الشعب العراقي يدعوهم إلى التظاهرات السلمية للمطالبة بالاستقلال، وعلى اثر ذلك تشكل رأي عام واسع رافض لهذا الواقع السياسي، وهو ما جوبه بالقوة من قبل القوات البريطانية، فما كان من مرجعية الشيرازي ألا ان تصدر فتاها التي بينت ان "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوصل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم"، وقد كانت هذه الفتوى وما سبقها من مواقف وبيانات مقدمات لإشعال فتيل الثورة العراقية الكبيرة المعروفة بثورة العشرين^(١٦).

تمثل في ضرب المقدس الديني من أجل إثارة النفوس، فعمدوا إلى تهديم القبة المطهرة لمرقد الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، فتصاعدت أعمال العنف يومها، وتفاقم أمرها بشكل مروع ومخيف، حتى أصبح العراق قاب قوسين أو أدنى من الدخول في نفق الاقتتال المذهبي، لذا فقد كان تحرك الحوزة بمستوى خطورة الحدث، فسارع مراجع الحوزة الكبار إلى الاجتماع بالسيد السيستاني، واتخاذ الإجراءات المناسبة، لوقف أعمال العنف والإمساك بزمام الأمور قبل أن تخرج من السيطرة وتنتهي إلى ما لا تحمد عقباه، فبادر مكتب السيد السيستاني إلى إصدار البيان الذي أدان به تلك الجريمة النكراء، وأعلن الحداد سبعة أيام جاء فيه "إن الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة النكراء، التي قصد التكفيريين من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي... ندعو المؤمنين ليعبروا خلالها بالأساليب السلمية عن احتجاجهم وإدانتهم الحرمان مؤكدين على... أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرحهم إلى اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الأعداء من فتنة طائفية طالما عمدوا على إدخال العراق في أتونها"، والحق لقد تعامل

وتمكنهم من حكم بلدهم بأنفسهم، كما شدد على ضرورة إجراء الانتخابات سواء لكتابة الدستور أم لإدارة الدولة، كونها الأسلوب الأمثل الذي يرسم خطى الاستقلال، ويتناسب وحيثيات المرحلة الراهنة، وبالفعل تمكنت هذه الخطوات من أفشال المشروع الأمريكي في العراق وذهاب الأمور في غير ما هو متوقع، فقد شكل الرأي العام العراقي بقيادة المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد السيستاني من تحقيق أهداف الشعب العراقي باقل الخسائر ودون استخدام القوة المسلحة، لعودة ^(١٨) السيادة للعراق .

٤ - لقد تحرك السيد السيستاني وتعامل ميدانياً ضد أبعاد المخطط الطائفي الذي أريد تنفيذه في العراق من خلال زرع بذور الفتنة الطائفية وسلب العراق حقه في السلام والاستقرار، من خلال إشاعة الرعب وإثارة التفرقة بين صفوف العراقيين عن طريق مسلسل رهيب من التفجيرات الدامية، والقتل على الهوية، وبعد فشل هذه الأسلوب نتيجة لتصدي المرجعية له بأسلوب واعي وحكيم وتيقن أبناء الشعب العراقي لهذا المخطط الطائفي، فلجأوا إلى سبيل جديدة

بالنجف في شباط عام ١٩٩٩^(٢٠) .

وبعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، أصبح منبر صلاة الجمعة وسيلة قوية للتواصل بين المرجعية وقواعدها الشعبية، وباتت خطب الجمعة أحد المنابر الرئيسة التي تعكس وجهات نظر المرجعيات والتيارات الدينية المختلفة حيال القضايا المهمة والأحداث والمستجدات، وتتلى بها أيضاً بياناتها الرسمية، حيث شهدت خطب الجمعة بعد عام ٢٠٠٣ تغيرات جذرية بسبب الحرية السياسية وسهولة نقلها عبر الفضائيات المختلفة، وخصص جزء منها لمناقشة القضايا السياسية، حيث لا يمكن تجاهل الدور الإيجابي الذي يقوم به بعض خطباء الجمعة في تحديد مكامن الخلل السياسي وفي توجيه وتصويب الرأي العام، كحال منبر صلاة الجمعة في الصحن الحسيني بكربلاء، الذي يرتقيه بالتناوب اثنان من معتمدي السيد السيستاني، وهما الشيخ عبد المهدي الكربلائي، والسيد احمد الصافي، وهو منبر معبر بصورة مباشرة عن آراء المرجع الأعلى السيد على السيستاني، حتى ان فتوى الوجوب الكفائي تلاها الشيخ الكربلائي من هذا المنبر في الخطبة الثانية

السيد السيستاني مع هذه الأزمة بوعي وحكمة عاليتين، فلم يسمح بردود الأفعال العفوية من ان تتحكم بحركة الشارع^(١٩) .

ثانياً: خطب الجمعة والمناسبات الدينية :

لقد اتخذت المرجعية الدينية باستمرار من الخطابة وسيلة إعلامية مهمة لنشر الدين والدعوة إلى الله وتثقيف الجماهير بالأفكار المطلوبة، وشحذ الهمم وتعبئة الرأي العام في حالات الحروب مع الاستعمار او الحكام الظالمين، وقد لعبت الخطابة دورها الكبير في الجهاد ضد الإنكليز عام ١٩١٤، ومن بعده في ثورة العشرين . وفي نيسان عام ١٩٩٨ أقيمت أول صلاة جمعة في مسجد الكوفة بإمامه السيد محمد صادق الصدر، كاسرة بذلك فترة طويلة من المنع لإقامة صلاة الجمعة في المساجد الشيعية من قبل نظام صدام حسين البائد، وقد كان لهذه الخطب الأثر الكبير في المجتمع العراقي وفي تعبئة الرأي العام ضد الظلم والفساد، وهو ما لم يتحمله النظام فبادر إلى التضييق على المصلين حتى انتهى الأمر باغتيال السيد الصدر ونجليه

لصلاة الجمعة في ١٣ حزيران عام ٢٠١٤، والتي شكلت حالة فريدة في تعبئة الجماهير للدفاع عن الوطن ضد عصابات داعش الإجرامية^(٢١).

ثالثاً: السلوك العملي:

غالبا ما يكون السلوك العملي واحدا من أكثر الوسائل قوة في التعبير لدى المرجعية الدينية، وأوساط الحوزة العلمية، فعندما يتحرك المرجع بنفسه، او يعطل درسه العلمي، او ما شابه ذلك فهذا يعني ان الأمر مهم وحساس ولا يمكن السكون عليه، او تجاهله، وقد مارست المرجعيات الدينية هذا الفعل على مر التاريخ اتجاه مواقف وقضايا داخلية وخارجية. وبعد عام ٢٠٠٣، لفت أنظار الكثيرين، ولاسيما السياسيين، التوجه الكبير والنافذ للمرجعية الدينية في النجف الأشرف ومدى نفوذها في الكثير من القضايا الهامة والحساسة، ما دفعهم إلى التوجه اليها والأخذ برأيها، حتى ممثل الأمم المتحدة كان يعرض آراءه ومقترحاته على المرجعية الدينية في النجف الأشرف قبل طرحها بشكل نهائي وعلمي، ويمكن ان نلاحظ استخدام المرجعية لهذا الأسلوب في

عدد من المواقف أهمها: عندما تم تفجير مرقد الإمامين في سامراء، عقد مراجع الدين الكبار اجتماعا في بيت السيد السيستاني للبحث في الحادث، وكان لهذا السلوك العملي الأول من نوعه الذي يتم تداول صورته إعلاميا، اثر كبير في السيطرة على الفورة الشديدة التي أحدثتها التفجير في الشارع العراقي بعد صدور دعوات من الاجتماع للتهدة والابتعاد عن ردات الفعل المضادة وإعلان الحداد سبعة أيام^(٢٢).

ومن جانب آخر، ان تدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية والخدمية واستشراف الفساد المالي والإداري وسع من الهوة بين المرجعية والسياسيين والمسؤولين الحكوميين، فبعد ان عجزت المرجعية عن أقناع السياسيين على الرغم من مناشدتها الكثيرة لتعديل الواقع ورفع مستوى الخدمات، جاء القرار من المرجعية بمنع استقبال أي سياسي عراقي او مسؤول في الحكومة لانهم لا ينصتون إلى نصائح المرجعية وتوجيهاتها المتعلقة بمصلحة الشعب، فيما استمر السيد السيستاني في استقبال المواطنين بشكل اعتيادي واستقبال الوفود الرسمية العربية

وكما يلي :

أولاً : وسائل الاعلام :

ان العلاقة بين المنظومة الإعلامية ومنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية علاقة متداخلة ، على اعتبار ان وسائل الاعلام هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة والقيم ، وبالتالي تساهم في إيجاد جانب كبير من الثقافة الاجتماعية ، وهو ما يعطيها أحقيتها كسلطة إعلامية في إدارة وتوجيه المجتمع ، حيث بات الاعلام يمثل سلطة رقابية وتنموية وتوجيهية للمجتمع^(٢٤) .

ولا يختلف اثنان على ان هناك علاقة بين الرأي العام والأعلام بشكل وثيق ، فكلما تقدم الاعلام في أسلوب صياغة الرسالة ومعرفة رجع الصدى كلما كان تأثيره في الرأي العام أكبر وأوسع ، وكلما زادت الثقافة والتنشئة والتنمية السياسية كان تفاعل الجمهور أكبر مع الاعلام السياسي ، إن فرص تأثير وسائل الاعلام في الاتجاهات وتشكيل الرأي العام كبيرة جداً في الجماهير ، فهناك علاقة متبادلة بين الرأي العام والأعلام ، بحيث يعتبر الاعلام من الأذرع المهمة لسلطة الرأي العام التي

وفي الختام يمكن لنا القول انه رغم الظروف المختلفة التي مرت بها المرجعية الدينية في النجف الأشرف غير أنها نجحت في قيادة الأمة بالاتجاه الصحيح ، وصناعة الرأي العام وتوجيهه وتصويبه بما يصب باتجاه المطالبة بالحقوق الشرعية ومواجهة المخططات المضادة ، وقد كانت للوسائل والأدوات المباشرة الأكثر الأبر بالتواصل مع الجمهور والتي تمثل بالفتوى او البيانات او السلوك العملي .

وسائل التأثير غير المباشرة بالرأي العام

بالإضافة للوسائل المباشرة التي تستخدمها المرجعية للتواصل مع الشعب والتي تناولناها في المطلب الأول ، هناك وسائل وأدوات غير مباشرة تستخدمها المرجعية للتواصل مع الشعب وتحرك بها الرأي العام وتصوبه ، كالتصريحات والتسريبات والأجوبة الخطية لوسائل الاعلام المختلفة ، والعمل مع المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ، وسنسى في هذا المطلب تسليط الضوء على أبرزها بإيجاز

لها تأثير هام في النظامين السياسي والحكومي^(٢٥).

فالإلى جانب الاسم الجديد الذي أصبح لحركة الجماهير وهو (الرأي العام)، برز إلى جانبه تعبير الاعلام (كسلطة رابعة)، مضافة إلى السلطات الثلاث الدستورية، لكن هذه السلطة ليست دستورية بقدر ما هي سلطة شعبية تستمد قوتها من ضغط الشارع وضجيج صوته عندما يطالب بحقوقه الشرعية المتعددة^(٢٦).

ومنذ سقوط النظام السابق في ٢٠٠٣، أدرك الجميع ان آية الله السيستاني هو الطرف الأكثر تأثيراً في الوسط الشيعي العراقي، وبالتالي هو صاحب الكلمة الفصل في توجيه الشارع العراقي، في وقت كانت فيه قوات التحالف الدولي، وسلطة الائتلاف التي شكلتها في أمس الحاجة إلى تهدئة الرأي العام العراقي، ولاسيما الوسط الشيعي بوصفه المكون الأكبر والضحية الأولى لسياسات النظام السابق، ولذلك انهالت الأسئلة من وسائل الاعلام المحلية والعربية والعالمية المختلفة على مكتب السيد السيستاني في النجف، وعلى الرغم من حذر السيد السيستاني الشديد واضطرار مكتبه

لإصدار أكثر من تكذيب لأخبار نسبت إلى مصادر مقربة منه، بوصفه لم يكن يسمح باستغلال اسمه وإصدار آراء وموقف لا علم له بها، وكان يكذب أي مصدر للإشاعة. إلا انه تعامل بذكاء مع وسائل إعلامية بعضها بدت منتقاة لإيصال رسائل محددة يريد المرجع الأعلى إيصالها إلى جهة أو جهات معينة أو إلى الرأي العام مباشرة وعن وعي وتخطيط مسبقين، وتؤكد مصادر في مكتبه ان نشرة يومية تقدم إلى السيد السيستاني ويطلع عليها شخصياً تتضمن أبرز ما تبثه الفضائيات ووسائل الاعلام في مجالات متعددة بما فيها التقارير الخدمية والإنسانية وانه يأمر بحل بعضها عبر مكتبه ويتواصل في بعضها مع المسؤولين المعنيين^(٢٧).

وعليه تكون الوسائل الإعلامية المختلفة من اهم القنوات التي تستخدمها المرجعية الدينية للتأثير بالرأي العام، وقد كان الأسلوب الهادئ الذي اتبعته المرجعية في استخدام هذه الوسيلة بالغ الأثر في جعل هذه الأداة من الأدوات العقلانية المرتكزة للمعرفة والوعي العالي بعيداً على الإسهاب والظهور الإعلامي الواسع الذي يفقد قيمة ومركزية هذه الأداة، حتى اتهمه البعض

فاستفتى (جمع من المؤمنين) السيد السيستاني على ذلك ، وكانت هذه الإجابات تسرب إلى متناول الناس لتعم الفائدة ويتحقق الهدف وهو حماية الممتلكات العامة وحفظ النظام ، وبحق شكلت هذه الإجابات رأي عام واعي تصدى للظواهر التي بدأت تتفشى في المجتمع ونجحت المرجعية في التصدي لها^(٢٩) .

وختاماً تبين لنا ان المرجعية الدينية تستخدم وسائل عدة لإيصال خطابها إلى الرأي العام بغية تثقيفه وتوجيهه وتصويبه بالصورة الصحيحة ، ودفعه للمطالبة بالحقوق والمشروعة أسوة بأداء الواجبات ، وبعض هذه الوسائل مباشرة كالفتوى وخطب الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية زيادة على التصرفات العملية ، وأخرى غير مباشرة كالتصريحات لوسائل الاعلام والتسريبات الصحفية ، كما للمرجعية أدوات أخرى لم يتسع لنا صفحات هذه البحث لتسليط الضوء عليها ، من أهمها علاقاتها مع المنظمات الدولية ، ولاسيما مع الأمم المتحدة والتي تعاملت معها بشكل كبير بعد رضاها التعامل مع قوات الاحتلال ، وبالفعل استطاعت المرجعية الدينية ان تحقق الكثير للشعب

بضعف الظهور الإعلامي ، فكان جواب سماحته : " ان مكتب سماحة السيد دام ظله لا يتعامل مع وسائل الاعلام الا في حدود الضرورة ، وفقاً للمنهج الذي رسمه له سماحة السيد ، والمؤمل من المؤمنين ان ينتبهوا للأساليب غير المهنية التي تمارسها العديد من وسائل الاعلام ويتثبتوا فيما ينشر حول سماحة المرجع^(٢٨) " .

ثانياً : التسريبات الصحفية :

لقد استخدمت المرجعية أساليب شتى في توعية الناس وتوجيه الرأي العام باتجاه مواجهة الخروقات والتجاوزات على الأملاك العامة والنظام العام ، ومن بينها أسلوب تسريب الاستفتاءات والأجوبة المقدمة من المواطنين إلى الرأي العام ووسائل الاعلام ليطلع عليها اكبر عدد ممكن من المواطنين ، فالمرجعية بحسب ما هو معروف تتلقى الكثير من الأسئلة والاستفتاءات من أشخاص أحياناً ومن (جمع من المؤمنين) وتذيل الأسئلة في أحيان أخرى ، فعند دخول القوات الأمريكية إلى العراق عام ٢٠٠٣ انهارت دوائر الدولة ، وقام بعض الناس بالاستحواذ على الممتلكات العامة ،

النجاة، حيث تصدت لهذا الواقع بكل قوة محكمة، مستخدمه كافة الإمكانيات التقليدية والحديثة، وكان للتطور الكبير الذي شهده قطاع الاتصالات والأعلام واقعا جديدا للاتصال بالجمهور، حيث تمكنت المرجعية بحق من التعامل على هذا التطور وهذه الوسائل بشكل حكيم مكنها من يصل صوت الشعب لمختلف المحافل الدولية، ناهيك من توظيف هذه التقنيات للتواصل مع الجمهور وتغذية الرأي العام بالمعلومات والقيمة الصحيحة.

لقد تمكنت المرجعية الدينية من تعبئة الرأي العام العراقي وتحويله إلى قوة سلمية مؤثرة أفشلت كل المخططات التي كانت معدة للعراق، حيث تمكنت بالطرق السلمية من فرض عملية سياسية عراقية على القوات المحتلة يكون الشعب هو محورها ومركزها، والتي انتهت إلى إقرار نقل السلطة للعراقيين وأجراء انتخابات حرة وإخراج قوات الاحتلال بالطرق السلمية.

لم يقتصر دور المرجعية على رسم ملامح العملية السياسية فقط، بل عملت على محاربة الأفكار والظواهر السلبية الدخيلة التي تفشت بالبلد من خلال الفوضى

العراقي من خلال علاقاتها مع الأمم المتحدة، كما تشكل الشبكات الواسعة من الوكلاء والمعتمدين والمراكز الثقافية والفكرية والمواقع الإلكترونية التابعة للمرجعية، أدوات مهمة للتأثير في الرأي العام وتوعيته وتنقيفه إلى المستوى الذي يحقق المصلحة العامة التي تراها المرجعية التي تمثل موقع النيابة عن الأمام المعصوم وتحظى آراؤها بالقداسة لدى أتباعها^(٣٠).

الخاتمة:

لقد تبين لنا بشكل جلي الدور الكبير الذي لعبته المرجعية الدينية في الواقع السياسي العراقي بشكل خاص بعد ٢٠٠٣، انطلاقا من مهمتها الأساسية كراعية للامة، ورغم ان هذا الدور لم يفارق المرجعية الدينية على طول مسيرتها، غير انه بات جليا مع دخول القوات الأمريكية للعراق، ففي هذا الرحلة الحساسة من تاريخ العراق والمنطقة، كانت المرجعية الدينية الملاذ الذي يستظل به المؤمنون من المخططات الخارجية التي أرادت تمزيق البلد ونهب خيارته.

وأمام هذه المرحلة الحساسة كانت المرجعية الدينية كما عهدنا المؤمنون طوق

٣ - حميد الدهلوي، المرجعية بين الواقع والطموح، دار العارف للطبوعات، بيروت، ٢٠٠٥.

٤ - حيدر جابر كاظم الموسوي وعتاب بسيم مشكل السوداني، دور الأمام السيستاني في وأد الفتنة الطائفية في العراق، بحث ضمن فعاليات مهرجان فتوى الدفاع المقدس الثقافي الأول، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٦.

٥ - راجي نصير، المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣م، مركز العميد للبحوث والدراسات، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٦.

٦ - سلام خطاب أسعد، الاعلام وصناعة الرأي العام دراسة وصفية لأساليب ومسالك صناعة الرأي العام، مجلة آداب الفراهيدي، العدد (١٧) كانون الأول، ٢٠١٣.

٧ - عبد الكريم كاظم عجيل، مدخل لدراسة الرأي العام، مكتب ذو الفقار - الناصرية، العراق، ٢٠١٥.

٨ - علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٢٤، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة بابل عام ٢٠٠٧.

٩ - علي طاهر الحمود، الدولة والأمة في

الإعلامية والسياسية الكبيرة، فقد وظفت المرجعية مجموعة من الأدوات والوسائل لمحاربة هذه الظواهر ولتصويب الرأي العام بالشكل الصحيح الذي يرفض من هذه الممارسات وينبذها.

لقد توصلنا ان المرجعية الدينية لم تسلك طريقا واحدا للتواصل مع الجماهير بل تمكنت من توظيف كل الوسائل المتاحة ولا سيما الحديثة منها وأدارتها بشكل محترف، وفق منهج رسمه لها السيد السيستاني شكل حالة فريدة في علم الاتصال والتواصل مع الجماهير. فلم تستطع القنوات المغرضة والأقلام المأجورة ان تحرف توجهات وأراء المرجعية فقد كان لهذا المنهج آليات وطرق تجعل من كلام وتوجهات المرجعية حالة فريدة لا يمكن الالتفاف عليها.

المصادر والمراجع

١ - الأميرة سماح خرج عبد الفتاح وآخرون، الاعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، سلسلة كتب المستقبل العربي (٦٩)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣.

٢ - حامد الحفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

- مخيال الانتليجنسيا الشيعية في العراق ، مؤسسة فريديش إيبيرت - مكتب عمان ، الأردن ، ٢٠١٧ .
- ١٠ - كامل سلمان الجبوري ، السيّد محمّد كاظم اليزدي سيّرتُهُ وأضواء على مرجعيّته ومواقفه ووثائقه السياسية ، مطبعة برهان ، قم ، إيران ، ٢٠٠٦ .
- ١١ - كمال خورشيد مراد ، مدخل إلى الرأي العام ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١٣ .
- ١٢ - مبارك زودة ، دور الاعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام الثورة التونسية أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، ٢٠١١ ، ص ٥٤ .
- ٣ - سلام خطاب أسعد ، الاعلام وصناعة الرأي العام دراسة وصفية لأساليب ومساالك صناعة الرأي العام ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد (١٧) كانون الأول ، ٢٠١٣ ، ص ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .
- ٤ - عبد الكريم كاظم عجيل ، مدخل لدراسة الرأي العام ، مكتب ذو الفقار - الناصرية ، العراق ، ٢٠١٥ ، ص ص ٣٥ - ٣٦ .
- ٥ - سلام خطاب أسعد ، مصدر سابق ، ص ٤٩٤ .
- ٦ - علاء عزيز كريم ، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٢٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة بابل عام ٢٠٠٧ ، ص ٥ .
- ٧ - راجي نصير ، المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣ م ، مركز العميد للبحوث والدراسات ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠١٦ ، ص ١٥ .
- ٨ - محمد بحر العلوم ، النجف الأشرف والمرجعية الدينية ، مركز النجف للثقافة والبحوث ، النجف الأشرف ، ٢٠١٦ ، ص ٨١ .
- ٩ - المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
- ١٠ - محمد بحر العلوم ، مصدر سابق ، ص ١١٣ .
- ١١ - علي طاهر الحمود ، الدولة والأمة في مخيال الانتليجنسيا الشيعية في العراق ، مؤسسة فريديش إيبيرت -

الهوامش:

- ١- مختار التهامي وعاطف عدلي العبد ، الرأي العام ، مركز بحوث الرأي العام ، كلية الاعلام - جامعة القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٥ - ١٧ .
- ٢- مبارك زودة ، دور الاعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام الثورة التونسية أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر - باتنة - ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، ٢٠١١ ، ص ٥٤ .
- ٣- سلام خطاب أسعد ، الاعلام وصناعة الرأي العام دراسة وصفية لأساليب ومساالك صناعة الرأي العام ، مجلة آداب الفراهيدي ، العدد (١٧) كانون الأول ، ٢٠١٣ ، ص ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .
- ٤- عبد الكريم كاظم عجيل ، مدخل لدراسة الرأي العام ، مكتب ذو الفقار - الناصرية ، العراق ، ٢٠١٥ ، ص ص ٣٥ - ٣٦ .
- ٥- سلام خطاب أسعد ، مصدر سابق ، ص ٤٩٤ .
- ٦- علاء عزيز كريم ، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩٢١ - ١٩٢٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة بابل عام ٢٠٠٧ ، ص ٥ .
- ٧- راجي نصير ، المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣ م ، مركز العميد للبحوث والدراسات ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠١٦ ، ص ١٥ .
- ٨- محمد بحر العلوم ، النجف الأشرف والمرجعية الدينية ، مركز النجف للثقافة والبحوث ، النجف الأشرف ، ٢٠١٦ ، ص ٨١ .
- ٩- المصدر نفسه ، ص ٨٧ .
- ١٠- محمد بحر العلوم ، مصدر سابق ، ص ١١٣ .
- ١١- علي طاهر الحمود ، الدولة والأمة في مخيال الانتليجنسيا الشيعية في العراق ، مؤسسة فريديش إيبيرت -

- مكتب عمان ، الأردن ، ٢٠١٧ ، ص ٢١ - ٢٢
- ١٢- حميد الدهلوي ، المرجعية بين الواقع والطموح ، دار العارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٦١ .
- ١٣- الأميرة سماح خرج عبد الفتاح وآخرون ، الاعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم ، سلسلة كتب المستقبل العربي (٦٩) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
- ١٤- راجي نصير ، مصدر سابق ، ص ص ٩٤ - ٩٥ .
- ١٥- كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية ، مطبعة برهان ، قم ، إيران ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٢٥ وما بعدها .
- ١٦- نجوى صالح الجواد ، المرجعية الدينية والعراق الجديد جدلية الدين والسياسة ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ص ١٢٠ - ١٢١ .
- ١٧- حيدر جابر كاظم الموسوي وعتاب بسيم مشكل السوداني ، دور الأمام السيستاني في وأد الفتنة الطائفية في العراق ، بحث ضمن فعاليات مهرجان فتوى الدفاع المقدس الثقافي الأول ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، العتبة العباسية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠١٦ ، ص ١١ .
- ١٨- للمزيد حول موقف المرجعية الدينية من الاحتلال الأمريكي راجع لطفا : حامد الحفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- ١٩- حيدر جابر كاظم الموسوي وعتاب بسيم مشكل السوداني ، مصدر سابق ، ص ٢٣ .
- ٢٠- راجي نصير ، مصدر سابق ، ص ٨٥ وما بعدها .
- ٢١- المصدر نفسه ، ص ص ٨٨ - ٨٩ .
- ٢٢- راجي نصير ، مصدر سابق ، ص ص ٩٩ - ١٠٠ .
- ٢٣- المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
- ٢٤- الأميرة سماح خرج عبد الفتاح وآخرون ، مصدر سابق ، ص ص ٣٥٧ - ٣٦٤ .
- ٢٥- كمال خورشيد مراد ، مدخل إلى الرأي العام ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١٣ ، ص ١٦٣ .
- ٢٦- الأميرة سماح خرج عبد الفتاح وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .
- ٢٧- راجي نصير ، مصدر سابق ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .
- ٢٨- حامد الخفاف ، مصدر سابق ، ص ٩٦ .
- ٢٩- راجي نصير ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ وما بعدها .
- ٣٠- راجي نصير ، مصدر سابق ، ص ١٤٤ .

م . د . رعد جمال مناف

جامعة بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي

الباحثة: زينب جمال مناف

دراسة تحليلية عن فتوى الجهاد الكفائي وتأثيرها على المجتمع العراقي

ملخص البحث

تعد واقعة الطف في مدينة كربلاء المقدسة من اكثر الثورات تأثيرا لدى الحوزة الدينية في النجف الاشرف التي اتخذتها مثالا ونبراسا والقا تضيء به سماء عراقنا فتورة الحسين (عليه السلام) تمثل ثورة المظلوم على الظالم وانتصار الدم على السيف ، فهي عاملا ثوريا جهاديا في تبلور الثقافة الاسلامية ذات قيمة روحية لتشجيع المظلوم بالثورة ضد الحاكم الفاسد الظالم ، فترك لنا الامام الحسين (عليه السلام) ولكل الاجيال العربية والاوربية ، ارثا فكريا سياسيا ثوريا ، يستمد منه الانسان قوة واصرارا ليعيش حرا كريما كما خلقه الله تعالى ، ومهما تحدثنا عن الثورة التي قادها الامام لن تختزل بسطور قليلة ، بل ثورة الامام محفورة في طيات قلوبنا ، وفي عقولنا فهو المهلم لاي انسان يريد الانتفاض على الظلم . ومن هذا الفكر الجهادي الثوري انطلق السيد السيستاني رئيس الحوزة الدينية بفتوى الجهاد الكفائي ومحاربه الفكر الداعشي والقضاء عليه ، لانه يحمل فكرا تكفيريا ووحشيا من خلال الممارسات الوحشية لهذا التنظيم والتي استباح من خلالها دماء المسلمين من غير تمييز بين طائفة واخرى والاستهتار بنفوس المواطنين



الابرياء واستهداف دور العبادة سواء كانت للمسلمين او غير المسلمين ، هذه المؤشرات تبين ان العراق وشعبه في خطر حقيقي يهدد امن وسلامة وتعايش العراقيين بغض النظر عن اختلاف طوائفهم مع بعضهم البعض فالمرجعية حرصت على ابقاء هذا التعايش بين مختلف الاديان لانه يوفر الاستقرار والامن لهذا البلد ، كما يهدف البحث الى ابراز فكر الامام السياسي الجهادي الثوري المتمثل بثورته في معركة الطف ضد الطغاة الفاسدين ويكمن في الموقف الشجاع الذي وقفه ضد الحاكم الظالم للدفاع عن مبداه المتمثل بشخصه وفكره ناتجا عن ثورته في كربلاء فقد ضحى الامام بحياته وحياة اولاده من اجل كلمة حق ضد سلطان جائر من اجل احقاق الحق وهو نفس الموقف الذي سارت عليه المرجعية الدينية لمحاربة التنظيم الوحشي الجائر الذي يهدف الى تفتيت وحدة العراق وخلق الفتنة بين طوائفها المختلفة ، والمحافظة على وحدة وارض ومقدسات بلدنه العراق ، ومن منبر صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف هبت عاصفة مدوية وضرب زلزال اطناب الدواعش ومن والاهم وايدهم حينما اصدرت

فتوى الجهاد الكفائي فاصابت العدو في مقتل فهبت الملايين من ابناء الشعب العراقي الى مراكز التطوع والتحق الالوف من المتسربين الى وحداتهم واستعاد الجيش توازنه وثقته وتعديل ميزان القوى لصالح العراق واهله ، فوصل صوت المرجعية الى كل البيوت فتخطى كل الترتيبات والوجهات وتسلسل الادارات ومنابر المثقفين فالنداء واضح وجلي ، ولا ننسى ان للاعلام الحقيقي الصادق دورا في اصال الحقائق التاريخية للاجيال القادمة وادراكا لاهمية التاريخ في صناعة الثقافة والفكر الهادف .

فالغرب لم ينفك منذ ان اكتشف الاسلام المحمدي التابض في قلوب وعقول المسلمين يشكل حاجزا لتحقيق تطلعاته وتحجيم نفوذه ، فجدد نفسه واتباعه للتصدي للاسلام وافراغه من محتواه عقائديا عند المسلمين فسلك سبلا عديدة مؤطرة بمناهج شيطانية مخادعة وهو ما تقوم به عصابات داعش في عموم العراق ، فاصبح الامر خطيرا لايمكن السكوت عنه صدح صوت المرجعية الدينية العليا باصدار فتوى الجهاد الكفائي ومحاربه الفكر الداعشي والقضاء

عليه ، لانه يحمل فكرا تكفيريا ووحشيا من خلال الممارسات الوحشية لهذا التنظيم والتي استباح من خلالها دماء المسلمين من غير تمييز بين طائفة واخرى والاستهتار بنفوس المواطنين الابرياء واستهداف دور العبادة سواء كانت للمسلمين او غير المسلمين ، فكان لابد من اصدار فتوى جهادية تقضي على داعش للحفاظ على ارواح الابرياء واعراضهم وكرامتهم وحماية المجتمع والدين الاسلامي من الانهيار .

١. الفكر الجهادي الحسيني وتأثيره على المرجعية الدينية :

لابد من التنويه ان المرجعية الدينية في النجف الاشرف عدت ثورة الامام الحسين (عليه السلام) المهلم والعامل الاساس لاي ثورة او فتوى تقوم بها ، فالحسين (عليه السلام) باستشهاده ايقظ ضمائر الناس ، والبكاء على ابي عبد الله وانصاره الكرام احتفاء واستذكارا للضمير الحي والوعي الديني الذي يقف ضد أشكال الخروج عن الدين ومخالفه شريعة الله تعالى ، وتعظيما لهذا الإنسان البطل الذي تخلى عن كل شيء من اجل الدفاع عن دينه ومبادئه المقدسة ، وهو القائل : " الا

ترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً^(١) ، فمن عاشوراء نستلهم دروس التصدي والتحدي والاستقامة ، ومن ذكره العطرة ومدرسته الجهادية ، تتم صناعة الأبطال والمضحين بكل ما يملكون في سبيل دينهم وامتهم ، وتعميق عناصر الايمان في النفس والسلوك ، وهو منبر اعلامي عبر التاريخ لفضح الظالمين ، وتعرية المتخاذلين والمستسلمين ، ونحن في وضعنا الراهن نعيش ازمة حقيقة وتحديات كبرى تواجه الأمة الإسلامية ، تبعدنه عن النهج الحسيني ، فنحن بحاجة الى مدرسة عاشوراء وقيمها ومبادئها ، كالعزة والكرامة ؛ لان الإنسان الذي ينتصر على ذاته ، على ما فيها من تردد وازدواجية وعجز ، ويتغلب على الرهبة من الحياة ، يكشف ما أودع الله عز وجل في كيانه من كنوز ، من العقل والإرادة والضمير النابض ، ان هذا الإنسان هو القادر على تغيير المعادلات ، ومواجهة التحديات ، وخلق الانتصارات بالصبر والثقة بالنفس والاصرار على المبادئ ، هذا ما اراد الامام الحسين (عليه السلام) ان يعلمنا أننا بإمكاننا أن نتحول من التبرير الى المسؤولية ، ومن الجمود الى

السياسية التي يمر بها بلدنا قام السيد السيستاني في ظهيرة يوم الجمعة المصادف ٢٠١٤ / ٦ / ١٣ ومن منبر صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف هبت عاصفة مدوية وضرب الزلزال اطناب الدواش ومن والاهم وايدهم حينما اصدرت فتوى الجهاد الكفائي فاصابت العدو في مقتل فهبت الملايين من ابناء الشعب العراقي الى مراكز التطوع والتحق الالوف من المتسربين الى وحداتهم واستعاد الجيش توازنه وثقته وتعذر ميزان القوى لصالح العراق واهله ، فوصل صوت المرجعية الى كل البيوت فتخطى كل الترتيبات والوجهات وتسلسل الادارات ومنابر المثقفين فالنداء واضح وجلي ، ولا ننسى ان للاعلام الحقيقي الصادق دورا في ايصال الحقائق التاريخية للاجيال القادمة وادراكا لاهمية التاريخ في صناعة الثقافة والفكر الهادف^(٣) .

ان هؤلاء الدواش يتلقون دعما دوليا ليمارسوا مهنة البطش والتنكيل بالبشرية بغية اشاعة مفاهيم الشر والعدوان باسم الاسلام وهو منهم براء ، وهدف هذه العصابات الاجرامية نصرته الصهيونية والاستعمار والشرك وزرع فكرة العداء ضد

الحركة ، ومن الخضوع الى المقاومة ، ومن الانتصار السلبي الى الفعل الايجابي ، ومن التواكل الى التوكل ، استنادا الى قول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) .

٢. فتوى الجهاد الكفائي :

في نهار حزيرانني قايظ اجتاحت زمر الارهاب والقتل والظلام من التكفيرين مدينة الموصل فارتبكت قوات الجيش العراقي وانهارت معنوياتها وانسحبت من مواقعها ، فذب الهلع والرعب بين صفوفها فاسقطت محافظة صلاح الدين بعد الموصل ليتم فيها اسر وذبح اكثر من (١٧٠٠) طالب في زبهم المدني يتدربون على ملاك القوة الجوية ، ومن ثم وتداعت الاحداث الى محافظة ديالى فسقطت اجزاء كبيرة منها ، ثم سرت الشائعات على بغداد واطرافها واصيب الجميع بالهول والحيرة والترقب ، فيما بدات وسائل الاعلام المحترفة تبث صور الدبابات العراقية والمدافع وناقلات الجند تقاد من قبل عصابات داعش في شوارع الموصل ، وعلى اثر هذه التطورات

حرصت على ابقاء هذا التعايش بين مختلف
الاديان لانه يوفر الاستقرار والامن لهذا
البلد^(٤).

٣. ذكر الشيخ الكربلائي في احدي خطبه عن نص الفتوى الجهاد الكفائي وماهي الشروط الواجبة لهذا الجهاد :

١- وجوب التطوع لمن يستطيع حمل
السلام بشرط ان يكون ضمن الاجهزة
الامنية وبالطريقة الرسمية حصرا فقط .

٢- التطوع واجب كفائي وليس للجميع
بل لسد النقص في الاجهزة الامنية حتى
يحصل الغرض بصد كيد الاعداء .

٣- يجب الان على الاجهزة المختصة
بيان الاعداد المطلوبة لاداء الغرض لكي
يعلم الجميع حجم اداء الواجب الكفائي
الذي اطلقتها المرجعية .

٤- يجب أن يكون هناك تنظيم عالي
الدقة فمثلا يجب ابعاد طلاب الجامعات
والمدارس عن هذه المسألة وتفريغهم
للدراسة .

٥- ان هذه الخطوة تحمل بعدا احترازيا

الاسلام فالارهاب لادين ولا هوية ولا بلد
له ، سوى الحقد والمكر بالاسلام والمسلمين
تعهدتها قوى الغرب الحاكمة على الدين
الاسلامي ، فالغرب لم ينفك منذ ان اكتشف
الاسلام المحمدي التابض في قلوب وعقول
المسلمين يشكل حاجزا لتحقيق تطلعاته
وتحجيم نفوذه ، فجند نفسه واتباعه للتصدي
للالاسلام وافراغه من محتواه عقائديا عند
المسلمين فسلك سبلا عديدة مؤطرة بمناهج
شيطانية مخادعة وهو ما تقوم به عصابات
داعش في عموم العراق ، فاصبح الامر
خطيرا لايمكن السكوت عنه صدح صوت
المرجعية الدينية العليا باصدار فتوى الجهاد
الكفائي ومحاربه الفكر الداعشي والقضاء
عليه ، لانه يحمل فكرا تكفيريا ووحشيا من
خلال الممارسات الوحشية لهذا التنظيم
والتي استباح من خلالها دماء المسلمين من
غير تمييز بين طائفة واخرى والاستهتار
بنفوس المواطنين الابرياء واستهداف دور
العبادة سواء كانت للمسلمين او غير
المسلمين ، هذه المؤشرات تبين ان العراق
وشعبه في خطر حقيقي يهدد امن وسلامة
وتعايش العراقيين بغض النظر عن اختلاف
طوائفهم مع بعضهم البعض فالمرجعية

الى ان مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون اخرى واذاف ايضا ان التحدي وان كان كبيرا الا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة اكبر من التحديات والمخاطر ، فان المسؤولية تحتم علينا في الوقت الحاضر حفظ بلدنا ومقدساتنا من المخاطر وتقديم التضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة في مثل هذه الظروف ان يدب الخوف الاحباط في نفس اي واحد منهم ، كما بين موقف القيادة السياسية وهم امام مسؤولية تاريخية وشرعية داعيا ان يتركوا الاختلافات والتناحر وتوحيد موقفها ، واذاف يا ابناء القوات المسلحة انكم امام مسؤولية تاريخية وشرعية وليكون دافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق وصيانة المقدسات ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح ، وتؤكد المرجعية دعمها واسنادها لابناء القوات المسلحة وتحثهم على التحلي بالشجاعة والبرسالة والثبات والصبر وان من يضحي منكم يكون شهيدا ان شاء الله ،

واحتياطيا على المدى المتوسط والبعيد اكثر منه على المستوى الانبي لكي يستعد المجتمع لمواجهة هذه الطواريء ولا يتعامل معها بطريقة الصدفة والمفاجأة والصدمة^(٥) .

دعت المرجعية الدينية بقيادة السيد السيستاني في يوما من الايام (الجمعة تحديدا) المواطنين الذي يتمكنون من حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الامنية للدفاع عن العراق الذي يواجه تحديا و مسؤولية كبيرة التصدي للارهابيين هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون اخرى او طرف دون اخر وشدد ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي استنادا الى ما قام به الامام الحسين (ع) عندما ثار على يزيد الظالم فاراد الحفاظ على اعراض وارواح الناس ، وقال ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة الجمعة من الحضرة الحسينية المقدسة : ان العراق وشعبه يواجه تحديا وخطرا كبيرا فالارهابيين يستهدفون السيطرة على المحافظات كنيوى وصالح الدين وبغداد وكربلاء والنجف ثم يستهدفون كل العراقيين مشيرا

واكد ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي بمعنى ان من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وحفظ العراق ، وتابع الكربلائي على المواطنين الذي يتمكنون من حمل السلاح دفاعا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم التطوع للانخراط في القوات الامنية للغرض المقدس مبينا ان الكثير من الضباط ابلوا بلاءا حسنا في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات والمطلوب تكريمهم لينالوا استحقاقهم وليكون حافزا لهم ولغيرهم على اداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم وفي الوضع الراهن بعد هجوم داعش على المدن العراقية وعلى اثرها وجه السيد السيستاني دعوة ضمنية الى العراقيين من كل الطوائف الى مقاتلة داعش موضحا انه اذا لم يتم طرد هذه الجماعة الجهادية المتطرفة من العراق فسيندم الجميع غدا معتبرا اياها جماعة تكفيرية لانها ستسبب بلاءا عظيما على عراقنا الحبيب ^(٦) .

يرى بعض المحللين السياسيين ان فتوى السيد السيستاني قد سبقت ثلاثة مواقف مصيرية في تاريخ العراق وكانها تقراها

بوضوح قبل حدوثها منها سيطرة البشمركة على كركوك والمناطق المتنازع عليها بالقوة ، وطالب مسعود البارزاني بالانفصال وتقسيم العراق ، وتأسيس داعش لخلافتها واعلنت عنها من العراق تحديدا ، ومما يلحظ من هذا التحليل السياسي ان امريكا أرادت استخدام داعش كذريعة للرجوع الى العراق ، ومثلما استطاعت المرجعية باخراج القوات الامريكية من خلال اصرارها على تأسيس حكومة وطنية وجمعية وطنية منتخبة ودستور عراقي مستفتى عليه من قبل الشعب منذ بدا الاحتلال ، وهذا ما قاد الى تأسيس حكومة وطنية في العراق اشرفت على الانسحاب الامريكي عام ٢٠١١ ، فان فتوى المرجعية (الجهاد الكفائي) حرمت امريكا من الرجوع الى العراق بحجة محاربة الارهاب وضعف قدرات الجيش العراقي ^(٧) .

٤- ما معنى حشد الولاء (الحشد الشعبي) :

او يعرف ايضا باسم اخر (الحشد الوطني) هي قوات شبه عسكرية تعمل مع الجيش العراقي ، وهي تابعة للمؤسسة الأمنية العراقية ، تم تشكيلها بظرف طارئ ،

ومن الامور التي أكدت عليها المرجعية الدينية مرارا "ان دعوتها الى التطوع لا تقتصر على فئة دون اخرى، انما تشمل جميع فئات وطوائف المجتمع العراقي، وكل العراقيين مدعوون للتطوع والدفاع عن وطنهم وأعراضهم، وأنفسهم وأموالهم، وفي مقدمتهم هؤلاء أهالي المناطق المغتصبة من قبل داعش". بل ان هؤلاء أولى بالتطوع والدفاع باعتبارهم الأقرب الى العدو والأكثر ضررا منه^(١٠).

وكان المرجع الديني يهدف من تكوين الحشد، عدم تقسيم العراق اوتكريس وتعميق للانقسام المجتمعي الى مكوناته وطوائفه، بل هي دعوة الى الوقوف بوجه هذا الانقسام الامر الذي يبرر المخاوف من استحالة او صعوبة العودة الى هوية عراقية جامعة تقوم على اساس المواطنة وليس على اساس المكون^(١١).

تمثل فكرة الجهاد على العراقيين جميعهم ان يوجهوا ويقاموا، متناسين خلافاتهم العقائدية والفكرية، خطرا واحدا اسمه "داعش" الفئة التكفيرية الوحشية الضالة، واستجابة لهذا النداء فقد لحق العرب والكرد والتركمان والشبك والايديدين

تتكون من شيعة العراق ولاحقا انضمت إليه عشائر من سنة العراق كمحافظات صلاح الدين ونيوى والابار ومن ثم انضم التركمان والكرد الفيليين والمسيحيين العراقيين^(٨).

لقد قام المرجع الشيعي علي السيستاني كونه المؤسس للحشد الشعبي عن طريق فتواه با (الجهاد الكفائي، لتحرير العراق من داعش ومحاربهه للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات الطاهرة، لكي لا يندسها داعش الاوغاد باصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة، من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمن التوجيهات حوالي (٢٠) نقطة، تضمنت: حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالأخلاق الإسلامية، وعدم التعرض للناس، وأهالي المنتمين لداعش (في المناطق المحررة)، بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء كبار السن والأطفال والنساء، وعدم قطع أي شجرة، إلا أن يضطروا إلى قطعها، وكذلك معاملة غير المسلمين (أهل الذمة)، معاملة حسنة وعدم المساس بهم، وغير ذلك مما قاله في توجيهاته على صفحته الرسمية في الإنترنت وفي كل المجالات والصحف وحتى بازقة الشوارع^(٩).

والمسلمين والمسيحيين والسنة والشيعة كلهم الضرر من "داعش"^(١٢).

وبفترض ان يتم توظيف مقولة العدو والمشارك لتعميق الوحدة الوطنية والانتماء الوطني لا العكس، والنصر الحقيقي على "داعش" سيتمثل في نهاية المطاف ان يخرج العراقيون من المعركة أمة واحدة عراقية يجمعهم وطن نهائي واحد هو العراق الواحد السيد المستقل المزدهر^(١٣).

ان الحشد الشعبي خاضع لسيطرة الحكومة العراقية ويعتبر منظومة امنية ضمن المؤسسة الامنية العراقية كما صرح بذلك رئيس وزراء العراق وله ميزانية تقدر ب (٦٠ مليون دولار أمريكي) من الميزانية العراقية المخصصة لسنة ٢٠١٥^(١٤).

وقد اكتسب الحشد الشعبي الشرعية الدولية للأمم المتحدة، وقد جاء ذلك على لسان الممثل الخاص للأمين العام، ورئيس بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي يان كوبيش)، بتاريخ (٢٢/٧/٢٠١٥) ذكرت فيه " إنه بعد مرور عام على سقوط الموصل، يبقى ثلث العراق تحت سيطرة وإدارة تنظيم داعش، مضيفاً إن الهجمات العسكرية لقوات الأمن العراقية، بدعم

حاسم من قوات الحشد الشعبي، والمتطوعين من القبائل السنية، والتحالف الدولي، لم تغير الكثير في الوضع على الأرض"^(١٥).

ويبدو من هذا الخطاب الى الاعتراف الضمني بشرعية الحشد الشعبي دولياً في حين يواجه الحشد انتقادات من بعض الجهات السياسية العراقية وبعض الدول.

ويبدو ان الحشد الشعبي قد نسبت اليه تهمة وهي ليس لها ضوابط خاصة تنظم عملها مع وزارة الداخلية او وزارة الدفاع رسمياً فارتبط اسمها بعمليات خطف وابتزاز وغير ذلك، وقد صرحت الحكومة العراقية بان سبب ذلك استغلال عصابات لاسم الحشد الشعبي، ونتيجة هذه التهمة الغير لائقة في حين اورد وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي "أن قوات الحشد الشعبي منضبطة وتعمل بامرة القيادات الامنية العراقية"^(١٦).

فقد انتقدت المرجعية الدينية في النجف عن طريق ممثلها في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي (الحملة المسعورة) ضد مقاتلي الحشد الشعبي، والممارسات السيئة التي يتهم بها الحشد الشعبي وهي لا تمثل النهج العام لان أولئك المقاتلين دفعهم

الطيفة مع داعش في مركز قضاء بيجي ،
وبلدة الصينية ، وغيرها من المناطق ^(١٨) .

ومن الشائعات التي نالت الحشد الشعبي الذي بذل الغالي والنفيس ، تاركين عوائلهم وحياتهم من أجل الحفاظ على الأرض العراقية ، فقد ترددت أخبار صحفية وتلفازية بأن هناك نوع من التواجد العسكري (جنود ومقاتلون) ، على الأرض العراقية تابعين لإيران وبريطانيا ودول أخرى ، إلا أن الحكومة العراقية تنفي نفياً قاطعاً ، وجود أي قوات أجنبية (غير عراقية) على أرض العراق ، كما صرح بذلك رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في أكثر من لقاء متلفز ، وأعرب على أن الوجود الأجنبي (غير العراقي) على الأرض العراقية يقتصر على مستشارين أجانب (غير عراقيين) وظيفتهم تقديم النصح والمشورة العسكرية فقط ^(١٩) .

شكل انطلاق فصائل الحشد الشعبي ، واندفاعها الباهر نحو ساحات القتال ضد العصابات الإرهابية المعروفة بداعش ، انعطافة واضحة في مسار العمليات العسكرية والأمنية ، لما شكلته من تغيرات استراتيجية في الاتجاه العام للجهد العسكري والأمني ، فالحشود الشعبية التي انتفضت في لحظة

حبهم للوطن للتضحية وتعرض عوائلهم للمعاناة حسب قوله متأسين بقدوتهم وقائدهم في الثورة الامام الحسين عليه السلام المهلم الفكري والدافع الروحي للثورة للحفاظ على العرض والخلاص من الفساد الذي يذبونه داعش في ارضنا المقدسة والحفاظ عليها ^(١٧) .

٥. عمليات الحشد الشعبي ضد داعش :

توزع الحشد الشعبي في مناطق المعركة ، ليشرك في عمليات مدينة الفلوجة . الرمادي التي يغلب عليها الجيش والشرطة العراقية ، وعمليات (لبيك يارسول الله الثانية) ، التي انطلقت في (١٢ أكتوبر ٢٠١٥) ، بمناطق الصينية ، وأبوجواري ، وشمال بيجي ، ومصفي بيجي المسمى ب (مصفى الصمود) ، ضمن قاطع محافظة صلاح الدين ، وتسعى هذه العملية الى تحرير كافة مناطق محافظة صلاح الدين بما فيها الشرجات ، وفي (١٤ أكتوبر ٢٠١٥) ، سيطرت قوات الحشد الشعبي ، والقوات المسلحة العراقية ، بمعية العشائر المنتفضة في تلك المناطق ، على قضاء بيجي بالكامل ، ولاتزال توجد بعض المواجهات

تاريخية حرجة ومصيرية استجابة لنداء المرجعية الدينية العليا في التجف الاشرف، وتعبيراً للإرادة الداخلية في الرغبة للتخلص من الدواعش، هذه الحشود انضمت الى مسار المعارك المحتمدة، وأعادت بناء الروح المعنوية القتالية، وضخها بزخم جديد وقوي، ليساند الجيش في المعارك الدائرة، مبتدئة من جرف النصر الى امرلي وبيجي وغيرها من المنازلات التي استطاعت فيها القوات العسكرية والحشد الشعبي من كسر شوكة الإرهابيين ودحرهم كان لفصائل الحشد الشعبي دور في تغيير موازين القوى لصالح قواتنا العسكرية والأمنية، فدخلوها أرض المعركة شكل، فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص التي اصاب شعبةنا، والاستجابة القوية بزعامه المرجعية المتمثلة بالحشد الشعبي، التي حققت انتصارات لا يمكن إلا ان نعدّها، إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً، فالحشد الشعبي أصبح منقذاً، لمدن استنجدت به ضمن إعادة بناء اللحمة الوطنية العراقية، فليس من الغريب أن تنطلق الأصوات من أهالي الرمادي طالبة بتدخل قوات الحشد الشعبي إلى جانب

القوات العسكرية وعشائر المدينة للذود عنها، وإيقاف الهجمة الداعشية البربرية على عشيرة البو نمر على سبيل المثال^(٢٠).
جاءت انتصارات الحشد الشعبي بمصاحبة قواتنا العسكرية لتدخل لأرواحنا فرحاً غامراً وشعوراً عارماً بالفخر، بأبطال من مختلف الأعمار يتمتعون بإرادات صلبة، وإيمان متماسك بما يلقي عليهم من مهام فدائية وصعبة، لعل أهمها الدور الاستشهادي في تقدم أفواج الحشد الشعبي لاقتحام المدن والقرى وتحريرها، ومن ثم تسليمها لقوات الجيش العراقي، كما حصل في مناطق العظيم والسعدية، اذا كانت أفواج الحشد الشعبي رأس حربة في عمليات التقدم والتحرير، واستعادة الأرض المغتصبة، ويمكن القول ان الدور الفاعل والمؤثر للحشد الشعبي، أوجع رؤوساً وأغضب أرواحاً، لم تكن تتوقع استعادة روح المبادرة بل إنها كانت تتمنى أن تظهر الأرض المغتصبة من قبل العصابات الإرهابية، فأخذت تثير اقاويل غير صحيحة، متهمة أبطال الحشد الشعبي الذين ضحوا بأرواحهم عن أرض الوطن دون اي مقابل مادي، والمقاتلين الأشداء لقوى الشر

البطولية المثالية التي شكلها أفراد الحشد الشعبي تزيد من إيماننا بقدرتنا على تحقيق الانتصار ، ولوطال الزمن بل تأكد لنا عدم الحاجة لوجود قوات أجنبية قتالية على أرضنا ، وعندنا من أبطال ورجال متحمسين يمنحنا القوة الكافية ، لتحرير بلادنا ، حتى أصبحنا نرى شباباً في الجامعات والمدارس ، وحتى الأطفال يتغنون ببطولات الحشد الشعبي ويتفاخرون بنشر صور الأبطال الذين يقاتلون ويستشهدون دفاعاً عن البلد ، لان الذي استشهد ابوه او اخوه او اقربائه ، حتى ان الروح الانتصارية وصلت الى النساء والشيوخ والقوى الاجتماعية المختلفة التوجهات ، وهو دليل على مدى التضامن الشعبي الوطني العراقي في مواجهة القوى الإرهابية ، بل إن عائلة واحدة يتطوع أكثر من فرد من أفرادها ضمن أفواج الحشد الشعبي باندفاع عالٍ وفخرٍ شديد . وسيشهد التاريخ العراقي المعاصر للحشد الشعبي ، انه هو من اعاد صياغة تاريخه المعاصر ، وردم فجوة التي بدت تتسع لولا هذه الانطلاقة البطولية ، وتوجيه منحني المعركة إلى النصر والقضاء على الإرهاب^(٢١) .

باتهامات فارغة هدفها التشويش على هذه الانتصارات ، وإيقاف التقدم المذهل للقوات العسكرية ، وفض الارتباط المصيري بين الجيش والحشد الشعبي ، ورغم ان الحرب وفي كل مكان بالعالم وعلى مدار التاريخ لا بد أن تشهد تجاوزات هنا وهناك إلا أن قوى الحشد الشعبي ، وهو ما أخبرنا به قادته الأبطال ، حاولت بكل ثبات وعزم ، عدم ارتكاب أية أخطاء ، بل كان أفراد الحشد الشعبي يتعاملون بسلوكيات إنسانية ، أثارت إعجاب سكان المناطق المحررة ، وهو ما شاهدناه عند تحرير منطقة جرف النصر من التعامل الطيب ، للمقاتلين مع العوائل والأشخاص الذين كانوا محاصرين بالمنطقة بسبب سيطرة عناصر "داعش" ، فرأينا أفراداً من الحشد الشعبي بفصائلهم المتنوعة وهم يحملون رجالاً مسناً ، أو يمسخون عن وجه طفلة صغيرة مرعوبة قطرات الدمع المتساقطة ، مثلما شاهدنا تقديمهم الطعام والماء لهؤلاء المحاصرين ، وقد قامت شاشات التلفزة التي نقلت عمليات التحرير الكبرى للجيش والحشد الشعبي للمدن والقرى ، وتعامله الإنساني مع سكان هذه المناطق ، ورغم ذلك كله فإن الصورة

خاتمة البحث :

نستنتج من خلال بحثنا الى بعض النتائج وهي كالآتي :

١ - قدم الحسين عليه السلام ، على قتل نفسه هو وعائلته ، ولم تكن في نظره هو سلطنة او رئاسة ، وكان يعلم منذ يعلم جده وابيه ، انه سيقتل ، لكنه خلد بقتله ، في ذاكرة وقلوب الناس ، بل كل منا في داخله حسين ، حسين الذي ثار على الظلم وكل مظلوم منا ينتصر بالحسين ، حتى اصبح علما لمن يريد الثورة والانتصار على الظالم ، ومن هذا المبدأ سار المرجع علي السيستاني باصدار فتوى الجهاد الكفائي ، فهولاء الحشود من الشعب تمثلت بمبدأ الامام وثورته ، فثارت ضد الطغاة مضحية بحياتها وحياة عوائلها ، للحفاظ على ارض الوطن من الدواعش .

٢ - تبقى ثورة الامام الحسين عليه السلام ، علما

ومنا را يهتدى به ، لكل من يريد الانتصار على الظالم ، والقيام بثورة ليحق الحق ، ويعيش الانسان حرا كريما ، وهو نفس الهدف الذي سار عليه حموع الحشد الشعبي ، فنحن في كل لحظة نسمع فلان من الاقارب والاصدقاء استشهد في الحرب ضد داعش ، وما لافتات الشهداء الا دليل على حب هؤلاء لارضهم ووطنهم دون اي مقابل ، وهم يعلمون انهم ميتون لامحالة ، انهم يمضون الى الموت وهم فرحين ، متاسين بمبدأ امامهم ، وهو يقول " اني امضي الى القتل " وهذا الحشد فعل نفس الشي .

٣ - كانت ثورة الحسين عليه السلام ، دافعا للعديد من القادة والفرسان ، للدفاع عن الامام والوقوف معه ، كالحبر بن يزيد الرياحي ، وزهير بن القين ، هي كانت ايضا نفس الدافع لجموع الحشد الشعبي للدفاع عن ارض العراق ارض الانبياء والمقدسات ، من اي تدنسي ارهابي كافر .

الهوامش :

- ١- القزويني ، محمد كاظم ، فاجعة الطف ، ط ١٠ ، (د - م) ، ١٩٩٢ ، ص ٣٤ - ٤٠ .
- ٢- سورة العنكبوت ، آية ٦٩ .
- ٣- فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد) ، مقالة في مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، العتبة الحسينية المقدسة ، دار الكفيل ، ٢٠١٥ ، ص ٢٠٧ - ١٩ .
- ٤- الياسر ، حسين ، الحشد الشعبي يمزق خرائط السياسة التقليدية ، مقالة في مجلة حماة الوطن ، السنة الثانية ،

- العدد (١١) ، ٢٠١٥ ، ص ٣٣ .
- ٥- فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد) ، ص ٢٠ - ٢٥ .
- ٦- الموالي ، ابو يونس ، لقاء مع مجاهد ، مقالة في مجلة حماسة الوطن ، السنة الثانية ، العدد (١١) ، ٢٠١٥ ، ص ٥٥ .
- ٧- فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد) ، ص ٢٠ - ٢٥ .
- ٨- <http://www.alsumaria.tv> ، news ، ١٣٤٠١٢ ، ar ، السورية نيوز في ١٤ أيار ٢٠١٥ في الساعة (١٦ : ٠١) واطلع عليه في الثالث ٣ من تموز ٢٠١٥ .
- ٩- <http://www.beladinews.net> ، index.php?aa=news & id ، ١٠٩٨٣=٢٢ ، بلادي نيوز في ٥ ، يناير ، ٢٠١٥ .
- ١٠- <http://www.bbc.co.uk/middleeast/arabic> ، ١٢ ، ٢٠١٤ ، ١٢٢٥_iraq_is_kurds_abady ، بي بي سي عربي في ٢٥ - ١٢ - ٢٠١٤ ، إطلع عليه في ٢٧ - ١٢ - ٢٠١٤ .
- ١١- <http://www.iraqmidea.com> ، المنتدى الإعلامي الحر في العراق في ٢١ - ٠٢ - ٢٠١٥ ، واطلع عليه في ٠١ - مارس - ٢٠١٥ .
- ١٢- مقال الحشد الشعبي ، جريدة الصباح ، ٢١ ، ١١ ، ٢٠١٥ .
- ١٣- شبكة الاعلام العراقي ، مقالات سياسية ، الحشد الشعبي ، ٢٠١٥ .
- ١٤- <http://www.alsumaria.tv> ، news ، ١٣٤٠١٢ ، ar ، السورية نيوز في ١٤ أيار ٢٠١٥ في الساعة (١٦ : ٠١) واطلع عليه في الثالث ٣ من تموز ٢٠١٥ .
- ١٥- مقال الحشد الشعبي ، جريدة الصباح ، ٢١ ، ١١ ، ٢٠١٥ .
- ١٦- <http://www.beladinews.net> ، index.php?aa=news & id ، ١٠٩٨٣=٢٢ ، بلادي نيوز في ٥ ، يناير ، ٢٠١٥ .
- ١٧- شبكة الاعلام العراقي ، مقالات سياسية ، الحشد الشعبي ، ٢٠١٥ .
- ١٨- <http://www.iraqmidea.com> ، المنتدى الإعلامي الحر في العراق في ٢١ - ٠٢ - ٢٠١٥ ، واطلع عليه في ٠١ - مارس - ٢٠١٥ .
- ١٩- <http://www.bbc.co.uk/middleeast/arabic> ، ١٢ ، ٢٠١٤ ، ١٢٢٥_iraq_is_kurds_abady ، بي بي سي عربي في ٢٥ - ١٢ - ٢٠١٤ ، إطلع عليه في ٢٧ - ١٢ - ٢٠١٤ .
- ٢٠- <http://www.alsumaria.tv> ، news ، ١٣٤٠١٢ ، ar ، السورية نيوز في ١٤ ، أيار ، ٢٠١٥ .
- ٢١- مقال الحشد الشعبي ، جريدة الصباح ، ٢١ ، ١١ ، ٢٠١٥ .

المرجعية وفتاوى الجهاد (الدور التاريخي)

المقدمة

الدين رساله الهيه هدفها رسم المسار الذي ينبغي ان تسير بموجبه حياة الانسان ، وفي هذه الرساله قانون شامل لكل مامن شأنه ان يقيم الحياة على اساس من العدل والمساواة وحفظ الحقوق وصيانة الكرامه وكل ما يرتقي بالانسان الى مستوى انسانيته ، والدين يضع لحياتنا هدفاً ويحدد لنا الوسائل التي توصلنا الى ذلك الهدف ، فهو ينقلنا من حالة العبيثه والعشوائيه الى حاله من النشاط والعمل الهادف .

وكان قدر مجتمعتنا ان يرزح تحت نير الويلات والحروب والدمار والفقر والتخلف والصراع الذي لامبرر له ، لذا لم يسمح للدين أن يأخذ فرصة كافية في الاصلاح ولم يسمح لرسالته ان تؤدي دورها في تصحيح مسيرة المجتمع بل ان الفهم السيئ والتفسير الجامد والتعصب الاعمى جعل من الدين سبباً للفرقه والتناحر والعداء بين الانسان واخيه الانسان وهو مانطالعه ونلمسه كل يوم في واقع نتمنى ان يعود له صفاء ونقاءه .

وهنا كان للمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف ، الدور الرئيسي الكبير والمهم في سدّ

لها فقد ترك المجال لكل من تنطبق عليه شروط اهمها العلمية والتقوى ، وبهذا يتصدى لمنصب المرجعية في كل مرحلة مجموعة من العلماء ، ويبقى لكل واحد منهم اجتهاده وطريقته في التصدي ، وينفرد من بينهم ايضا مرجع يسمى المرجع الاعلى الذي تناط به المسؤوليات الكبرى كراعية الناس والعلم وغيرها .

تمثل مرجعية النجف الاشرف هي المرجعية الاولى في المجتمع الشيعي لذلك يمتد مقلدوها في مختلف بقاع العالم ، ويرجعون اليها في استيضاح مستجدات المسائل الشرعية ، ويتواصلون معها من خلال حلقة الوكلاء الذين ينوبون عنها في المناطق التي يتواجدون فيها اتباعهم .

وابرز ما تتميز به المرجعية الدينية هو العمق العلمي والزهد في الدنيا والحكمة ، وهذا جعل من المجتمع يرتبط ارتباطاً قوياً بها ، ويستجيب سريعاً لما يصدر عنها ، ويؤكد تاريخ المرجعية الدينية على انها ومع الظروف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل نشاطها وارتباطها ، فقد لعبت دوراً مهماً لا على مستوى الشيعة فقط ، بل على مستوى المسلمين وفي مدن مختلفة .

الفراغ الشامل (السياسي والقانوني والاجتماعي والاقتصادي وغيره) الذي أحدثه تغيير النظام السابق عام ٢٠٠٣م ، واحتلال العراق من قبل القوات الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية . فأسست المرجعية الدينية العليا الأسس الكبرى الكفيلة لضمان الاستقلال والسيادة للشعب العراقي ، من خلال رفضها للاحتلال الأجنبي ، وإصرارها على دستور يكتب بأيدي عراقية ، وحثها لإجراء انتخابات دستورية تضمن حق مشاركة الشعب بكل أطيافه ، في صنع القرار واختيار شكل نظام سياسي لهم .

المحور الاول : دور المرجعية التاريخي –

المرجعية الدينية وعلى امتداد تاريخها الطويل كان لها الأثر في تحويل مسار العراق عبر الحقب التي مرت به ، حيث كانت وما زالت تمثل مركز الثقل والبوصلة الحقيقية التي إشارات وتسير اليوم الى الوجهة الصحيحة .

المرجعية الدينية هي منصب ديني يرجع اليه الناس لمعرفة الاحكام الشرعية والحوادث المستجدة ، اما في من يتصدى

وقد بدأت المرجعية الدينية تمارس دورها المجتمعي وبقوة منذ نهايات القرن التاسع عشر وخاصة بعد ظهور التدخلات الأجنبية المستمرة في طبيعة العلاقة بين الدولة العثمانية والولايات العربية التي تسيطر عليها، وبالاخص التدخل البريطاني حيث أن سياسة الإنكليز تقوم على تعاملهم مع الشعوب المستعمرة بسياساتهم المعروفة (فرق تسد) ، وكانوا يعتمدون على الأقلية في أي بلد يسيطرون عليه ، وذلك من أجل خلق فجوة عميقة وصراعات بين هذه الأقلية وبقية الشعب ، فمن جهة تؤدي سياسة الاعتماد على الأقلية واضطهاد الأغلبية على تفتيت الوحدة الوطنية ، وتجعل الشعب مفككاً وضعيفاً إزاء المستعمر في نضاله من أجل التحرر . كذلك تجعل الأقلية الحاكمة ضعيفة إزاء الأغلبية المحكومة ، فتضطر إلى الاعتماد على الدعم الخارجي من أجل استمرارها في السلطة ، واضطهاد وقمع الأغلبية في الداخل ، وبالتالي مناهضة الديمقراطية ، لأن الديمقراطية تعني حكم الأكثرية . وهكذا نجد في منح الحكم للأقلية مصلحة متبادلة ، تسهيل سيطرة المستعمر على حكومة الأقلية ، مقابل

ضمان ولاء سلطة الأقلية للمستعمر ، وعملاً بسياستها بدعم الأقلية هذه ، كانت الحكومة البريطانية قد انتصرت للشيعة في العراق إبان الحكم العثماني ، لأن الطائفة الشيعية كانت تشكل الأقلية في الإمبراطورية العثمانية رغم أنها ليست كذلك في العراق ، إذ تفيد الكتب التاريخية أن في الكثير من المناسبات تدخلت القنصلية البريطانية في صالح الشيعة في أواخر القرن التاسع عشر عندما كانت تتعرض للاضطهاد من قبل السلطات العثمانية في العراق ، فكانت تعمل بريطانيا ذلك على أمل زعزعة الحكم التركي بالاعتماد على الأقليات من شعوبها . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد انتصر الإنكليز للشيعة في بعض الحالات التي كانوا يتعرضون فيها لمذبحة ، أو لمشكلة مباشرة مع السلطة العثمانية ، ففي حرب نجيب باشا عام ١٨٤٣ ضد أهالي كربلاء ، تدخل القنصل البريطاني طرفاً لتسوية النزاع . كما تدخل الدبلوماسيون الإنكليز في المشكلة التي تعرض لها الإمام محمد الشيرازي إثناء إقامته في سامراء أواخر القرن التاسع عشر لصالح الشيعة هناك ، إلا إن الإمام الشيرازي رفض مقابلة القنصل البريطاني ، وبعث له

وهناك عامل آخر دفع الإنكليز إلى اضطهاد العرب الشيعة وحرمانهم من التمتع بالحقوق وتكافؤ الفرص في بلادهم، وهو أن المرجعية الشيعية وعشائر الوسط والجنوب قد أعلنوا حرب الجهاد ضد الاحتلال البريطاني، ووقفوا إلى جانب الأتراك دفاعاً عن الدولة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى، وهي مفارقة عجيبة أن يدافع الشيعة عن النظام العثماني التركي الذي كان يضطهدهم، ولم يعترف حتى بمذهبهم، بل كان يعتبرهم مرتدين عن الإسلام. وهذه المسألة مهمة تحتاج إلى وقفة لمناقشتها، لإعطاء القارئ الكريم صورة واضحة عنها، وما لها من دور إضافي في اتخاذ الإنكليز موقفاً مناوئاً للشيعة وزرعهم التمييز الطائفي ضدهم فيما بعد، والتي بقيت آثارها المدمرة لحد الآن.

فعند إعلان الحرب العالمية الأولى، قرر الحلفاء، بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية القضاء على الدولة العثمانية (الرجل المريض). وهنا استجابت المرجعية الشيعية إلى فتوى شيخ الإسلام في إسطنبول خيري أفندي، في ٧ تشرين الثاني ١٩١٤، بالنفير العام للدفاع عن دولة الخلافة الإسلامية.

من يبلغه بكلمته وهي "نحن مسلمون فلا حاجة لتدخلكم بيننا"، فرجع القنصل خائباً.

ولكن هذه السياسة (نصرة الإنكليز للشيعة) تغيرت بعد الحرب العالمية الأولى وبعد طرد الأتراك من العراق، حيث برز العرب الشيعة كأكثرية في العراق، و العرب السنة هم الأقلية، لذلك قرر المستعمرون الإنكليز حكم العراق على أساس الطائفية، والاعتماد على الأقلية العربية السنية حيث كانت نسبتهم لمجموع سكان العراق حوالي (١٩%)، والشيعة (٥٥%)، ونسبة الأكراد (١٨%)، أما مجموع الشعب آنذاك فقد كان (٢٦٤٣٠٠٠ نسمة)، حسب الإحصاء السكاني الذي أجرته الإدارة البريطانية عام ١٩١٩. ولعل أدق إحصائية نشرت عن التوزيع السكاني في العراق هي المستمدة من الإحصاء الرسمي الذي أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧، كما نشرها حنا بطاطو في كتابه الموسوم (الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العراق)، اورد حسب هذه الاحصائية جدول اوضح فيه سكان العراق وتوزيعهم العرقي والديني والمذهبي، في ضوء ذلك بنت بريطانيا سياستها التي سوف تتبعها في العراق.

وكان البيان طويلاً جاء فيه: "إن بريطانيا وفرنسا وروسيا تستعبد المسلمين منذ زمن بعيد وتنتهك حرمتهم وهي تبغي إضعاف الخلافة لأنها ركيزة الإسلام ومناطق قوته، ولهذا فإن أمير المؤمنين الخليفة يدعو المسلمين جميعاً من غير استثناء إلى الجهاد للدفاع عن قبر النبي وبيت المقدس وكرבלاء والنجف وعاصمة الخلافة. فيا أيها المسلمون من عاد حياً من جهاده نال سعادة كبرى، أما الذي يموت منكم فله أجر الشهادة ويذهب إلى الجنة حسبما وعدنا الله به."

وقد رافقت هذه الفتاوى حملة دعائية واسعة من قبل الألمان، فكان الدعاة الألمان في البلاد الإسلامية يزعمون أن الشعب الألماني كله قد اعتنق الإسلام، حتى القيصر غليوم نفسه قد اعتنق الإسلام أيضاً، ولهذا صار القيصر يُعرف بين المسلمين باسم "الحاج غليوم" تارة و"محمد وليم" تارة أخرى. ومحاولة الأوربيين نشر هكذا دعاية والإدعاء باعتناق الإسلام ليست جديدة في مثل هذه الأحوال. فقد فعل ذلك نابليون بونابرت في مصر عندما فتحها في عام ١٧٩٨ حيث لبس العمامة وتحدث عن

رؤيته للنبي محمد في المنام.

وكان الشيخ مهدي الخالسي متحمساً للجهاد، وكتب في ذلك رسالة بعنوان: "الحسام البتار في جهاد الكفار" نشرتها جريدة "صدى الإسلام" على حلقات متتابعة، وعلى الرغم من العلاقة العدائية بين السلطة العثمانية والطائفة الشيعية، كون المؤسسة الشيعية تاريخياً لا ترتبط بالسلطة كما هو معروف وفقاً لتقاليد الفكر الشيعي، فقد استجاب علماء الشيعة المجتهدون لهذه الفتوى بكل حماس، وأصدروا فتاوى لأبناء العشائر العراقية لإعلان الجهاد ضد المحتلين البريطانيين "الكفار". وكان على رأس المنتفضين للجهاد المجتهد السيد مهدي الحيدري، وهو في الثمانين من العمر، وأولاده الثلاثة وهم السيد عبد الحميد والسيد أحمد والسيد راضي، وجميعهم بدرجة الاجتهاد، وكذلك شيخ الشريعة، والشيخ مهدي الخالسي، والسيد عبد الرزاق الحلو. وقاد هؤلاء الزعماء حرب الجهاد في منطقة القرنة والحويزة، كما قاد الجهاد في منطقة الناصرية والشيعية الفقيه والشاعر السيد محمد سعيد الحبوبى وهو في السبعين من عمره وكان أمين سره آنذاك

السيد محسن الحكيم .

ولا حتى الجيش العثماني كان يمكنه أن يضاهي، بقوته، وانضباطه وتجهيزاته في العراق، الجيش البريطاني .

لنا أن نتساءل: هل كان الحكم التركي في العراق، أو البلاد العربية، يستحق الدفاع عنه؟ وهل كان الاحتلال التركي للعراق يمثل حكماً إسلامياً مشروعاً، خاصة وإنهم كانوا يعتبرون الشيعة منحرفين عن الإسلام بل ومشركين، ومحرومين من أبسط حقوق الإنسان، ناهيك عن حقوق المواطنة؟

في الحقيقة، كان هناك عداً متبادل بين الشيعة والحكم التركي، فقد سأمت الناس من الظلم والحروب، وكان التجنيد بلاءً، إذ بدأ حتى الجنود الأتراك يفرون من صفوف الجيش منذ أواخر عام ١٩١٦. أما الجنود العراقيون فقد سبقوا أولئك بمدة طويلة، أي منذ إعلان النفير العام وظلوا كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد اعتاد العراقيون على معاداة الدولة وهم يعتبرون التجنيد كالضريبة يجب التهرب منه بكل وسيلة تقع في أيديهم، ولذلك كان الناس يضمرون مشاعر العدا للأتراك بسبب مظلهمهم، ولا يرون أي مبرر للدفاع عنهم من الإنكليز، لذلك يقول المؤرخ عباس

لقد قاد هؤلاء الزعماء الروحانيون أبناء العشائر العربية الشيعية من الوسط والجنوب لخوض حرب غير متكافئة، إذ لم يكن أبناء العشائر عندهم أية خبرة أو تدريب على السلاح، ولا الحكومة التركية جهزتهم بما فيه الكفاية من السلاح والعتاد لمواجهة الجيش البريطاني المحترف والمجهز بأرقى التجهيزات بما يناسب الوقت. وأتى لهذه الزعماء الروحانيين، المتفرغين للعلوم الدينية والفقه والحلال والحرام، أن يواجهوا مثل هذه الحرب ويحققوا النصر على جيش محترف، ليجدوا أنفسهم يقومون بأعمال لم يكونوا مهيين لها، ألا وهي وظائف الجنرالات العسكرية، ومن الجهة الأخرى، سواء اتفقنا أم لم نتفق مع مبررات الفقهاء لحرب الجهاد، فهذا الموقف يعكس مدى إيمان هؤلاء بعدالة قضيتهم واستعدادهم للشهادة في سبيل الدفاع عن الإسلام. كذلك كان العدا بين الشعب العراقي والدولة التركية مستفحلاً لأربعة قرون بسبب ظلم الدولة لهم. فإذا استجاب أبناء العشائر لفتوى الجهاد، كان ذلك استجابة لعلمائهم المجتهدين وليس حباً بالحكومة التركية،

العزاوي صاحب كتاب: العراق بين احتلالين: "إن الأهلين صاروا لا يبالون بالهزيمة، وقد نفروا من الحرب العامة. وشاع على لسانهم "سفر علك بدلاً من سفر برلك"، أي نفير الهزيمة لا نفير الحرب. وصاروا يذهبون مكبلين إلى الجبهات للقتال في صفوف الجيش العثماني".

ما الذي كسبه الشيعة من حرب الجهاد؟ اعتقد إن استجابة رجال الدين الشيعة للجهاد ودفعهم لأبناء العشائر في الحرب على الجيش البريطاني المحتل لا يخلو من حيرة، وتحتاج إلى إعادة نظر، ومناقشة عقلانية ومنطقية، بعيداً عن العواطف والحماس. فهناك تناقض أوقعت المرجعية الشيعية نفسها فيه، حيث انتفض الشيعة ضد الإنكليز الذين انتصروا لهم في الماضي، فأعلنوا الجهاد ضد الإنكليز دفاعاً عن الدولة العثمانية التي اضطهدتهم لأربعة قرون، وقد أعاد التاريخ نفسه على شكل مأساة عام ٢٠٠٣ عندما قاد السيد مقتدى الصدر، (نجل المجتهد الشيعي محمد محمد صادق الصدر)، مؤسس جيش المهدي، حرب الجهاد ضد القوات الأمريكية التي أسقطت أبشع نظام عرفه

التاريخ في العراق ألا وهو نظام البعث الصدامي الذي قتل والده وأخويه وابن عم والده السيد محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى.

وقد ألصق الأتراك عقب هزيمتهم في معركة الشيعة تهمة الخيانة بالعرب، وألقوا اللوم في هزيمتهم على المجاهدين العرب، ومن هنا جاءت عبارتهم المشهورة التي صار الناس يرددونها بعدهم كثيراً وهي عبارة "عرب خيانت". لا أدري ماذا كان الأتراك يتوقعون من العرب بعد أن اضطهدوهم لأربعة قرون. وقد جرت في تلك الآونة محاورة عنيفة بين الضابط التركي أحمد بك أوراق وبدر الرميض رئيس عشيرة بني مالك، فقد قال هذا الضابط بحضور جمع من العشائر: "أننا لو فتحنا الشيعة والبصرة، علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً، وعشائر شط دجلة ثانياً، لأنهم خونة". فأجابه بدر الرميض قائلاً: "أنتم الخونة للإسلام، وتحزبكم ضد العرب كان كافياً لمصداق قولي، وأنتم أولى بالحرب والقتال ممن نحارب، ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها".

مكتوباً فيها: "أن محاربة الحكومة العثمانية أولى من محاربة المشركين".

ويقول الدكتور علي الوردي في هذا الخصوص ما نصه: "الواقع أن جميع المدن العراقية كانت ترغب في إعلان العصيان على الحكومة غير أنها لم تكن قادرة عليه، أو هي كانت تتحين الفرص له فلم تجدها، فاقصر العصيان على مدن الفرات الأوسط وحدها".

يحاول حسن العلوي في كتابه (الشيعة والدولة القومية) الدفاع عن حرب الجهاد على إنها كانت حرب وطنية وقومية وإسلامية. في الحقيقة لم يكن دافع الجهاد وطنياً، أو قومياً بل كان دينياً إسلامياً لأن في تلك الفترة كان الشعور الوطني والقومي غير واضح المعالم لدى رجال الدين، فالإسلام دين أممي ولا يعترف بحدود وطنية أو قومية كذلك، إذا أخذنا الوطنية والقومية في نظر الاعتبار في هذه الحرب، فالعراق والبلدان العربية الأخرى كانت محتلة من قبل دولة أجنبية على أية حال، وهي الدولة العثمانية المتخلفة التي حكمت الشعوب العربية لأربعة قرون باسم الإسلام، أغرقوها في غياهب ظلمات الجهل والتخلف، ودمروا

هذه المحاوره تكشف بوضوح مدى الحقد الذي كان يضره الأتراك للعرب عموماً، ناهيك عن الشيعة الذين عانوا من ظلمهم بشكل مضاعف، ولم يلتفتوا إليهم إلا عند الحاجة واشتداد الأزمة وتعرض دولتهم للاحتلال البريطاني. ومع ذلك كان العرب قد استخدموا كبش فداء لتبرير هزيمة الأتراك أمام المحتلين، وكان في نيتهم إبادة العرب في حال انتصارهم على الإنكليز. وهذا ما صرح به القائد التركي خليل باشا للورنس إبان حصار الكوت حول تبادل الأسرى.

كما بينا آنفاً، كانت حرب الجهاد نتيجة تأثير رجال الدين الذين كانوا مع الحكومة العثمانية، على أبناء العشائر الشيعية الذين كانوا ضدها، وفي الحقيقة إن العشائر وسكان المدن في معظم أنحاء العراق كانت تكن العداء للحكومة العثمانية، وبالأخص في المناطق الشيعية. لذلك وبعد هزيمة الأتراك في الشعيبة حصلت حركة عصيان شعبي واسع في الفرات الأوسط ضد الحكومة، بدأت في النجف ثم انتشرت في المدن الأخرى للمنطقة ومن علامات هذا العداء أن نشرت في النجف ذات يوم أوراقاً

حضارتها شر تدمير حتى أنهم حاولوا القضاء على اللغة العربية بتبنيهم سياسة تبريك العرب. فهل حقاً دولة كهذه تستحق الدفاع عنها ومن قبل محكوميتها العرب ووصف تلك الحرب بأنها كانت بدوافع وطنية وقومية؟ لا أعتقد ذلك. وحتى طرح الدافع الإسلامي كان غير موفقاً، لأن الخلافة الإسلامية التي ادعت بها الدولة التركية كان غير معترف بها من قبل الشيعة، ولا الشيعة معترف بهم من قبل الدولة العثمانية.

وبالعودة إلى حسن العلوي، فإنه يرى في الموقف الشيعي المضاد لمصالح أبناء الطائفة بأن الشيعة ليسوا طائفيين، فهم ثاروا ضد الإنكليز من منطلق الدفاع عن حكم الأتراك الإسلامي، وضد حكم البريطانيين "الكفار"، فدافعوا عن حكم الأتراك لأنه مسلم رغم طائفية الأتراك ومعاناة الشيعة من التمييز الطائفي، وبذلك أعطوا الأولوية للإسلام على الطائفة.

ويستدرك العلوي قائلاً: "لا ننسى أن التذكير بدور الشيعة في حركة الجهاد، قد لا يأتي بالثناء عليهم دائماً. فهناك مجال واسع للاعتقاد، بأنهم بسطاء ومثاليون ربطوا مصيرهم بمصير دولة مهزومة، كانت مثلاً

للجور والاستبداد، وإنهم عاطفيون للغاية، حين استفزهم منظر الجيش غير المسلم الذي غزا أرض الإسلام، مما يعني وقوعهم تحت تأثير ديني قاهر".

ومن جهة أخرى، فمن الصعوبة توجيه حركة التاريخ بالوجهة التي أراد لها صناع التاريخ، إذ يقول الفيلسوف والاقتصادي الاسكتلندي المعروف، آدم سميث في هذا الصدد: "نتائج غير مقصودة لأفعال مقصودة، ولكن في نهاية المطاف تكون في صالح المجتمع"، وهذا ينطبق تماماً على حرب الجهاد التي أفتى بها وقادها رجال الدين الشيعة، فهم قادوا هذه الحرب الجهادية لنصرة الإسلام، وضد الاحتلال البريطاني، ولكن هذا الغرض لم يتحقق لأن الحلفاء قد انتصروا وانتهت الدولة العثمانية إلى الأبد، وخضع العراق، كما الأقطار العربية الأخرى، للحلفاء (بريطانيا وفرنسا). ولكن على الرغم من عدم تحقيق الأهداف المرجوة من حرب الجهاد، فقد نجمت عنها "نتائج غير مقصودة" وهي في غاية الأهمية ودون أن يقصدها قادة الجهاد في أول الأمر. فما هي النتائج غير المقصودة من الحرب العالمية الأولى وحرب الجهاد، وما

فائدتها للشعب العراقي ؟

لقد أدت الحرب الجهادية، وبدون وعي أو قصد من قادتها، إلى وضع الخميرة لنشوء الوعي الوطني والقومي، والوحدة الوطنية بين مكونات الشعب العراقي، والذي بدوره أدى فيما بعد إلى اندلاع ثورة العشرين الوطنية وتأسيس الدولة العراقية، ويؤكد الباحث حنا بطاطو هذا الاستنتاج فيقول: "ولكن ما ساهم أكثر من أي شيء آخر في تقدم الشعور الجديد (الوطني) كان الغزو الإنكليزي ١٩١٤ - ١٩١٨، أو بالأحرى المقاومة التي أثارها هذا الغزو ووصلت الذروة في انتفاضة العام ١٩٢٠. وللمرة الأولى منذ قرون عديدة تتوحد جهود الشيعة والسنة سياسياً، وعشائر الفرات الأوسط مع سكان بغداد. وأقيمت احتفالات شيعية - سنية مشتركة لا سابق لها. وكانت هذه الاحتفالات دينية في ظاهرها وسياسية في الواقع، حيث أقيمت في كل مساجد الشيعة والسنة بالتناوب، فكانت الموالد النبوية في ذكرى مولد الرسول، وهي احتفالات سنية، تتبع مجالس تعزية لذكرى استشهاد الحسين، وهي احتفالات شيعية. وكانت الطقوس تبلغ ذروتها بخطابات وأشعار

سياسية تهدد الإنكليز وتتوعدهم. " ويضيف: "إن الثورة المسلحة.. قد أصبحت جزءاً من الميثولوجيا الوطنية، وبالتالي عاملاً هاماً في انتشار الوعي الوطني".

وهكذا نجد أن حرب الجهاد أيقظت في العراقيين مشاعر الوطنية، والقومية الكامنة التي حاولت الدولة العثمانية قتلها خلال أربعة قرون من حكمها لهم، فكانت المشاعر إزاء الأتراك قبل الحرب العالمية الأولى قد تكيفت وتآلفت مع الحكم التركي باسم الإسلام والخلافة الإسلامية، فقد حصل نوع من الاندماج وتقبل الحاكم التركي رغم جوره، وكقدر مكتوب لا خلاص ولا مناص منه. فكان شعور العرب إزاء الأتراك على أساس ديني وغير أجنبي، ولكن ما أن تم طرد الأتراك وتواجد على أرض العرب محتلون "كفار" من بلاد غريبة دينياً، وقومياً، وثقافياً، حتى واستيقظ الوعي الوطني والقومي من سباته الطويل الذي رفض ليس المحتل الأجنبي والإنكليزي "الكافر" فحسب، بل وحتى المحتل السابق (التركي) أيضاً. لذلك يمكن اعتبار حرب الجهاد مرحلة تحريك وتحفيز المشاعر الوطنية لدى الجماهير الشعبية، وإيقاظها

العربية وغيرها كثير من الاتهامات الجائرة، وراحوا يؤلفون الكتب ويدبجون المقالات لترويج وتأكيد هذه الاتهامات، وإصاق النعوت المهينة بالشيعية. وقد بلغ الغلو في البعض من القوميين العرب إلى حد أنهم ادعوا أن العرب الشيعة ليسوا عرباً ولا عراقيين أصلاً، بل جلبهم القائد العربي الإسلامي، محمد القاسم مع الجواميس من الهند وأسكنهم أهوار الجنوب.

إن الربط بين القومية والطائفية كان بمثابة العبوة الموقوتة الناسفة للقومية العربية نفسها، والسبب المباشر والرئيسي لفشل الدولة العراقية الحديثة في عدم استقرارها، وتغذية وإدامة الأحقاد والصراعات العنيفة بين مكونات الشعب العراقي، الأمر الذي أدى إلى تدمير الحركة القومية العربية، وإلى فشل المشروع الديمقراطي الليبرالي الذي أراد الملك فيصل الأول بناء مملكته على أساسه، وبالتالي إلى انهيار الدولة العراقية المدوي يوم ٩/٤/٢٠٠٣، وما تلاه من مضاعفات وتداعيات مهولة.

وتأكيداً لدور حركة القومية العربية في الأزمة العراقية وأزمة الدول العربية الأخرى، نشير إلى التقرير الإستراتيجي العربي لعام

من سباتها وبزوغ فجر جديد للنضال الوطني الحقيقي، والعمل على تأسيس الدولة العراقية الحديثة وذلك بالتحضير للثورة ضد الإنكليز، وفي هذه المرة بدوافع وطنية وقومية وإسلامية في نفس الوقت، ألا وهي ثورة العشرين الكبرى التي انطلقت شرارتها في الرميثة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠، وانتشرت كالنار في الهشيم في جميع مناطق الفرات الأوسط خاصة، والعراق عموماً، والتي أرغمت الاحتلال البريطاني على تأسيس الحكم الوطني ومن ثم الدولة العراقية المستقلة.

المحور الثاني: الطائفية في العراق –

إن أكبر الخطايا والآثام التي اقترفها رواد حركة القومية العربية في أوائل القرن العشرين ومن تلاهم فيما بعد، أنهم ربطوا حركة القومية العربية بالطائفية المعادية للعرب الشيعة، والنظرة الشوفينية العنصرية ضد غير العرب، حيث راحوا يوصمون الشيعة العرب بشتى النعوت المهينة، والطعن بعروبتهم ووطنيتهم، مثل وصمهم بالعجمة، والشعوبية، والرتل الخامس، والولاء لإيران بدلاً من ولائهم لأوطانهم

طريق التهجير القسري الداخلي والخارجي، وغيرها من عمليات التطهير العرقي والطائفي، والجرائم البشعة بحق مكونات الشعب العراقي وضد حقوق الإنسان تكللت بإرغام نحو خمسة ملايين من العراقيين على الهجرة إلى الشتات، معظمهم من الشيعة العرب والكرد، وجلب النظام مكانهم نحو أربعة ملايين من مواطني البلدان العربية وعاملهم كمواطنين عراقيين، بغية تغيير ديموغرافية العراق طائفيًا وقومياً.

إن الظلم الذي تعرضت له الغالبية العظمى من أبناء الشعب العراقي منذ تأسيس الدولة العراقية، ما كان إلا نتيجة حتمية لسياسة التمييز الطائفي، والعنصري الذي اتخذ شكلاً هستيرياً رهيباً غير مسبوق في عهد حكم البعث، وبالأخص عندما استلم صدام حسين رئاسة الدولة والمناصب العليا الأخرى. وما الاقتتال الذي انفجر بعد سقوط حكم البعث، إلا نتيجة لتراكمات المظالم والاحتقانات عبر عقود من السنين، والتعبير عن شحنات الغضب والاحتقانات الكامنة، حيث أدمنت الفئة الحاكمة على مواصلة الاستئثار بالسلطة وإصرارها على عدم مشاركة المكونات الأخرى من الشعب في الحكم مشاركة عادلة، وفي هذه الحالة فلا بد للسلطة أن تعتمد على سياسة

١٩٩٩، الذي جاء فيه: "إن القومية العربية تتحمل مسؤولية كبرى، بل مسؤولية أولى، عن التدهور الذي آل إليه النظام الإقليمي العربي في نهاية القرن العشرين، فهذا يرتبط بالأساس اللاديمقراطي، بل المعادي للديمقراطية، الذي قامت عليه".

وامتداداً للتمييز الطائفي والعرقي في العهود السابقة، اتخذت المظالم ضد الشيعة والكرد شكلاً متطرفاً في عهد حكم البعث الثاني (١٩٦٨ - ٢٠٠٣) حيث انفرد النظام، ولأول مرة في تاريخ العالم، وبدوافع طائفية وعنصرية بحتة، بإصدار قانون إسقاط الجنسية (رقم ٦٦٦ لسنة ١٩٨٠) الذي أسقط بموجبه الجنسية عن مئات الألوف من الشيعة، العرب والكرد الفيلية، والتركمان، وتهجيرهم بالقوة بتهمة التبعية الإيرانية، وتم تنفيذ هذا القانون بمنتهى القسوة والوحشية، وذلك بإلقائهم على الحدود الإيرانية المغمومة أيام الحرب العراقية - الإيرانية، بعد أن جردهم من جميع وثائقهم الرسمية التي تثبت عراقيتهم أباً عن جد، ومصادرة ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة. كما وقام نظام البعث بحروب إبادة الجنس ضد الأكراد في عمليات الأنفال والغازات السامة في حلبجة، والتغيير الديموغرافي ضد الأكراد عن

القمع والإرهاب .

لاسترجاع سلطته التي فقدتها يوم ٢٠٠٣/٤/٩ .

وهنا أود التأكيد على أن الذي حصل في يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣ هو سقوط النظام البعثي الصدامي الفاشستي، وليس سقوط بغداد كما يردد فلول البعث والمتعاطفون معهم، حيث تحرر الشعب العراقي الأعزل الذي كان مغلوباً على أمره من أبشع نظام همجي ديكتاتوري عرفه التاريخ، ليبدأ ولادة دولة عصرية جديدة لكل العراقيين دون استثناء، مبنية على أسس الديمقراطية الحقيقية، ودولة المواطنة والقانون. وبعد كل هذه المظالم التي تعرض لها الشعب العراقي لأربعين عاماً من حكم التيار القومي، وخاصة البعثي، فلا يمكن أن تولد دولة ديمقراطية بدون آلام ومضاعفات وتداعيات، إذ كما قال الفيلسوف الألماني هيغل: "إن ولادة الأشياء العظيمة دائماً مصحوبة بالألم"، والديمقراطية هي من أعظم ما أنتجته الحضارة البشرية، لذا فلا بد وأن تكون مصحوبة بآلام ومضاعفات وتضحيات.

لذلك لم يكن ممكناً تجنب التداعيات التي حصلت بعد سقوط نظام البعث وما حصل من فوضى، وأعمال شغب، ونهب، وفرهود، وقتل الأبرياء، وتدمير الممتلكات ولكن كان من الممكن التخفيف منها فيما لو اتخذت قوات

إضافة إلى ما تقدم، هناك عوامل أخرى ساعدت على إشعال المزيد من الصراعات بعد سقوط حكم البعث، منها أن نظام البعث أعاد المجتمع العراقي إلى ما قبل نشوء الدولة وتكوين الشعوب، أي إلى مرحلة البداوة فأحيا القبلية، والعشائرية، وأجج روح الطائفية، كما وقام بتدمير الطبقة الوسطى بالكامل وإفقار الجميع.

كذلك استغلت دول الجوار تعقيدات الوضع العراقي بعد سقوط البعث، وبالأخص التعدد المذهبي، والأثني، وخوفها من نجاح العملية السياسية في العراق، وارتعابها من وصول عدوى الديمقراطية إلى بلدانها، لذلك ساهمت هذه الدول في تأجيج الفتنة الطائفية، وصب الزيت على النار، فكل دولة تدعم الطائفة والأثنية التي تماثلها في العراق، لإفشال العملية السياسية ومنع الديمقراطية فيه.

ومن كل ما تقدم، نرى أن الصراع الطائفي كان موجوداً منذ تأسيس الدولة العراقية وانفجر بعد سقوط حكم البعث الذي طرح نفسه المدافع الأمين والوحيد عن العرب السنة، لا حرصاً على المذهب، إذ هو حزب علماني، بل لربط مصير أبناء الطائفة بمصيره، وتسخيرهم

الدموي ، والمتطرف في الاستبداد الجائر ، إلى النظام الديمقراطي الكامل بين عشية وضحاها ، ودون أي تحضير أو مقدمات . أي أنهم تعاملوا مع الشعب العراقي الذي تعرض إلى كل هذه المظالم والنكبات عبر قرون ، وخاصة في العقود الخمسة الأخيرة ، بمثل ما يتعاملون مع شعوب الدول الغربية العريقة في الديمقراطية .

إلا إنه من الجانب الآخر ، يجب أن نعرف أنه ليس هناك أسهل من توجيه الانتقادات وإلقاء اللوم على الآخرين ، وإطلاق الأقوال الحكيمة بعد فوات الأوان . وفي جميع الأحوال ، لا يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء وتلافي الأخطاء التي ارتكبت منذ ٩ نيسان ٢٠٠٣ لحد الآن ، بل يجب استخلاص الدروس والعبر من أخطاء الماضي وتصحيحها ، فعلى الرغم من كل ما جرى من فواجع ، هناك أمل كبير في بناء عراق ديمقراطي مستقر ومزدهر فيما لو توفرت لدى أهل الحل والعقد النوايا الحسنة والإرادة القوية في معالجة الأوضاع بجدية . لذلك ، وفي هذه الحالة ، يجب الاستمرار في العملية الديمقراطية بكل إصرار ، دون أي تراجع عنها أو تساهل إزاء العقبات .

خلاصة القول : ومن كل ما تقدم ،

التحالف ، وقادة المعارضة آنذاك ، إجراءات احترازية مسبقة قبل التغيير لمنع الانفلات الأمني وعمليات النهب والفرهود ، بمواجهة عصابات الجريمة المنظمة ، ومنظمات الإرهاب من فلول البعث وحلفائهم من أتباع القاعدة ، بحزم منذ البداية ، وتحديد مرحلة انتقالية من ثلاثة إلى خمسة أعوام ، لتتم خلالها السيطرة الكاملة على البلاد ، والمباشرة ببناء الدولة العصرية وأجهزتها الأمنية والاستخباراتية ، وقواتها المسلحة من المستقلين والتكنوقراط على أسس حديثة ثابتة ومتينة ، وتجهيزهم بكل الوسائل الحديثة اللازمة ، وتثقيفهم بالانضباط العسكري والولاء للوطن ، وفرض الأمن لحماية أرواح الناس وممتلكاتهم من الأشرار ، واحترام وحماية الحكومة المدنية الديمقراطية ، والعمل على إزالة مخلفات البعث وعقلية الانقلابات العسكرية من الجيش الجديد ، والمباشرة بإعمار العراق ، وبناء مؤسسات المجتمع المدني ، ونشر ثقافة الديمقراطية وروح التسامح ، ومن ثم تهيئة الأجواء للانتخابات والانتقال التدريجي إلى الديمقراطية .

ولكن مع الأسف الشديد أراد الأمريكان والمعارضة العراقية السابقة (الحاكمة اليوم) ، أن يقفوا بالعراق من نظام صدام حسين القمعي

نستنتج أن التمييز الطائفي والعنصري كان سياسة متبعة في العهد الملكي وما قبله ، وحصل نوع من القطيعة مع هذه السياسة في فترة قصيرة وذلك في عهد حكم الزعيم عبد الكريم قاسم ، ثم تصاعد في عهد الأخوين عارف وما تلاه من حكم البعث الثاني من ١٩٦٨ إلى سقوطه في ٢٠٠٣ ، وسوف لن يتحقق الاستقرار السياسي ما لم يتم إلغاء التمييز بجميع أشكاله في نظام ديمقراطي عادل ، ولكل فرد صوت واحد في اتخاذ القرار .

المحور الثالث : المرجعية وفتاوى الجهاد الكفائي

لقد كان للمرجعية الدينية الشريفة دور فاعل في أحداث العراق والمنطقة قبل سقوط النظام لا يمكن لأحد إن يتجاهله ، إذ يعود تاريخ مشاركة علماء الدين العراقيين في صميم السياسة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى ، حيث دعا علماء الشيعة للجهاد مع العثمانيين ضد الإنجليز ، كما ذكرنا ذلك سلفاً ، وساهم بعضهم في القتال فعلاً ، إلا إن تنامي دورها الأساس والرئيسي في الشؤون العامة ظهر بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ، وبعد صعود

التيارات السياسية الإسلامية والقومية والمدنية إلى السلطة في العراق اثر سقوط النظام البائد ، ظهرت بعض الأصوات الشعبية تطالب بإشراف ورعاية المرجعية الدينية في النجف الاشرف وعلى رأسها (آية الله السيد علي السيستاني) للعملية السياسية في العراق وعدم ترك الأمور بيد الاحتلال وتلك التيارات السياسية المختلفة ، وفعلاً دعت المرجعية الدينية الشريفة إلى اخذ رأي الشعب في كل الأمور التي تخص البلد ابتداء من الدعوة لتشكيل حكومة عراقية وإنهاء سلطة الاحتلال المؤقتة ، ثم الدعوة لكتابة دستور دائم للبلاد من قبل العراقيين ، والدعوة أيضاً لإجراء انتخابات حرة ونزيهة لانتخابات أعضاء المجالس المختلفة ، (مجلس النواب ، ومجالس المحافظات والاقضية والنواحي) ، لذلك كان- ولا يزال - للمرجعية الدينية في النجف الاشرف دور مهم في المرحلة الراهنة لأجل تشخيص نقاط القوة والضعف في الأداء السياسي لتلك التيارات والأحزاب السياسية العراقية ، ثم تصاعد هذا الدور وبشكل لافت للنظر بعد دخول تنظيم داعش الإرهابي للعراق وسيطرته على أجزاء مهمة في الموصل والانبار وكركوك وصلاح الدين ، وخاصة فتوى الجهاد الكفائي لصد

سياسيا فقط بل هي شأن اجتماعي والشأن الاجتماعي يدخل في دائرة اهتمامات المرجعية وبحكم تصديه لمقام المرجعية الدينية، (آية الله العظمى السيد علي السيستاني) نفسه ملزما بالتعاطي في قضية الانتخابات والتي يعتقد أنها الأساس المتين للعملية السياسية وللحياة الاجتماعية في أي مجتمع أو بلد، ومن خلال التأمل في تجارب الامم التي تتمتع بنظم سياسية مستقرة وبحياة هادئة فسلامة الحياة السياسية يكون بوجود انتخابات حرة نزيهة تعبر عن رأي الأمة وأرادتها، على أن أعطاه رأيه بالانتخابات لم يكن ابتدائيا بل جاء كجواب لتساؤل عرضه عليه بعض مقلديه، وقد أجاب على التساؤل المذكور بصفته مرجعا للتقليد لا زعيما سياسيا ولا وليا فقيها، كما أن إصراره على الانتخابات يأتي من باب التلميح والحدس باحتمال ميله للإيمان بولاية الأمة على نفسها وبقيمومتها على ذاتها حيث لم يقم لديه الدليل على ولاية الفقيه المطلقة التي يقول بها البعض لكن ذلك لا يعني عدم تعاطيه السياسة مطلقا، خصوصا وان هناك الكثير من الساسة العراقيين والأجانب قد طرق بابيه لأخذ

التنظيمات الإرهابية والدفاع عن الوطن والمقدسات وأخرها الوقوف مع الشعب في مطالبته بالتغيير ومحاسبة المسؤولين المقصرين والفاستدين وتوفير الخدمات للشعب.

وإذا عدنا إلى أسباب تدخل المرجعية الدينية في الأمور السياسية والعامة للبلاد، فان هناك عدد من الأحداث والتطورات التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، جعلت المرجعية الدينية الرشيدة تنهض من طورها التقليدي الذي ابتعد عن التدخل المباشر في الأمور السياسية للعراق، إلى التدخل المباشر، وبطرق عديدة منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسية والاجتماعية ومنها الدعوة إلى التهدة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفية، ويمكن إن ندرج بعض هذه الأسباب لذلك ومنها :

١ - ترى المرجعية أن دورها يعني الأشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والأجتماعية وهي تكليف وليس تشريف وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزا سياسيا، لذا إن الانتخابات في نظر المرجعية ليس شأنًا

المشورة منه في أمور العراق المختلفة .

٢ - إن تدخل المرجعية في الحياة السياسية، نابع من مواقفها وحرصها الشديد على أن ينال كل العراقيين حقوقهم، وإن لا يكون هنالك تمييز لشريحة معينة على حساب بقية شرائح الأمة، وتأتي أيضا من تفهم المرجعية الرشيدة لأهمية الدستور في حياة أي أمة وهي ترى أهميتها في حياة الأمم المتحضرة، وهو يتماشى مع ما تدعو إليه المرجعية من إحلال السلم والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب العراقي وإن لا يكون لفئة ما امتياز على بقية الفئات وهذا هو موقف ابوي تجاه شرائح المجتمع العراقي وليس موقفا سياسيا الزاميا .

٣ - فلقد كانت مرجعية اية الله (السيد علي السيستاني) ترى بان الامور ستتحسن عند اجراء الانتخابات حيث سيأخذ كل ذي حق حقه، إلا أن ظهور تقصير واضح من قبل الذين تصدوا للعمل السياسي في العراق من مختلف المكونات، من خلال ظهور التقسيم الطائفي - المحاصصة الطائفية - للحكم في العراق وليس على أساس الكفاءة والمؤهلات، كذلك استشرى الفساد المالي والإداري في كل مفاصل الدول وعلى

مختلف المستويات الذي لم يشهده العراق خلال تاريخه السياسي، وأخيرا أدى هذا التناحر بين الكتل السياسية والفساد المالي إلى سوء الخدمات وتزايد مستويات الفقر وسرقة المال العام، ودخول المجموعات الإرهاب من خلال تنظيم داعش الإرهابي والاستيلاء على مساحات واسعة من العراق، وعلى الرغم من التحذير المستمر للمرجعية الدينية للسياسيين من خطورة هذه الأمور على مستقبل العراق، ودعواتها المستمرة إلى الالتزام بحرية الشعب وتوفير العيش السليم له والحفاظ على المال العام، ومطالبتها المواطنين وفي بداية إي انتخابات على مستوى النواب أو المحافظات، إلى الاختيار على أساس الكفاءة والنزاهة لتولي المناصب العليا في البلاد، وذلك في محاولة لتغيير الوضع القائم وإنهاء حالة الانقسام والفساد المستشري بالطرق الديمقراطية عن طريق الانتخابات .

٤ - بعد وصول التنظيمات الإرهابية إلى المناطق المقدسة والأهلة بالسكان، وقتلها الآلاف من العراقيين في الموصل وصلاح الدين على أساس طائفي، وعدم وجود قوات عسكرية نظامية من الجيش والشرطة قادرة

التي لم تفرق بين مكون وآخر، وتصديها لدعم القيادات السياسية في العراق تحقيقاً لتوازن سياسي، وتحقيقاً لسلم اجتماعي لعدم وقوع حرب طائفية أو أهلية وصولاً إلى استقرار المجتمع العراقي داخلياً، فقد دعت للتهدئة في العديد من الاحداث ومنها تفجير الإمامين العسكريين (عليه السلام)، لقد كانت المرجعية الدينية وإعية للمخططات الامريكية التي تحاك ضد العراق ومحاولة إثارة الحرب الطائفية فيه، فكان لهذا التأييد الشعبي الواسع لها بمثابة دعوة شعبية لتدخل المرجعية الدينية في الشؤون العامة للبلاد، وعدت الملجأ الأول والأخير للعراقيين للوقوف بوجه السياسة الإدارية الغير فعالة في العراق.

المرجعية الدينية لم تتحرك لطائفة معينة فحسب بل تحركت من اجل العراق بكل طوائفه وقومياته، بل كانت وما زالت اللسان الناطق والمعبر عن جميع اطياف الشعب العراقي، ولا يجادل احد ان المرجعية الدينية لعبت دوراً كبيراً في إعادة الحياة الى الدولة وبناء مؤسساتها الدستورية وفقاً للقانون ومبادئ العدل والمساواة واحترام الآخرين وتفعيل دور المشاركة الشعبية في صنع القرار

على وقف تقدم الإرهاب، أدركت المرجعية الدينية خطورة الوضع الأمني الحالي، واحتمال انجرار البلاد للحرب الأهلية الشاملة، لذا جاء دعوة المرجعية الدينية لكل العراقيين إلى الجهاد الكفائي للدفاع عن الوطن والمقدسات، وتشكيلها لقوات الحشد الشعبي ودعمهم بالمال والسلاح، إذ إن تخاذل السياسيين والانقسام بين الكتل والأحزاب السياسية، دفعها لان تأخذ زمام المبادرة في الدفاع عن الوطن والمقدسات والشعب.

٥ - تسعى المرجعية الدينية للاحتفاظ بالطابع الإسلامي للعراق، خاصة في الوقوف بوجه الإنحلال والمد التكفيري، و لذا لم توافق على الوجود الأميركي لوقت طويل، كما إن القيادات السياسية كانت تحاول كسب رضا المرجعية الدينية ومباركتها لخطواتها وقراراتها، كما حدث في الانتخابات السابقة لاكتساب الشرعية، كذلك رفضت اغلب هذه القيادات السياسية تواجد الاحتلال في العراق ودعت لا خواجه.

٦ - تمتع المرجعية الدينية في العراق بالتأييد الشعبي الواسع ومن مختلف شرائح ومكونات المجتمع، وذلك لمواقفها الوطنية

السياسي .

المرجعية الدينية اكدت على ان العراقيين يجب ان يكون لهم دوراً مهماً في نوع النظام الذي يريدوه من دون التأثير على قراراته او اختياره من القوى الخارجية، كما انها اكدت في الكثير من البيانات التي صدرت او التي أقيمت من على منبر الجمعة في الصحن الحسيني المطهر ان السنة والشيعه أخوة، ومهما حدثت من احداث مؤسفة اثارها الأغراب، والتي تحاول التأثير على النسيج الاجتماعي للشعب العراقي، الا ان التعايش السلمي هي القدر الذي على شعبنا ان يعيشه بمختلف انتماءه .

المرجعية الدينية وعلى امتداد تاريخها الطويل كان لها الأثر في تحويل مسار العراق عبر الحقب التي مرت به، حيث كانت وما زالت تمثل مركز الثقل والبوصلة الحقيقية التي إشارات وتسير اليوم الى الوجهة الصحيحة، وعندما نقرا التاريخ جيداً نجد ان المرجعية الدينية ومنذ مائة عام كان لها فتوى بالجهاد ضد المحتل الغاشم .

الخاتمة

ما يمر به بلدنا اليوم دليل واضح على

أهمية ودور المرجعية الدينية في الوقوف بوجه التحديات التي تريد الشر للعراق وشعبه، والانزلاق الى حافة الحرب الأهلية، فقد كان موقفها الواضح من فتوى (الجهاد الكفائي) بعد ان حددت وشخصت العدو الحقيقي رغم وجود الكثير من الايادي الخبيثة والتي تحاول التغطية على العدو الحقيقي للعراق وشعبه .

من المؤسف اليوم نرى الكثير من التشويهات والمغالطات لهذه الفتوى، من قبل جهات ارادت التشويه والتشويش عليها، وبالتالي يدخل في خانة الاجندات التي تحاول تمزيق اواصر الشعب العراقي وبث الفرقة بين ابناءه .

هذه الفتوى التي اعادت الحياة لشعب عانى الويلات والاضطهاد والظلم على يد حكام الجور، واليوم تعود قوى الظلام الإرهابية (داعش) لتكمل دورها في الظلم عبر عمليات القتل والذبح والتهجير والسبي، هذه الفتوى التي غيرت موازين القوى، تمثلت في رجال الحشد الشعبي الذين هبوا تلبية لنداء المرجعية الدينية في الدفاع عن عموم العراق وشعبه، والوقوف بوجه القوى الظلامية من داعش والتحالف الارهابي .

عفيف الرزاز ، مؤسسة الرافد للمطبوعات ،
طهران ، ٢٠٠٥ .

٣ - محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات
العراق السياسية ، المجلد الاول ، دارالراية
البيضاء ، بيروت - لبنان ، لا . ت .

٤ - عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري
الاحتلال والانتداب ، الجزء الاول ، دارالراية
البيضاء ، بيروت - لبنان ، لا . ت .

٥ - حسن العلوي ، الشيعة والدولة القومية
في العراق ، فرنسا ، ١٩٨٩ .

٦ - عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق
السياسي الحديث ، الجزء الاول ، دار الكتب ،
بيروت ، ١٩٨٣ .

٧ - عدنان عليان ، الشيعة والدولة العراقية
الحديثة ، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت ،
٢٠٠٥ .

المرجعية الدينية اليوم امتداد طبيعي الى
تاريخ العراق وهي البوصلة في بناء مستقبله ،
لانها مارست الدور الأساسي في الوقوف
وتشخيص الخلل والدفاع عن حقوق الشعب
العراقي ، وكيف وقفت موقفاً كبيراً معالجة
الأزمات التي عصفت بالعراق إبان
الحكومات السابقة التي اضرّت كثيراً بالعمل
السياسي ، وكادت ان تصل بالعراق الى آتون
الحرب الأهلية والتقسيم لأكثر من مرة .

مصادر البحث

١ - علي الوردي ، لمحات اجتماعية من
تاريخ العراق الحديث ، الاجزاء ١ - ٥ ، دار بهجة
المعرفة ، بيروت - بغداد ، لا . ت .

٢ - حنا بطاطو ، العراق (الطبقات
الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني
حتى قيام الجمهورية) ، الكتاب الاول ، ترجمة

أ. م. د. مياس ضياء باقر
بيت الحكمة / قسم دراسات الأديان

سوسيولوجيا الاتحاد الأسباب والمعالجات

المقدمة^(١)

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة فصلت / الآية ٤٠

لم يكن الاتحاد بمعناه ظاهرة جديدة بل هو ملازم للعقل البشري منذ فجر التاريخ فقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجيا والدراسات التاريخية والدينية بأن صراعاً نشأ في داخل النفس الإنسانية يتجاذب الإنسان بين التطلع إلى السماء والسلام الروحي وبين النزعة المادية الأرضية التي تربط الإنسان بالأشياء والمادة وتحجب عنه آفاق التأمل الروحي، ولذلك ظهر الدين في حياة الإنسان ظهوراً غيبياً وفطرياً فقد وجد الإنسان نفسه مشدوداً إلى عالم روحي يؤكد بان وجوده على الأرض لم ولن يقتصر على الوجود البايولوجي وانما هناك عالم من الروح والمشاعر والقيم هي أوسع من ان تقتصر الإنسان على اشباع حاجاته البايولوجية ويعرف علماء الانثروبولوجي بان الإنسان كائن متدين لذلك لجأ إلى قوى غيبية وجد فيها ملاذاً امناً من قوى الطبيعية القاهرة مثل العواصف والزلازل وغيرها من الظواهر الطبيعية التي يواجهها الإنسان ويتعايش معها فكان الدين أو اللجوء للدين جواباً على تساؤلات تثار في عمق النفس والعقل^(٢).

وهو يمثل استراتيجية معرفية عن طريق الإفصاح عن سلوكيات طقوسية وضرباً منظماً من العقائد وهو في النهاية آلية اجتماعية ثقافية لتحديد الهوية^(١٣).

لما كان الدين بهذا العمق السيكولوجي والسيكولوجي فإن الالحاد هو الاستجابة السلبية للدين فالإلحاد مضاد للدين أو هو انحراف عن الدين.

ونجد لدى الإنسان فضلاً عن كافة الحاجات ميلاً طبيعياً للخلود بعبارة موجزة ثمة تطلع ملح للخلود البايولوجي غير قابل للتواري لكن هذه الحالة يرافقها الخوف والقلق من الموت والمصير.. ولما كانت معركة الخلود البايولوجي خاسرة من هنا تولدت استراتيجيات نفسية ذات طابع ديني تهدف إلى إضفاء ضمانات في الوجود البشري، وعلى هذا فإن الدين نظام متكامل لتنظيم الحاجات الأساسية للكائن البشري

المبحث الأول: تعريف الالحاد وأسبابه

للإلحاد قد انتقل وتطور ليدل على الإنكار
للاوهية فنقول هذا ملحد أي منكر للدين
واللاوهية وهو بهذا المعنى شاع في ثقافتنا
المعاصرة ودلالة اللفظ تقترب في دلالتها من
الكفر فالكفر هو التغطية لشيء وحجب
رؤيته وكذلك الإلحاد هو الانحراف والميل
فالإلحاد هو محاولة يائسة لمنع النفس من
الدين^(٤).

أسباب الإلحاد

الإلحاد عندما يقتصر على فرد أو أفراد
فانه يبقى ضمن دائرة المرض النفسي أو
الأثر الفردي ويتعامل معه بالإهمال وان ماله
أما إلى الزوال أو العودة إلى الحق ولكن إذا
تجاوز الأفراد وتحول إلى ظاهرة تؤثر في
الواقع وتسبب تشوشاً وقلقاً للمجتمع فانه

تعريف الإلحاد :

الإلحاد يعرف لغوياً هو الميل أو الانحراف
(والحد حفرة مائلة عن الوسط ... وقد
لحدت الميت والحدته جعلته في اللحد ..
والإلحاد ضربان الحاد إلى الشرك بالله
والحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي
الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله
ومن هذا قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ
بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ سورة الحج /
الآية ٢٥ .

والتحد إلى كذا أي مال إليه قال تعالى
﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ سورة الكهف
/ الآية ٢٧ .

أي التجاء أو موضع التجاء والحد السهم
الهدف أي مال في احد جانبيه وهذا المفهوم

الاحاد يعبر عن وضع نفسي شاذ فإنه لم يأت من فراغ أذ لم يظهر بدون سبب فان ظاهرة الاحاد تظهر نتيجة لتراكم أسباب تعمل على هدم المجتمع بدون ضجة وبعد ان عملت بصمت تحولت إلى ظاهرة كشفت عن وجهها وأعلنت هويتها بشكل سافر معرضة المجتمع إلى هزة عنيفة ولعل من اهم أسباب الاحاد يمكن ايجازها بما يأتي:

-

١ - غياب الدين الحق وتفشي الخرافة والجهل المركب ويقصد به توظيف الدين لأغراض الكسب والانتفاع الدنيوي والمصالح الخاصة.

٢ - الاستبداد الديني والسياسي الذي هو نقيض الحرية الرشيدة وبالتالي يدمر الحياة ويعزز من التناقض الاجتماعي والصراع النفسي ويؤدي إلى ظهور الازدواج والتناقض في السلوك الفردي والاجتماعي أو النفاق الاجتماعي العملي والعقلي فيعاني الفرد من الازدواج في القدوة والازدواج في التعليم والتربية وفي عرض القنوات والأفكار فتتحول العلاقات الاجتماعية إلى مسرحية يمثل فيها افراد المجتمع ادوراً متناقضة ومستهلكة للعقل والمشاعر وتنتشر ثقافة

يؤشر حالة خطيرة تحتاج إلى معالجة ودراسة ما نشهده اليوم مع الأسف الشديد يؤشر ان الاحاد بدأت سوقه تنتشر انتشار النار في الحطب وما إذلك الا بسبب الفراغ الثقافي وغياب العقل الواعي وغياب الضمير الحي وغياب القدوة الصالحة ، ومن يدخل إلى غرف الملحين في وسائل التواصل الاجتماعي يصاب بالدعر من ان التيار بدأ يجمع انصاراً وتحول إلى ظاهرة خطيرة.

أتفق علماء الاجتماع الديني على ان الدين هو العامل الأساس في بناء علاقات اجتماعية متماسكة وعلى هذا فالاحاد هو العامل الأساس في تفكك المجتمع وتحلل أواصر التواصل الاجتماعي وقد يكون الاحاد سبباً مهماً في دفع الإنسان إلى انهاء حياته عندما يكتشف عبثه الحياة وغياب الامل في البقاء^(٥).

والسبب هو ان الالتزام الديني يعزز الانتماء إلى جماعة أو فئة اجتماعية دينية ويولد شعوراً بالاستقرار النفسي ويعزز التواصل الاجتماعي الامر الذي يملئ الفراغ الذي قد يؤدي إلى عدم امتلاءه بالانحراف والتفكك ومن ثم إلى حالة من الاحاد أو حالة نفسية سوداوية مرضية ولما كان

الأكراه والعنف واللجوء إلى الاقصاء والتصفية الجسدية الامر الذي يساعد على البحث عن طريق يستطيع من خلاله السيطرة على ما في داخله من تناقضات.

٣ - غياب النزعة الإنسانية وحجبها بحجاب التدين الوهمي واستخدام الدين كسلطة للتسلط على الآخر وتفرغ الدين من قيم التسامح والرحمة والإنسانية وتحول الخطاب الإسلامي كما عند الدواعش والمجاميع الضيقة الأفق إلى خطاب يميل للسيطرة على كل الخطابات الأخرى بواسطة قوة التجيش السياسي وبسبب انتشاره الواسع سوسيولوجياً وسيكولوجياً.

٤ - غياب الثقافة التكاملية والانفتاحية بسبب قناعة المتدينين انهم يحملون الصواب المطلق وان الآخر هو الكفر المطلق كل ذلك يدفع إلى البحث عن مساحة من المرونة ليتنفس عن طريقها العقل والذي لا يتمكن من تقبل الثقافة الأحادية فالإنسان بالفطرة مجبول على التنوع والاختلاف في التفكير والاذواق وكل شيء.

٥ - انتشار الثقافة العلمية السطحية التي تسوق مقولة ان الدين ضد العلم وقد يساعد على انتشار هذه الثقافة الاعتماد على ثقافة

دينية كلاسيكية تبتعد عن المعاصرة وتعزز القناعة بان العلم ضد الدين وان العلم يعبر عن فلسفة الحادية مستوردة من الغرب ولحق ان هذه القناعة كانت ثمرة للغزو الفكري الغربي وضعف استجابة الثقافة الدينية للتطور العلمي فلم تعد هذه الثقافة الدينية تمتلك القدرة على اقناع انسان العصر بمقولاتها في التأكيد على قصر الدين على مسائل الطهارة والعبادات والطقوس ولعل هذا من اهداف الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي^(٦).

٦ - الصورة الخاطئة للدين التي يعرضها المتطرفون الذين يدعون انهم يمثلون الإسلام كانت فرصة لم تتكرر لتغلغل الاتحاد في المجتمعات الإسلامية وخاصة الشباب^(٧).

٧ - غياب القدوة الصالحة في الاسرة والمدرسة ووسائل الاعلام فينشأ الشاب وهو لا يعرف دينه حق المعرفة ولا يحبه كما يجب فيسهل عليه تركه لاي سبب.

٨ - تعرض الشباب وخاصة في بدايات تكوينه الفكري وقبل نضجه للفكر الاحادي من خلال قراءته الكتب الفلسفية واتصاله بمفكرين ملاحدة وإعجابه بأدبهم

مدارس ومعاهد وجامعات بأنشطة تذكر للوقوف في وجه موجة الالحاد الجديدة، وبطاء استجابتها للمستجدات العالمية والحراك الاجتماعي والشبابي.

١٣ - دور النشر والمقاهي الثقافية ووسائل الاعلام والمواقع الالكترونية التي تروج الفكر الالحادي دون وجود بدائل منافسة لها لهذا يلجأ اليها الشباب.

١٤ - وجود فئات من المجتمع التي خلطت بين الدين والعادات واساءت للدين من خلال حماسها غير المنضبط وجهلها العريض ليتحول الدين عندها لمظاهر لا يصاحبها في كثير من الأحيان جواهر نقية فتسببت في حدوث رد فعل معاكس عند بعض الشباب وقد اثبتت الدراسات النفسية في مجال الاضطرابات السلوكية تحت ما يسمى بالجنوح الكاذب والذيلجاء إليه بعض الشباب لمخالفة القواعد والأنظمة بسبب شعورهم بالاضطهاد وخاصة في البيئات التسلطية.

١٥ - إشكاليات الحضارة وأزمة الهوية السائدة بين الشباب مع عدم وجود المحاضن التربوية المقنعة التي تحوي الفكر والايمان إضافة إلى السلوك.

وأطروحاتهم وخاصة من كان له أسلوب عرض جميل كأدباءهم.

٩ - تغلب الشهوات على بعض الشباب ويرون ان الدين يمنعهم منها ويشكل حاجزاً بينهم وبين رغبتهم في الاستمتاع بالحياة وعدم معرفتهم لحكمة تحريمها مع غلبة الشهوة تجعلهم يرغبون بالإلحاد.

١٠ - انفتاح العالم الفضائي بشقيه - القنوات والانترنت - وما يث فيها من شهوات وشبهات تأخذ كل منها بنصيبها من شبابنا مع عدم وجود حملة تحصين مضادة لأثارها السلبية.

١١ - أنظمة الحكم وما سببته من فتن في دينهم فبعضها يروج للالحاد ويقيم المؤسسات التعليمية والأنشطة التي تبثه بين الناشئة، وأخرى تدعي إنها تعتني بالدين ومؤسساتها - بقصد أو من غير قصد - ممثل سيء للدين مما يتسبب في ردة فعل عكسية من الدين والمتدينين ولسان حال هؤلاء الشباب يقول: اذا كان هذا حال حملة الدين من الظلم والانكباب على الدنيا فكوننا بلا دين افضل.

١٢ - عدم قيام مؤسسات التربية من

١٦ - انتشار الظلم وعدم قدرة الضعفاء على الوصول إلى حقهم حتى مع اللجوء إلى المؤسسات الحكومية في العالم الإسلامي بشكل عام وكان لنا في الربيع العربي موعظة في خطر الظلم وشيوعه بين الناس .

• وهناك أسباب أخرى ذكرها المحللين والباحثين المختصين في هذا المجال ^(٨) وهي :-

أ. أسباب منطقية :-

١ - اعتماد المنهج الحسي بنحو اصيل اذ يتعاملون مع المباحث الفلسفية الغيبية تعاملهم مع المباحث الفيزيائية المحسوسة .

٢ - الاحكام الوهمية وهي من لوازم الذهنية الحسية الخيالية غير المجردة ، اذ يجعلون كل ما امكن في اوهامهم ممكنا في الواقع ، وكل ما امتنع تصوره في خيالهم ممتنعاً في الواقع .

٣ - الجهل بالمنهج العقلي نتيجة عدم اطلاعهم على قواعد المنطق العقلي بنحو سليم والناس أعداء ما جهلوا .

٤ - اخذ ما بالعرض مكان ما بالذات وذلك عندما يحكمون على حقيقة الإنسان ووعيه

الذاتي المجرد عن المادة بعوارضه الخارجية المادية من التفاعلات الكيميائية والنبضات الكهرومغناطيسية .

٥ - الجهل بالفرق بين عدم العلم بالشيء الذي هو من الجهل بالشيء ، وبين العلم بعدم الشيء الذي هو من العلم فيتعاملون مع عدم العلم بالإله كالعلم بعدمه .

ب. أسباب فلسفية :

١ - الجهل بأصل العلية وهو من اهم سبب على الاطلاق للإلحاد الذ جعلهم يتوهمون عدم احتياج العالم إلى سبب وخروجه من العدم إلى الوجود أو من القوة إلى الفعل بنفسه .

٢ - الخلط بين الأسباب القريبة والبعيدة .

٣ - الخلط بين العلة والعلّة بالذات .

٤ - الجهل بمعنى الاتفاقي .

٥ - الجهل بالتسلسل .

٦ - الجهل بمعنى واجب الوجود .

٧ - الجهل بصفات الباري تعالى الذاتية والفعلية .

٨ - الجهل بفلسفة الدين والتشريع

٤ - التأثير السلبي بالمصاديق الدينية المتطرفة والمتعصبة من ذوي الميول التكفيرية والارهابية .

٥ - التعزز ببعض العلماء والمفكرين الملاحدة ، والتغاضي عن الأغلبية الساحقة من الحكماء والعلماء المتدينين .

٦ - نجاح العلم في تفسير الظواهر الطبيعية بشكل لا يحتاج للبحث عن غاية أو اهداف فاقتنع الناس بسذاجة تفسيرات رجال الدين ونبوءاتهم .

٧ - قدم العلم الحديث للإنسان إنجازات علمية وحضارية وحقق له رفاهية لم يكن يتصورها في يوم من الأيام فأخذ المفكرون يتسائلون : اذا كان العلم قد قطع شوطاً كبيراً في فهم الية أمور كانت تفسر بشكل ميتافيزيقي ، كالامراض ، والرعد ، والبرق ، والزلازل ، وغيرها ، فما المانع في ان يتوصل العلم لتفسير كل ما نعتبره ميتافيزيقياً ؟ وبذلك تلاشت الحاجة إلى الدين والاله .

والأخلاق الدينية .

٩ - الجهل بفلسفة الشر في الاسلام .

ج. أسباب علمية :

١ - الجهل بمبادئ المنهج العلمي التجريبي وحدوده .

٢ - توهم التضاد بين نظرية التطور ونظرية الخلق .

٣ - توهم التضاد بين الدين والعلم ، طرح العلم كبديل للدين .

د. أسباب نفسية^(٩) :

١ - عدم الرغبة في التدين بالأحكام الشرعية والتحلل من القيود الأخلاقية كما هو عند الكثير من الشباب .

٢ - سوء تصرف بعض رجال الدين المنتسبين إلى الدين لجهلهم بالدين الأصل أو اتباعهم لأهوائهم .

٣ - التأثير السلبي بالمصادر المحرفة للدين عند ارباب الملل والنحل المختلفة .

المبحث الثاني: المعالجات لظاهرة الالحاد

١ - إعادة القرآن إلى حياة المجتمع

والعمل على نشر الثقافة القرآنية تدبراً وتلاوة
وسماعاً فإن القرآن الكريم رسالة الله إلى
الإنسان وفيه وعلاج للأمراض وشفاء لما
في الصدور بحسب التعبير القرآني وفي
الحديث الشريف يروى عن النبي ﷺ انه قال
(ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل ما
المخرج منها؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما
قبلكم وخير ما بعدكم هو حبل الله المتين
ونوره المبين من تراث جبار قصمه الله ومن
ابتغى الهدى بغيره اضله الله ..)^(١٠) .

ب - النظر في آيات الكون وربطها
بالإيمان وأن العلم يقود إلى الإيمان ﴿ إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر
الآية ٢٨ .

ت - الرموز والنماذج الصادقة من الأنبياء
والأولياء التي شكلت معالم واضحة لهداية
الإنسان إلى طريق القرآن وهم الاسوة
الحسنة والقدوة الصحيحة .

١ - ان الحربة هي جوهر الوجود
الإنساني وأن الدين لا يمكن ان يحقق

القران يقص عليك بتفاصيل دقيقة وفيه
قصة النبأ العظيم نبا الوجود والايجاد من
البدأ إلى المصير فالقران خارطة الطريق
الإلهية للإنسان .. طريق مستقيم فيه
محطات اختبار كثيرة ويؤكد على اساسيات

١٤٩

عاملاً في تقدم المسلمين وان تقدمهم حصل بالشورى واجواء الحرية على هدى الشريعة، كما ان الالحاد ومجافاة الدين قد سبب الفوضى في الغرب رغم ادعائهم بان سبب رقي اوربا هو في الثاني في اخذ كل شيء ونمو الفكر والمعرفة والتطور العلمي وهذه الثمرات هي نتيجة للحرية التي تبناها الغرب وحققها في مجتمعاته فكسبت هذا التطور في العلوم والحياة المدنية فبدون الحرية تتحول المجتمعات إلى قطع خاضعة لتوجيهات الاستبداد بكل انواعه والشورى هي نتيجة طبيعية للحرية الرشدة التي تتيح للجميع أداء ادوارهم وتحقيق طموحاتهم في مجالات الحياة كافة عندما يرتبط الإنسان بالحق فلن تخيفه انحرافات المنحرفين أو تشكيك المشككين فليقل ما شاء وليختار الناس طريقهم كما يريدون فان مآلهم العودة إلى الحق وان الدين عميق النفس وان العقل يقويه وينتمي إليه .

مسؤولية الدولة في معالجة ظاهرة الالحاد هي :-

أ - توفير فرص عمل ومعالجة البطالة والجهل والحرمان فان هذه المشاكل اذا تراكمت قد تؤدي إلى انفجار يخرج المجتمع

تعاليمه الا في ظلها فلا يمكن اكراه الناس على الايمان قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

وكذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ سورة الكهف / الآية ١ .

ان الحرية هي الصفة الازلية المرتبطة بخلق الإنسان ومهمته الأولى في تحقيق العبودية واذا اردنا بناء حياة طبيعية مستقرة لا بد ان نوفر الحرية في كل شيء الحرية في الفكر والاعتقاد الحرية في السلوك والاختيار ولا تعارض بين العقيدة والحرية وعند غياب الحرية تظهر امراض الكبت والنفاق والانحرافات النفسية الأخرى ولا يمكن الاحتجاج بان انتشار الإسلام بالسيف مناقض لمطلب الحرية أو ان العقيدة تلغي الحرية فان الحروب التي حدثت في تاريخ الإسلام كانت ترسم معالم استجابة الواقع لدعوة الإسلام وكذلك لم يحدث ان فرض الإسلام عقائده على معتنقيه بالقوة لا في مكة ولا في المدينة فلم ينقل التاريخ ان الرسول ﷺ دعا إلى تصفية معارضيه أو اعداءه سواء من الكافرين في مكة أم المنافقين في المدينة . ان الحرية كانت

عن السيطرة.

ب - الاهتمام بالتعليم وتوفير وسائل التعليم من مناهج وتدریس وبيئة تعليمية تساعد على نشر ثقافة منفتحة ومتسامحة.

ت - التركيز على الاعلام والاهتمام به ليؤدي دوراً ايجابياً في تعزيز الايمان واستعادة الثقة المفقودة بين افراد المجتمع وفي المقابل على الفرد ان يعمل على بناء المؤسسات العامة ويحافظ على كيان الدولة ويحترم القانون ويحافظ على المال العام فان اكبر الخيانة هي خيانة المال العام لتعلق حقوق الافراد جميعاً بها.

ث - رعاية المؤسسات الدينية والتكامل والثقة بين هذه المؤسسات والدولة (من المساجد ودور العبادة ورموز الدين).

٢ - لعل من الأمور التي يركز عليها الدين والقران هي الايمان بالحياة الآخرة وهذه العقيدة عندما تموت تظهر حالات من التمرد والجريمة والاستعدادات النفسية لممارسات التعدي على الآخرين مثل السرقة والاعتصاب وكل أنواع الجريمة، ولأجل تفعيل هذه العقيدة المشتركة بين الأديان والمذاهب جميعاً لابد من اللجوء إلى التذكير

بالموت وما بعد الموت فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تركز على توظيف الموت لاستقرار الحياة ومعالجة الاستعداد الجرمي عند الإنسان فنجد صور اللحظات الأخيرة للإنسان ولحظات رحيله حاضرة في كثير من آيات القرآن الكريم ويذكر علماء الاجتماع الديني ان التذكير بالموت يشكل عاملاً مهماً في اشباع حاجاته لفهم مقاصد الوجود الإنساني فيبتعد الإنسان عن القلق والخوف من الموت كما ان التدين أيضاً يقلص القلق والرغبة من الموت بشكل واضح.

٣ - تهيئة الظروف المناسبة والأجواء الطيبة داخل الاسرة وفتح باب الحوار والانسجام والتراحم بين افرادها وعدم استخدام أسلوب الكبت ومصادرة الحقوق في التعبير عن الرأي والرأي الآخر.

٤ - تنمية فكر الشاب أو الناشئ وعقله واعطاه مفاتيح البحث العلمي الحقيقية.

٥ - الاستفادة من مرحلة الشباب وتعويده على النفس الطويل والتحقق وقواعد التثبیت وعدم السطحية في التفكير والعجلة في استخلاص النتائج.

٦ - عمل الاسرة الاستباقي فيما يخص

النتائج :

١ - غياب الصورة المثلى للدين الحق ، وما أسهم في هذا الغياب أو التشويه عوامل عدّة منها : توظيف الدين لأغراض الكسب والانتفاع الدنيوي ، والاستبداد السياسي الذي يسعى إلى إيجاد تلك التناقضات الاجتماعية ، والازدواج في القدوة ، ونشر ثقافة الاكراه ، والعنف ، والتصفية الجسدية ، ... وهذا ما دفع البعض للبحث عن ملاذ آمن غير الدين .

٢ - ان مواقع التواصل الاجتماعي وفرت للشباب مناخاً مفتوحاً للتعبير عن آرائهم ووجهة نظرهم في رفض الدين .

٣ - ان المجتمع بكل مؤسساته وهيئاته له دور في الوقاية من الالحاد لذا على الدولة العمل بجد للقضاء على البطالة ، وتوفير فرص العمل للشباب ، والفراغ ، والفقر أخطر الآفات فتكاً بهذه القوة التي تعتمد عليها جميع المجتمعات الإنسانية للنهوض بواقعها ورسم مستقبلها المشرق ، فتعاون الدولة مع كل المؤسسات المجتمعية العامة والخاصة كفيل بالقضاء على الكثير من المشاكل الموجودة في المجتمع .

وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي فلا بد من تربية وتوعية الأبناء على عدم القبول بصداقة أي شخص أو ان يكون لدى الوالدين علم بأصدقاء أبنائهم ومواقع الدردشة التي يدخلون اليها ومتابعتهم لأنه قد ينجرّف نحو أمور فاسدة مضرّة .

٧ - وسائل الاعلام وما يث فيها تكاد تخلو من الأمور الجوهرية وكل توجهاتها نحو اللعب والمرح والاعمال الدرامية والقصص التي تشغل بها اذهان الناشئة بكل شيء الا خالقهم العظيم والهدف من وجودهم في هذا الكون بل ان هناك بشكل بشكل مقصود أو غير مقصود برامج ومسلسلات قد تسيء إلى الرموز الدينية وإظهار المتدينين بصورة بشعة ينفر منها المتلقي فهم اما اراهيين أو مشعوذين محتالين أو غيرها من الصفات الذميمة .

٨ - معرف الاسباب الحقيقة التي تقف وراء الحاده هل هي فكرية حتى نسلحه بالفكر المضاد ام هي صحبة سوء او بحث عن الشهرة أم محاولة للتمرد على الواقع الذي يعيشه والهروب من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها .

٣ - علم الاجتماع الديني الدكتور سابينو اكوفينا و انزو باتشي ، ترجمة الدكتور عز الدين عناية إصدارات دائرة الثقافة ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
٤ - مفردات الفاظ من القرآن الراغب الاصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داودي ، دار القلم للنشر ، دمشق ، ١٤١٢ هـ .

٥ - الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته ، د . احمد عبد الرحيم السايح ، الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٦ - الاسلام ومشكلات الشباب ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي د . ط ، د . ت .

٧ - شبكة المعارف الإسلامية . www.almaref.org

٨ - رحلة عقل دكتور عمرو شريف ، تقديم احمد عكاشة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ١٣٣٢ هـ ، ٢٠١١ م .

٩ - مسند احمد بن حنبل ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار الحديث للنشر ، د . ط ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م .

٤ - ان يعي الافراد جميعاً ان التطبيق الخاطئ للدين ، يشوه صورته ويخلق بيئة صالحة للأفكار المشككة فيه ، كما أن التطبيق المشوه لمبادئ الدين وقيمه العليا يجب ان لا يحسب عليه .

٥ - ان الدين منهج شامل وليس هناك حاجة لمنهج سواه بشرط أن يُنظر إليه بمعناه الصحيح المتكامل ، فكما يتفرد الدين بالدور الكامل في أمور العقيدة ، والشرعية ، والروحانيات ، فأن له دوراً يقوم به من خلال العلم والعقل ، وهذا ما يجب أن يدركه رجال الدين ويسعون في فهم الغائية باستخدام العقل .

المصادر

١ - المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الدعوة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م .
٢ - فلسفة الدين جون هيك ، تحقيق طارق عسيلي ، معهد المعارف الحكمية ، ط ١ ، ٢٠١٠ .

الهوامش:

١- علم يدرس المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية وظواهرها الاجتماعية ، ينظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الدعوة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٨٤
٢- ينظر فلسفة الدين جون هيك ، تحقيق طارق عسيلي ، معهد المعارف الحكمية ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٤ .
٣- ينظر المصدر نفسه ، ص ٦ ، وينظر علم الاجتماع الديني الدكتور سابينو اكوفينا و انزو باتشي ، ترجمة

- الدكتور عز الدين عناية إصدارات دائرة الثقافة ، ط ١ ، ص ١٠ .
- ٤- ينظر مفردات الفاظ من القرآن الراغب الاصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داودي ، دار القلم للنشر ، دمشق ، ١٤١٢هـ ، ص ٧٣٧ ،
- ٥- ينظر علم الاجتماع الديني ، ص ٣٥ - ٣٦ .
- ٦- ينظر الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته ، د . احمد عبد الرحيم السايح ، الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠ م ، ص ٧٤ - ٤٨ .
- ٧- ينظر الاسلام ومشكلات الشباب ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٤٠ .
- ٨- شبكة المعارف الإسلامية www.almaref.org
- ٩- ينظر رحلة عقل دكتور عمرو شريف ، تقديم احمد عكاشة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ١٣٣٢هـ ، ٢٠١١ م ، ص ١٩ .
- ١٠- مسند احمد بن حنبل ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار الحديث للنشر ، د . ط ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥ م ، رقم الحديث ٢١٩٧ .

أ. د خولّة مهدي شاكر الجراح
كلية الفقه / جامعة الكوفة

المنظور القرآني في مواجهة الإرهاب الفكري

ملخص البحث :

من نعم الله على البشر أن وهبهم العقل ، ذلك المخلوق المطيع لخالقه عندما استنطقه قائلاً: « أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر قال : وعزّتي و جلالتي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب ، أما إني إياك أمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب وإياك أثيب »^(١) .

وفي ضوء ذلك فإن الثواب والعقاب ، والأمر والنهي موجه إلى المخلوق الذي يمتلك العقل ، وإلا لو انعدم وجوده عند الإنسان لما جعل مناطا للتكليف ، عليه الثواب والعقاب ، فهو عند ذلك ، لذا فإن العقل هو الذي يمنع الإنسان من الوقوع في الخطأ ويحجّره عن ارتكاب الذنوب والمعاصي ومن ثم فهو الحصن الحصين له من الهلاك ، فهذه الأمور - في الواقع - هي محصلة لإعمال العقل بالتفكير والتأمل والتدبر في الآيات الكونية ، فمن تعقلها وتدبرها و أدرك أن ورائها خالق عظيم مدبر ، فقد أدرك النجاة والخلاص ، لهذا كان وما زال الخطاب الإلهي موجهاً إلى (أولي الأبصار ، أولي الأبصار ، لقوم يعقلون ، يتفكرون ، ... وهكذا) إذن المسالة هي عملية عقلية بحتة .

العقل و عملياته الذهنية؛ كونه المحرك الإنساني الأساس، فهو وعاء الفكر، وأصل التفكير الذي ينبني عليه الرقي أو الانحطاط بحسب منابعه الأساسية، ويستهدف كل نشاطاته وإبداعاته التي تسهم في النهوض و الإصلاح ثانيا، ومن ثم يرفض أي عملية تغييره، ولهذا لا نشك بأن الفكر الإرهابي (يرفض الفكر الآخر الذي يحاول أن يقوم اعوجاجه وينظم ما تبعثر، ويتدارك ما سُفل، بان يرقيه، ويبقى الفكر الإصلاحي مرهبا، ويبقى الإصلاحيون مرهبون تحت طائلة العقاب الذي يوقعه أصحاب الفكر الإرهابي)^(٥)، وما هذا إلا بسبب تعارض الأفكار، و محاولة رفض متبنى فكريا لأحدهما على الآخر قسرا و عدوانا.

ونحن لا ننكر سنة الاختلاف والتغيير والتنوع الفكري في الفهم ووجهات النظر في مسلك أو قضية معينة، فالمخلوقات البشرية مختلفة الذكاء و الغباوة، والجهل و المعرفة، و هذا أمر طبيعي، ولكن إذا تبنى نتاجا فكريا و أصرَّ على فرضه على الآخر، لدرجة أن ينال منه بالتكفير و التفسير؛ لإضعافه فكريا، محاولة منه إثبات نتاجه فإن هذا يدخل في مصاف الإرهاب الفكري.

من هنا ندرك أن التطور العلمي و المعروف للبشر - على مر العصور - لم يأتِ اعتباطا إنما كان باستنزاف الطاقات العقلية التي تشكلت بفعل النبوءات التي أرسلها الله إلى البشرية جمعاء؛ لإرشادهم وهدايتهم، فنحن نؤمن أن ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(٦) وهو - النبي - ومبشر في ذات الوقت.

وعلى هذا الأساس ندرك أن نمو الفكر الإنساني كان بفعل التوجيه الإلهي - عبر أنبيائه - للبشر؛ ليسلكوا الطريق المستقيم؛ قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٧).

يجد البحث إن هذا التهاوي والانحطاط، وإتباع الهوى، والتعصب، والتقليد الأعمى هو محصلة الافتراق عن صراط ربي المستقيم؛ عنادا (وبطرا و تمردا) على الله تعالى، وعدم قبول المنهج الإلهي لمحاولة التغيير و الإرجاع إلى جادة الصواب)^(٨)، وهذا التمرد دائما منشؤه نقص العقل و اختلاله عن التفكير السليم و الفهم القويم، ولهذا ينشأ الفكر الإرهابي.

من هنا نجد أن هذا الفكر يستهدف أولا

تعالى على اللغة العربية جَعَلَ ألفاظها وحركاتها ودلالاتها متباينة لتعطي كل حالة وصفها الذي تستحق، لذا حَوَّت العربية كلمات يَظُنُّ الظَّانُّ من سماعها إن لها نفس الدلالة والمعنى نحو: بَعِيرٌ وَجَمَلٌ، وفي الأفعال: قَدِمَ وَ أَقْبَلَ وجاءَ وما إلى ذلك وهذا دليل على عبقريتها وسعتها الوصفية والدقة الفائقة بدليل حضورها وتشرفها بنقل كلام الله تعالى عبرها والكشف عن مُراد الله عز وجل.

وإحدى هذه الألفاظ مفردة (رَهَبٌ) أصل كلمة إرهاب وإرهابي واللّتان هما مدار الحديث، والكلمتان لم يعرفا قديما ولم يردا في معاجم الألفاظ هكذا وإنما بصورٍ وأوزانٍ أخرى على غير هذه الدلالة.

وردت مفردة الإرهاب في لسان العرب بالكسر (رَهَبٌ، يَرَهَبُ وَرُهْبًا، بالضم، أي خاف، وَ رَهَبَ الشَّيْءَ رُهْبًا وَ رَهْبًا وَ رَهْبَةً: أي خافه، قِيلَ رَهَبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتٍ: أي لَأَنَّ تَرْهَبَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَحَّمَ؛ بمعنى تُخَافُ والراهِبُ: المتعبِدُ في الصومعة، وإِسْتَرْهَبَهُ: وَ رَهَبَهُ: أَخَافَهُ وَفَرَّعَهُ^(٦)).

ومن جملة من ذكرها صاحب كتاب العين حيث أشار إلى نفس الدلالة السابقة

وللوقوف على حقيقة هذه الظاهرة التي لم تتجو منها البشرية منذ الخلق الأول (آدم) و ابنه (قاييل وهابيل) وإلى الآن فقد ارتأى الباحث تناوله بالبحث للتعرف أكثر على جزئيات هذا الموضوع.

سوف يتم دراسة مفهوم الإرهاب الفكري، وعوامل ظهوره، وأهدافه، ووسائله، وآثاره، وكيفية مواجهة القرآن الكريم له وعلاجه وذلك خلال مباحث البحث.

مفهوم الإرهاب الفكري

يعد لفظ الإرهاب من المصطلحات الحديثة الاستعمال، حيث خلت معاجم اللغة العربية القديمة من ذكر أصل الكلمة (الإرهاب)، وإنما تضمنت الفعل (رهب) والذي يندرج تحت هذا الفعل عدة معانٍ.

وسوف يقوم الباحث بذكر مفهوم كلا من (الإرهاب) و (الفكر) في اللغة والاصطلاح، ثم الإرهاب الفكري كمصطلح بالمعنى الإفرادي.

أولاً: مفهوم الإرهاب

١ - الإرهاب في اللغة: من فضل الله

٢ - الإرهاب في الاصطلاح: الملاحظ أنه لا تعريف للإرهاب متفق عليه سواء في القانون الدولي أو المنظمات الدولية والإقليمية، وثمة غير دولة أو جهة صاغت تعريفا يعبر عن وجهة نظرها، غير أن سماتاً وأوصافاً وسمت بها الأعمال الإرهابية وأفكاراً أحاطت بمفهوم الإرهاب يمكن من خلالها تلمس بعض الملامح المميزة لمصطلح الارهاب.

تعريف الإرهاب عند المنظمات العربية: إن القرآن الكريم لم يغفل أي عمل إشارة ومعالجة بدليل كونه المعجزة الخالدة حتى قيام الساعة فقد عالج الأمور كافة منذ نزوله إلى آخر أيام البشرية فما نعيشه اليوم ليس غريباً على القرآن الكريم ولا على البشرية، ومن أهم التعريفات لمفهوم الإرهاب في عصرنا هذا ما اختاره البحث إيجازاً للموضوع:

أ. تعريف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف:

جاء تعريفه للإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول والتي ضربت الولايات المتحدة الأمريكية ببرجي التجارة العالميين

من إنَّ "رَهَبَ: رَهَبْتَ- الشيءَ أَزْهَبْتُهُ رَهَباً وَ رَهْبَةً، أي خِفْتُهُ" (٧)

علماء أن للفظ رَهَب اشتقاقات أخرى تخرج عن هذه الدلالة إلى دلالات عديدة منها ما ذُكِرَتْ في كتاب العين وهي "الرَّهَابَةُ: عَظِيمٌ فِي الصَّدْرِ يُشْرَفُ عَلَى البطن، وكذلك التَّرْهُّبُ: التَّعَبُّدُ فِي الصومعة- وجمعهم الرُّهَبَانُ" (٨). وأضاف على ذلك صاحب كتاب لسان العرب أنها تأتي لوصف الإبل المهزولة جداً وهي الرَّهْبَى، و رَهَبَ الجمل: ذهب- ينهض ثُمَّ بَرَكَ من ضعفٍ بصلبِهِ. واستعمل الرَّهَبُ للسهم- الرقيق والنصل، الرقيق من نصل السهام، والكُمِّ للمدْرَعَةِ يقال لها الرَّهَبُ (٩).

وأروع من أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني حيث مَيَّزَ الرهبة- عن الخوف مشيراً إلى إن الرَّهَبَ والرَّهْبَةَ والرَّهْبُ: مخافة مع تَحَرُّزٍ واضطراب مُراعياً في الدلالة السياق الذي ترد فيه- اللفظة لان السياق هو الذي يُحدد مفهوم ودلالة اللفظة وقال فيها هي الفَزَعُ والخوف والتَّعَبُّدُ، وأشار إلى معاني أخرى تخرج إليها هذه المفردة لغة، إلا أنه ذكر مفردة- الإرهاب وهي فزع الإبل، والرَّهْبُ مِنَ الإبل (١٠).

إلى تعريف الإرهاب والذي صَدَرَ عَنْهُ بتاريخ ١٤٢٢/١٠/٢٦ هـ.

فعرْفُهُ (العدوان الذي يقوم به فرد أو جماعة أو دولة ضد الإنسان (النفس ، الدين ، المال ، العِرْض ، العقل) ويكون ذلك بالتخويف والأذى والتعذيب والقتل بغير الحق ومن صورهِ الحِرابَة وإخافة السبيل وأي وجه من أوجه العُنْف)^(١٢).

نلاحظ من التعريف أنه صَنَّفَ خمسة أصناف قابلة للعدِّ يملكها الإنسان وجَعَلَ كلمة العدوان عليها درجات من الأشدَّ أذى وهو القتل إلى الأقل منه وهو الاعتداء على العقل . والمهم فيه عندنا أنه ذَكَرَ القتل والتعذيب وانتهاك الحرمات في النفس والدين والمال والعِرْض والعقل .

ج. تعريف الإرهاب بحسب الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب: _____

لا يوجد حتى اليوم تعريف متفق عليه دولياً للإرهاب وذلك لأسباب تتعلق بتباين المصالح واختلاف المعايير والقيم بين الدول ولذلك حاول الكثير من أساتذة القانون والعلوم السياسية والأمنية صياغة تعريف للإرهاب، فجاءت الاتفاقية العربية لمكافحة

فقال عَنْهُ: (هو ترويع الأمنيين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكراماتهم الإنسانية بغيا وإفساداً في الأرض ، ومن حق الدولة التي يقع على أراضيها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتها العادلة فيهم)^(١١).

من خلال التعريف نلَحَظُ ابتداءً بالترويع والتدمير لمقومات حياة المدنيين ، وذكر فِعْلِيّ البغي والإفساد في الأرض ، ونَعَتَ هذه الأعمال بالإرهاب الأثيم وإن فاعليه مُجرمون من حق الدولة المعنية به تقديم مُرتكبيه للهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم .

والحقيقة ليست كُلُّ أحكام تلك الدول عادلة بحق المجرمين للاختلاف الحاصل بنوع العقاب ، والمفروض أن يقول بكلمة العدل فيهم ، والمهم في موضوعنا إنه ذَكَرَ البغي والاعتداء ونعت فاعليه بالمجرمين .

ب. تعريف الإرهاب عند المجمع الفقهي في مكة المكرمة: _____

أشار المجمع الفقهي في مكة المكرمة

إرهابية^(١٤) . ونلاحظ منه أن الإرهاب اسم جامع لكل معاني الشر والفتك أو الجريمة بشكل عام، وكذلك التعريف لم يذكر القتل بشكل صريح وإنما ذكره ضمناً في جملة (كل فعل إجرامي) .

تعريف الإرهاب عند بعض المنظمات الغربية :

مما أثار البحث أن بعض الدول الغربية والى يومنا هذا لم تُعرّف الإرهاب بنص واضح بل جعلت نصوصاً مختلفة ومُتباينة تُجرّم أفعال يقوم بها أفراد أو جماعات أو دول وترى من حق السلطة القضائية والعسكرية مسؤولية محاسبة ومكافحة تلك الأعمال ومثال ذلك الدولة الفرنسية والألمانية والايطالية^(١٥) .

والغريب من هذه الدول وغيرها إنها دائماً من تستخدم هذه اللفظة في المؤتمرات العالمية المعنية بمكافحة الجريمة المنظمة مُعلّنةً استيائها لتلك الأعمال الإجرامية مُتناسيةً سجلها السابق في الاحتلال والهيمنة إلى يومنا هذا على بعض الدول وكذلك عدم الجدية في تجفيف منابع تلك الجماعات الإجرامية من ناحية الإمداد

الإرهاب والتي صدرت عام ١٩٩٨ م، عزّفت الإرهاب بأنه: (عمل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة والخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر)^(١٦) .

نلاحظ أن التعريف لم يُشر صراحةً إلى القتل أو ما هو أشبه بالقتل كالمُثلى والتنكيل وغيره - بل اكتفى بتجريم الفعل الذي يُهدد الفرد والمجتمع وإلحاق الضرر بصوره كافة .

ويختتم البحث التعاريف التي اختارها بتعريف الإرهاب في القانون العراقي وفق قانون مكافحة الإرهاب فعرفه: (كل فعل إجرامي يقوم به فرد أو جماعة منظمة تستهدف فرداً أو مجموعة أفراد أو جماعات أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية أو وقع الأضرار بالمتلكات العامة أو الخاصة بغية الإخلال بالوضع الأمني أو الاستقرار والوحدة الوطنية أو إدخال الرعب أو الخوف والفرع بين الناس أو إثارة الفوضى تحقيقاً لغايات

من أجل تغييرها أو تدميرها^(١٧) .

خلاصة القول : بعد عرض أبرز التعريفات المتناولة للإرهاب وتباين الرؤى والألفاظ والمفاهيم فيه تجريماً وتحريماً وما يستتبع ذلك من إزهاق النسل والحرث ومحاربتِه من بعض الدول بينما نلحظ دولاً أخرى لم تقف بنفس الحزم والشدة في تجفيف منابعه رُبما لأُمورٍ سياسيةٍ خفيةٍ ، أو لا إنما هي ظاهرة جلية في تحريك معامل السلاح وكسب الأموال والهيمنة على مقدرات الشعوب والسعي في تجهيلها واستنزاف طاقاتها البشرية والمادية .

إن ما يتعرض له العراق خصوصاً عند سالف الدهور والى يومنا هذا لدليل واضح على وجود هذه الظاهرة قديماً بتسميات أخرى استحدثت اليوم من قِبَل بعض الألسن مُستخدمةً لفظة الإرهاب ، فالقتل ، والتجهيز وترويع الأمنين بأبشع الصور وسلب الممتلكات وسبي الأنفس والإبادة الجماعية واستعباد الأقليات أمرٌ نلحظه في القضية الحسينية والمرتبطين بها منذ كانت إلى يومنا هذا ، وكذلك ما يتعرض له الشعب الفلسطيني قديماً إلى يومنا من سلب الأرض وقتل وتشريد من قِبَل الكيان الصهيوني

المادي والعسكري والمعنوي فَعَدَمَ الجدية في القضاء على مروجي وداعمي الأعمال الإجرامية يضع علامة استفهام قبال التحرك الخجول من هذه الدول للقضاء على الجماعات الإجرامية وداعميهم والمعروف عن تلك الدول امتلاكها لأغلب الوسائل العلمية المتطورة في رصد تلك الجماعات .

تعريف منظمة الأمم المتحدة : ويُعدُّ من أهم تعاريف الإرهاب عند الغرب لدور هذه المنظمة الأممية والشرعية المتفق عليها بين أعضائها في كونها الحَكَم والمرجع لكل الأنظمة والمؤسسات الدولية .

فعرَّفته : (تلك الأعمال التي تُعرَّض للخطر أرواحاً بشريةً بريئةً أو تُهددُ الحريات الأساسية أو تنتهكُ كرامة الإنسان)^(١٦) .

نلحظ من التعريف أنه أشار إلى مجموعة من أعمال يؤديها فرد أو جماعة تُعرَّضُ أرواح المجتمع المدني البريء للإزهاق وانتهاك حرية وكرامة الإنسان . بينما ذكره بعض القانونيين بأنه (منهج نزاع عنيف يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسي أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة أو

(٢١) النظر في الشيء .

ذكر الفكر في المعجم الوسيط: (فكر في الأمر فكراً أعمل العقل فيه ، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول ، أفكر في الأمر : فكر فيه فهو مفكر ، وفكر في المشكلة : أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها) (٢٢) .

بعد عرض أقوال اللغويين ، ممكن أن نلخص معاني الفكر في اللغة والتي ترددت بين : تردد القلب في الشيء ، وإعمال الخاطر في الشيء ، وإعمال النظر في الشيء ، وإعمال العقل ، وهي لا تنفك عن تلك المعاني عند أغلبهم .

٢ - الفكر اصطلاحاً: الفكر عند الجرجاني (٥٨١٦) : (ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول) (٢٣) كذلك التفكير : (التأمل وهي القوة المودعة في الدماغ ، أو ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى المراد المطلوب ويكون علماً أو ضناً) (٢٤) ، وجاء تعريف الفكر في المعجم الفلسفي بوجهين :
١ - الفكر بوجه عام : جملة النشاط الذهني من تفكير ، وإرادة ، ووجدان ، وعاطفة نحو أنا أفكر إذن أنا موجود .

الغاشم وغير ذلك ، لجرائم يندى لها جبين البشرية والتي أدانتها كل الديانات السماوية ، فهذه الجرائم لم يغفلها القرآن الكريم ذكراً بل جزمها وعاقب عليها في الدنيا وتوعد مرتكبيها بأشد العذاب في الآخرة .

اتضح أن الإرهاب اسم جامع لكل معاني الشر في تعريفاتهم قتلاً وسلباً وإهلاكاً للنسل والحرث وإخافة الأفراد وتدمير كل مجالات الحياة بغية تحقيق مآرب سياسية أو غير سياسية وهذا هو مقصدهم فيه .

ثانياً : مفهوم الفكر

١ - الفكر لغةً : (اسم التفكير : فكر في أمره ، ورجل فكّير كثير التفكير ، والفكرة والفكر واحد) (١٨) .

قال ابن فارس (٥٣٩٥) : (فكر : الفاء والكاف والراء ، تردد القلب في الشيء ، يقال : تفكّر إذا ردّد قلبه معتبراً ، ورجل فكّير : كثير الفكر) (١٩) .

أما ابن سيدة (٤٤٥٨) فيقول : (هو إعمال الخاطر في الشيء ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر) (٢٠) .

وعند الفيروزبادي (٥٨١٧) : (إعمال

٢ - بوجه خاص

أ - ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية

ب - أسمى صور العمل الذهني بما فيه تحليل و تركيب و تنسيق^(٢٥)

والفكر: (إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها أو حركة العقل بين المعلوم و المجهول المقصود: إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة لأجل الوصول إلى المطلوب)^(٢٦) . كذلك عرف الفكر: (إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة لأجل الوصول إلى المطلوب ، و المطلوب هو العلم بالمجهول الغائب)^(٢٧) .

أو هو: الالتجاء إلى المعلومات و البحث و الفحص فيها للظفر بالحد الأوسط ثم الانتقال إلى المطلوب و انقلابه من مجهول إلى معلوم^(٢٨) .

أما مصطلح (الفكر الإسلامي) فقد عُرف: (هو عمل المسلمين يطرأ عليه ما يطرأ على سائر الحادثات ، ولكن الفكر عمل المسلمين في تفهم الدين وتفقهه ، وذلك كسب بشري يطرأ عليه ما يطرأ على سائر الحادثات من التقادم و البلى والتولد و التجديد)^(٢٩) و عرف الفكر الإسلامي: (هو

هذه الحويلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمس علمنا الواقعي الموسوم بعالم الشهادة ، ويدفع إلى التأمل و الملاحظات و النظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة ، والعبادة ، والقيم ، والنزاعات و الأخلاقيات في الإسلام)^(٣٠) .

و في ختام تعريف الفكر نذكر ما ذهب إليه الشيخ عباس القمي (١٣٩٥ هـ) حيث قال (إن الفكر الديني هو الوحيد الذي يملك القدرة على رقي الإنسان و بناء الحضارات السليمة والإنسان الصالح ، كما أن القوانين الدينية الثابتة غير قابلة للمساومة و التبديل ، نعم إن الأساليب في التبليغ و الإرشاد و طريقة الطرح في بعض المسائل المرتبطة بالعرض أمور موكلة إلى أهل الدين عليهم أن يستفيدوا من الطرق التي تلائم كل مجتمع و كل إنسان و تدخل تحت عنوان قال تعالى ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(٣١) وليس معنى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، و يقولوا ما يشاءوا و ما تبذره أذهانهم من آراء و نسبتها إلى الدين والإسلام)^(٣٢)

إذاً لا يمكن للإنسان أن ينسب شيئاً إلى الدين إلا إذا كان أهلاً لفهم الأصول الدينية

تعزف عزوفة واحدة^(٣٥) .

من التعريفين السابقين يستنتج الباحث أن الفكر هو الأساس لكل سلوك، فما من فعل يقوم به الإنسان أو عمل يشرع به، إلا كان محصلة لفكر سبقه، وخطط له ونفذه، وما نشاهده الآن على الساحة العالمية من إبادة فكرية وجسدية، وانحطاط وفساد، فإن الفكر الإرهابي هو المسئول الأول والأخير عن تولده.

عوامل نشوء الإرهاب الفكري ١. العوامل الأسرية

الأسرة هي النواة أو الخلية الأولى التي يتكون فيها الإنسان ابتداءً من كونه نطفة في الأضلاع وانتقاله إلى الأرحام، ثم الولادة ومن بعدها تبدأ مسيرة حياته، ومراحل نشوءه ضمن محور هذه النواة أو الخلية.

ويمكن تعريف الأسرة على أنها « المؤسسة الأولى والأساسية من بين المؤسسات الاجتماعية المتعددة المسئولة عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية؛ ليكون عنصراً فعالاً في إدامتها على أساس الصلاح والخير والبناء الفعّال،

ومصادر العقيدة والتشريع، يعني وصول الفكر إلى قدرة الاستنباط للمسالة الشرعية سواء كانت كلية أم فرعية وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الشريعة الإسلامية ليست وليدة الفكر البشري المتناهي وإنما هي أثر العلم والقدرة الواسعين غير المتناهيين^(٣٣) .

ثالثاً: مفهوم الإرهاب الفكري بالصيغة الانفرادية

للتعرف على هذا المصطلح نورد جملة من التعريفات:

١ - تعريف السيد الطباطبائي: (هو تحميل الاعتقاد على النفوس، والختم على القلوب وإماتة غريزة الفكرة في الإنسان عنوة وقهراً، والتوسل في ذلك بالسوط أو السيف أو التكفير والهجرة وترك المخالطة^(٣٤)) .

٢ - تعريف السيد حسن بحر العلوم: (هو عملية منظمة مبرمجة يقوم بها القوي، من أجل أن يحتوي الضعيف فكرياً وعقائدياً بشتى الأساليب، حتى القذرة منها، وإفراغ فكر الضعيف من مقوماته المنهجية، وإدماجه في ضمن الجوقة العالمية التي

وهي نقطة البدء التي تزاوّل إنشاءً وتنشئةً العنصر الإنساني فهي نقطة البدء المؤثرة في كل مراحل الحياة إيجاباً و سلباً^(٣٦) .

تعد الأسرة - كما يرى البعض - الدرع الحصينة، والمضاد الحيوي لوقاية الطفل عقلياً وجسدياً، وهي الكيان الأساسي الذي يبني شخصيته، أما على أسس سليمة أو على أسس واهية؛ ولهذا فإن للأسرة الدور الأكبر في إكساب الأفراد القدرات والمهارات، وتحصينهم من الانحراف والانجراف خلف الأزمات الفكرية السقيمة التي تعصف بالمجتمعات البشرية، وذلك من خلال تفاعله مع الأبناء والاستماع إلى آرائهم وأطروحاتهم وتطلعاتهم وتوجيهاتهم، فكم واحد من تلك الأسر قد أهملت هذه الجوانب فأدى ذلك إلى نشوء أفراد ينزعون في تفكيرهم نحو الشر والعدائية، لذا فإن الأسرة (إذا لم تُنم في أفرادها التفاعل الإيجابي مع المجتمع من خلال إكسابهم مهارات التواصل مع أنفسهم أولاً، ومع أفراد المجتمع ثانياً تنشأ في المجتمع جيل ذو عقلية تسلطية إقصائية لا تحسن إلا أسلوب الإرهاب الفكري)^(٣٧)

وهناك سبب آخر في نشوء ظاهرة

الإرهاب الفكري، ألا وهو التفكك الأسري؛ وذلك لأن ما يعانيه الأفراد من تمرد الأسرة عليهم بالضرب أو العنف أو الحرمان سيكون عاملاً أساسياً في تكوين شخصية قلقة مضطربة ضعيفة يترسب فيها الانحراف، وغالباً ما تتخذ من العنف والعدائية والحقْد اتجاه الآخر أسلوباً لها^(٣٨) .

أضف إلى ذلك إن انعدام (التواصل والحوار الأسري بين الأفراد سيؤدي إلى نشوء جيل جديد من الشباب لا يعرف التواصل ولا يقدر قيمته، ولا يحترم آراء الآخرين المخالفة له، ويعتمد على فرض آراءه وأفكاره عليهم، حتى لو استخدم القوة والعنف في ذلك)^(٣٩)

و نخلص بالقول إن المحيط الأسري المهزوز يعد المنطلق الأول لنشوء الإرهاب الفكري.

٢. العوامل المجتمعية

يعد المجتمع من الأسباب المهمة لنشوء ظاهرة الإرهاب الفكري، إذ يساهم في عملية التنشئة العقلية والفكرية للأفراد؛ بحكم تكونه من مؤسسات وهيئات تعليمية وخدمية، وتكتلات وجماعات وأحزاب ذات

أبعاد فكرية مختلفة.

بين مختلف أطيافه.

هذا وإن المجتمع يتكون من مجموعة من الأسر والعشائر والقبائل التي تختلف في تنشئتها الاجتماعية لإفرادها، فتجد الأسرة تربي أفرادها على قيم وأخلاق و سلوكيات و مناهج فكرية تختلف عن الأسرة الأخرى وكذا الحال بالنسبة إلى العشائر والقبائل.

وبما أن أفراد هذه الأسر يديرون المجتمع برمته فتكون لهم اليد الطولى لظهور شبح الإرهاب الفكري في طيات المجتمع، من خلال مؤسساته بمختلف أدوارها.

ولعل من أصدق الأمثلة على ذلك هو اشتراك بعض المؤسسات أو الجهات بنشر الفكر الإرهابي من خلال ما تطرحه - عبر وسائلها المختلفة - من أفكار و رؤى سقيمة و منحرفة، فهذه (المؤسسات المجتمعية - بمختلف أنواعها - خاصة التعليمية منها و الإعلامية، تؤدي دورا كبيرا في وقتنا الحاضر في التكييف السليم للفرد أو في سوء تكييفه مع مجتمعه)^(٤٠)، بمعنى أن لهذه المؤسسات القدرة الفاعلة على إحداث تغيرات فكرية في أفراد المجتمع و إخضاعهم لها، الأمر الذي أدى إلى أن تكون هذه المؤسسات ساحة نزاع و صراع

ومن المعروف أن المجتمعات - بحكم الفطرة - قابلة للتغيير و التطبع على أسس و تعاليم المؤسسة التي تنتمي إليها، ولهذا تجد مفارقات و تناقضات فكرية بين أفراد هذه المؤسسة و تلك.

و بما أن الطبيعة البشرية متكونة من نوازع الخير والشر، وغالبا ما تلجأ - للحفاظ على وجودها - إلى إتباع أهوائها ونزعاتها الشريرة في مقاتلة بني جنسها، فتندفع - بكل ما أوتيت من قوة - إلى تدمير عقول الأفراد، فيمارس المجتمع على الأفراد سياسة التسلط، و يشترط عليهم أن تكون شخصيتهم كشخصيته بحكم أن الفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع وبوجوده يفترض وجود الآخر.

وفيما يأتي يذكر الباحث بعض المؤسسات المجتمعية التي تعتبر من عوامل نشوء الإرهاب الفكري:

أ. المؤسسة التعليمية:

من أهم مظاهر العوامل المجتمعية المؤسسات التعليمية والدينية التي لها الدور

فعل ذلك يعد من منابع الإرهاب الفكري وسبباً في نشوئه.

كذلك الحال عند أغلب أساتذة الجامعات - لا سيما الفقهية - قد (حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة، وأثروا التعصب الأعمى على حرية الرأي، وجمدوا بأرائهم عند مذهب بعينه)^(٤١)، فيكبت حرية الطالب في التعبير عن فكره، حتى أنه بعض الأساتذة في بعض البلدان يدعم بعض الشباب الجامعي فكرياً ومادياً؛ ليستحوذوا عليهم مستغلين الوضع المادي المتردي لبعض الطلبة المحتاجين ضعاف العقيدة والإيمان، ليخرجوهم فئات ضالة مضلة، ويكونوا وسيلة لبث الفكر المنحرف في ربوع المجتمعات الجاهلة فكرياً والمتردية مادياً، وبذلك أضحت المؤسسات التعليمية تابعاً للجهات المنحرفة المتطرفة وأصبح الشباب الجامعي مرهبا مذعوراً،؛ لأنه واقع تحت تسلط من هو أعلى منه قوة وسلطة، فيسبب ذلك له شلل في عملية التفكير.

ب. المؤسسة الدينية :

لا يخفى أن بعض المؤسسات الدينية على اختلاف توجهاتها الفكرية، تلعب دوراً لا

الفاعل في زرع الأفكار المنحرفة في عقول الأفراد ابتداءً من أصغر مؤسسة تعليمية (المدرسة) إلى أوسعها (الجامعة)، لا سيما إذا كانت هذه الجهات التعليمية مدعومة من قبل الدولة، وتؤيدها في عملها.

ويكمن دور المدرسة في نشر الفكر المنحرف لدى الأطفال، من خلال مناهجها التعليمية، وكوادرها التدريسية، مما يعني أن لهذين الجانبين القوة الفاعلة والمؤثرة في الأنماط التفكيرية والسلوكية للأفراد، وما تمتلكه من أنظمة وأفكار (أيديولوجية) خاصة متجسدة في تلك المناهج والكوادر التعليمية.

ففي أغلب الأحيان تتحول مهنة المعلم ودوره في تربية الأجيال إلى أداة فاعلة لنشر الإرهاب الفكري وسلوكياته الخطيرة بين الطلبة حينما يهيء طلبته لاعتناق معتقدات وأفكار يطرحها عليهم، تمهيداً للإيمان بها فيما بعد، وكأنها هي الحقيقة وغيرها خلاف ذلك، والأكثر من ذلك إنه يأتيهم من زاوية الدين ويحشد لهم الأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تأمر بذلك، فيقوم بتفسير النصوص من منطلقاته الأيديولوجية ذات الأسس الفكرية المتطرفة، ولا شك أن

فيتصدى لتلك الفتاوى والخطابات من يفتقد إلى أبسط شروط الاجتهاد والمعرفة.

يقول الدكتور الخشن: (وأخطر ما نواجهه في هذا المجال تصدي جماعة من المراهقين في العلوم الإسلامية لا سيما من ذوي النزعات التكفيرية للافتاء في صغار الأمور وكبارها، فتراهم يحللون ويحرمون، ويكفرون، ويضللون، ويهدرون دماء الأعداء والأصدقاء، المجرمين والأولياء، متجاوزين بذلك أكابر الفقهاء، وذوي الحل والعقد، وبذلك أدخلوا الأمة في نفق مظلم لا يعلم منتهاه إلا الله)^(٤٤)، والطامة الأعظم إذا أضحى هؤلاء الفقهاء وأئمة الكفر والضلال من رواد البلاط وخدمة الأمراء، فالإرهاب الفكري سيكون ذا انسيابية لا يحمد عقباها.

٣. العوامل السياسية :

إن للسياسة الدور الأكبر، والعامل الأساس في نشوء ظاهرة الإرهاب الفكري، فإن أغلب ما يجري على الساحة من صراعات و نزاعات طائفية و مذهبية وما يتخللها من مظاهر التكفير للآخر أو إقصاءه أو النيل من مذهبه، وأغلب الأحيان إلى الاقتتال، تقف وراءه السلطة، بدافع

يقل خطورة عن سابقتها في زعزعة الأمن الفكري، من خلال نشر الفكر الإرهابي، لا سيما تلك التي لا تتورع عن إثارة النزعات الطائفية والترويج لها.

فالمؤسسة الدينية من هذا النوع ستسهم بشكل أو بآخر بظهور الإرهاب الفكري واستشرائه في المجتمعات، لا سيما المجتمعات التي يكون لها الاستعداد لانتشار تلك الظاهرة فيها، بحكم ما تعانيه من مشكلات على مستوى التعليم أو المستوى الاقتصادي والثقافي، والمتمثلة بـ (الظلم والتطرف المادي ثراءً أو فقراً، فضلاً عن البطالة، والهجرات...)^(٤٥).

إذ تكتظ المجتمعات بنماذج غير مشرفة من علماء وخطباء مغرضين، وتيارات فكرية متطرفة، فهؤلاء وإن كانوا أفراداً محسوبين على المجتمع إلا أنهم يعملون على نشر الإرهاب الفكري بكل مظاهره، ويكون ذلك إما عن طريق إصدار الفتاوى أو تصعيد الخطابات المتشددة والمتطرفة، وما ذلك إلا لافتقاد تلك الخطابات إلى (الاختصاص المعرفي في القرآن في بواطنه وظواهره، إذ أن في القرآن المحكم والمتشابه والظاهر والباطن والناسخ والمنسوخ...)^(٤٦)،

استمرارية نفوذها وسلطانها، أو تسعى السلطة إلى الاستتار خلف الدين و بث الشعارات الدينية التي تخدم مصلحتها و إثبات شريعة حكمها، إذ أن استخدام السلاح و العنف والتنكيل بـرأيها لا يكفي بل ولا يجدي نفعا لإطالة عمرها؛ لذلك كان أنجح وسيلة تتبعها لتحقيق أهدافها و مراميها السياسية، تأجيج و تصعيد النزاعات الدينية والطائفية من خلال دعم المناقشات و المناظرات و تهيئة الأرضية الصالحة لذلك، وفي هذا المقام يقول الشيخ أسد حيدر (ولا يخفى دور السلطة فيما يحدث - أي النزاعات بين المذاهب - وإن الفتن التي تجري وما يتخللها من نيل من مقامات العلم، وتعدّ على أصحاب المكانات الدينية من صنّعها، فينحاز الحكام إلى طرف دون آخر...)^(٤٥) فكان من مصلحة السلطة إثارة الفتن و الخلافات بين صفوف المسلمين لتوقع الفرقة بينهم، وتصل إلى أهدافها وغاياتها، ولذا نرى أغلب حكام الجور يستترون وراء الحركات المتعصبة التي تدعي انتسابها إلى الإسلام، لكنها تدعو في حقيقتها إلى الإرهاب الفكري و تفهم الآخرين به، و تنشر أفكارها المنحرفة دون

أن تواجه من السلطة، ودليل ذلك اتساع نطاق الحركة الوهابية في السعودية، فتسنى لها نشر أفكارها الباطلة و عقيدتها الفاسدة و دعوتها الخارجة عن جادة الصواب، فالتقت مصلحة السلطة بهذا التنظيم، لترسيخ دعائمها وشرعية وجودها، فلا يستطيع أي تنظيم الإطاحة بهذه الحركة بسبب دعمها المتواصل من منظومة البلاط السياسي في الرياض، فكما هو معروف أن السلطة تسعى جاهدة لتقريب العلماء الذين يثبتون جذورها وذلك من خلال إغداقها بالأموال، وتهيئة أسباب الرفاهية الدائمة.

إن إشاعة أجواء معينة من قبيل التشدد و التطرف و التكفير و إقصاء الآخرين و إشاعة روح الكراهية والحقّد بين صفوف المجتمع الواحد، أو التمييز بين الطوائف و ممارسة الطائفية، كل ذلك يؤدي إلى إذكاء نار الفتنة، و الاقتتال بين أفراد المجتمع الواحد، وتقف الحكومات أو تمارس دور المتفرج المبتسم، أو دور الانحياز إلى طائفة معينة تخدم مصالحها، و بذلك تُعد الطائفية الحجر الأساس أو القاعدة الرصينة التي تقوم عليها السلطات الحاكمة لضمان استمرارها و تأسيسا على ما سبق تعد السياسة البيئية

تكفير الآخرين ، من خلال إثبات ذلك بكل ما تتوفر عنده من أدلة وبراهين يفسرها على هواه .

٣ - يهدف إلى (ابتكار أنواع القيود الفكرية التي تتماشى مع مصالح السلطات الحاكمة أو مع المنظومة الدينية التي تحكم المجتمع ، وفرضها عليه ، كما ويهدف إلى إثارة الإحساس لدى الفرد بالخطر الذي يحدق بقوة التفكير والإبداع والتطور ، أضف إلى ذلك سعي المنظومة الدينية إلى شرعنة عملياتها الإرهابية من خلال تبني مفاهيم مغلوطة وإجبار الأفراد على قبول تلك المفاهيم ، أو إخضاعهم لتوجه معين خوفاً من الإقصاء أو التهميش أو الحرمان)^(٤٦) ، وهذا يعني بقاء المجتمع بين المطرقة والسندان ، بين تسلط الأنظمة الحاكمة وبعض الأنظمة الدينية الفاسدة ، ومن ثم يكون المجتمع رهينة أهواء وميول هؤلاء وهؤلاء للتلاعب به ، وإسكاته بوسائلهم الدينية .

٤ - كذلك يهدف إلى ضرب كل انتاجات العقل وحرقتها من قبل بعض المؤسسات الدينية ، وذلك باستخدام أداة مهمة جداً في الوقت ذاته وهي (الفتوى) التي لها أثر كبير

الولود و الحاضنة الودود لإنتاج الإرهاب الفكري .

أهداف الإرهاب الفكري

لكل ظاهرة - سواء كانت ذا مردود نفعي على المجتمع أم عدواني - مجموعة من الأهداف التي تتوخاها الأطراف المعنية بتلك الظاهرة ، فالذي يسيطر على رؤى وأفكار أو معتقدات الآخرين أو يفرض معتقده أو فكرة بالقوة على الأطراف الأخرى يبتغي من وراء ذلك أهدافاً عدة وهي :

١ - لا شك أن الهدف العام الذي يكمن وراء افتعال هذه الظاهرة هو العائدية النفعية للمؤسسات أو الأطراف المعنية به ؛ لغرض تحقيق مآربها في مختلف المجالات سواء كانت أهدافاً سياسية أو السيطرة الفعلية على المقدرات الاقتصادية أو المالية للبلد المحكوم أو تحقيق ما تصبو إليه من تشويه المذهب الآخر بهدف اشمئزاز الآخرين منه ، بل وحتى عدم التفكير فيه أو محاولة الدخول فيه ، خاصة وإن بعض الأطراف تعاني من الجهل في الدين وعدم تفهمه بصورة صحيحة .

٢ - السعي إلى إفساد المعتقدات ، أو

والانكفاء في دائرة العزلة والتقوقع^(٤٨) ، وهذا من جراء إشعار الفرد بالخوف وإرهاب فكره بحيث لا يستطيع تأدية أطروحاته ونتاج عمله بيسر وأمان .

٧ - كذلك يهدف إلى (عرقلة نمو الفكر البشري وإيقاف عملية المسيرة الإسلامية)^(٤٩) .

٨ - محاولة طمس معالم الدين الإسلامي الحنيف عن طريق تحريف وتزوير المفاهيم الدينية أو توظيف النص القرآني وفقا للأهواء الشخصية وبما يخدم مصالحها ، وهذا مصداق لقول الإمام الحسين (عليه السلام) : (.. والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درّت معايشهم ..)^(٥٠) ، هكذا لعبت نفوسهم الدنيئة الخبيثة بالنص القرآني ، وهم لا يملكون من العقيدة والدين شيئا سوى ما يخدم مصالحهم .

مواجهة القرآن الكريم للإرهاب الفكري

اتخذ القرآن الكريم في مواجهة الإرهاب الفكري - غيرها من المشاكل - جوانب عدة ، جاءت بالتدرج للقضاء على هذه الآفة الخطرة ، وهي :

في تحريك الجماهير وحشدها ، وفي طول ذلك من الممكن أن تضرب مشاريع الإصلاح والتغيير والتجديد الحقيقية ، كذلك السعي إلى إقحام الأفكار في مجالات خارجة عن مناطق اشتغالها وهي الفكر والعقل ، كمن يحول فكرته مثلا إلى فتوى وهو ليس بفقير ولا يملك أدوات مقومات الفقه^(٤٧) ، ومن ثم زعزعة المسلمين عقائديا وفكريا وإحلال الفوضى .

٥ - خداع المجتمعات البسيطة والساذجة عن طريق خلق منظومة فكرية زائفة ، وإقحام تلك المجتمعات بهذه المنظومة ، وتزويقها لهم على أنها هي الصحيحة ، وهي التي ستجعل لتلك المجتمعات مصيرا ومستقبلا زاهرا ومتطورا ، والغرض من ذلك سوق تلك المجتمعات بالاتجاه الذي يريدونه ، والذي يحقق لهم مآربهم وبالتالي يصلون إلى أهدافهم الخبيثة المنحرفة .

٦ - إبقاء سمة التخلف والتمزق والانحلال في أجزاء كثيرة من العالم وضرب الإبداع الفكري للحيلولة دون التبادل الثقافي المتكافئ بين الشعوب الأخرى ، وإبقاء المجتمع العربي في كسل دائم عن الإنتاج الثقافي ، والاكنتفاء بما هو موجود ،

يكادُ زيتها يُضيء ولو لم تَمَسَّه نارُ نورٍ
على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضربُ
اللهُ الأمثالَ للناسِ واللهُ بكلِّ شيءٍ
عليمٌ ﴿٥٥﴾ ، وهذه الآية هي نموذج في
(زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني) (٥٦) إذ
يتيح للإنسان أن يتأمل فيها ويتفكر ويدرك
حقيقة هذا النور الإلهي وبمن يتمثل ، قال
تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ ﴾ (٥٧) .

يقول السيد فضل الله : (إن فهم المثل
في امتداداته خارج الدائرة الضيقة التي
تحرك في داخلها يحتاج إلى علم وعقل ،
يعني أن الناس الذين يملكون العمق
العلمي ، هم الذين يملكون امتداد هذا
المثل ، وكيف يطبقونه ، وكيف يفهمون ما
يمثله في كل شؤون الحياة) (٥٨) .

مما تقدم يتبين أن لأسلوب ضرب
الأمثال فائدة كبيرة في تنبيه العقل الإنساني
وزيادة فهمه ؛ لاكتشاف الحقائق في هذا
الكون .

١.٢ الأسلوب القصصي :

لل قصة القرآنية تأثيراً فاعلاً في أذهان
الناس وعلى اختلاف مستوياتهم العقلية

أولاً : إعمال العقل : وذلك من خلال
إعمال العقل ، فالخطاب الإلهي المتمثل
بالآيات القرآنية (يعم كل ما يتسع له الذهن
الإنساني من خاصية أو وظيفة) (٥٩) لتأدية
دوره المرسوم له في الحياة ، لذا نجد القرآن
الكريم (دعا لإعمال العقل ؛ لأن ثمرة العقل
هي العمل الذي يقوم به) (٥٢) إذ تجسدت
بمجموعة من الأساليب القرآنية الداعية
لإعمال العقل وبالتالي إلى بنائه كونها (تربط
بين العقول والقلوب وتوقظ المشاعر ؛
لاستقبالها لها بحس جديد متفتح يتلقى
الأصداء والأضواء وينفعل بها ويستشعر آثار
يد صانعها) (٥٣) ومن أهم هذه الأساليب :

١. أسلوب ضرب الأمثال :

التأمل في القرآن الكريم يرى أنه
(مشتمل - في غير واحدة من آياته - على
الأمثال .. للتفكير والعبرة) (٥٤) ، لذا فإن
أهمية الأمثال ليس من أجل التسلية وإنما
لإفادة العقل ؛ للوصول إلى الغاية المنشودة ،
قال تعالى : ﴿ الله نور السماوات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية

والفكرية؛ لما لها من أبعاد رسالية وتربوية واجتماعية (فالقصة القرآنية هي إحدى وسائل القرآن في الوصول إلى أغراضه الدينية، إذ تمتاز بأنها تشد القارئ وتجذب انتباهه فتجعله كثير التأمل في معانيها بشخصياتها وموضوعاتها. فضلا عن أنها طريق لإثارة الانفعالات كالخوف والترقب والرضا والارتياح، وتتمتاز أيضا بالإقناع الفكري عن طريق الإيحاء والتأمل والتفكير^(٥٩) وهذا يعني أنها أسهل طريقة للتأثير في العقول والنفوس؛ لأنها (أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاج بها الناس، وليقطعهم عن الجدل والمحاكمة شأنها في ذلك شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز^(٦٠))

٣. أسلوب عرض الأسئلة :

يعد السؤال في المنظور القرآني أسلوبا من الأساليب البنائية العقلية، فقد استخدمه القرآن الكريم ليكون (الأداة التي يتوصل عن طريقها إلى الإلمام بالحقائق والمعلومات التي يرغب المتعلمون في معرفتها)^(٦١).

لقد سبق السؤال على اختلاف أنواعه وأغراضه؛ لأجل تحقيق الهدف الأصيل

للقرآن الكريم وهو البناء التكاملي للعقلية الإنسانية لتكون ثابتة العقيدة والإيمان، فالسؤال تارة يكون للتحذير في الوقوع في الذنوب، قال تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٦٢)، ولتثبيت العقيدة وإثبات الوحدةانية لله^(٦٣) قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾^(٦٤) توبيخ الله تعالى للكفار على عبادتهم الأصنام رغم إقرارهم الربوبية لله تعالى، أو يكون السؤال للعلم والمعرفة قال تعالى: ﴿ .. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٦٥) أو للتأكد ورفع الشك قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾^(٦٦) وغيرها من الفوائد التي تستهدف إيقاظ العقول وشد الأذهان.

ثانياً: الجانب العلاجي

١ - الحوار الإسلامي: يعد الحوار وسيلة إسلامية قيّمة (وميزة جوهرية لمعنى

أما في الاصطلاح (نوع من الحديث بين شخصين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، و يغلب عليه الهدوء و البعد عن الخصوصية والتعصب)^(٧٠) الهدف منه (تصحيح الكلام و إظهار حجة ، و دفع شبهة ، ورد الفاسد من القول و الرأي)^(٧١) وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۚ ﴾^(٧٢) .

تجدر الإشارة إلى ورود ألفاظ في القرآن الكريم تعطي صور حوارية كالجدال و المحاجة و المراء و اللجاج و المخاطبة و الخصام ، إلا أن أسلوبها الخطابي يفضي إلى الخصومة والنزاع و المعاندة ، وغالبا ما تأتي في القرآن الكريم للذم ، فضلا عن أنها لا تعالج القضايا ولا تقدم لها حلا .

ومن هنا يتضح معنى الحوار و صورته فهو (دائما للتواصل و لمواصلة الألفة والسعي الحثيث للوصول إلى الحقيقة بعيدا عن التعصب)^(٧٣) .

٢ - الوحدة الاسلامية : إن واقع المسلمين المريع و المستعار منذ العصور المظلمة لا يمت بصلة إلى روح الإسلام

الإنسانية ، وعلم جامع لكل العلوم النافعة ، فهي وسيلة رحمة وود ، تحقق الوئام والتفاهم بين بني البشر)^(٦٧) ، ومن ثم فهو منهج إلهي تعليمي وتأديبي ؛ يهدف إلى إيصال الأفكار والرؤى والمفاهيم الإسلامية للطرف الآخر ، ووسيلة التواصل والتلاقي (ونحريك العواطف والمشاعر ، خصوصا لمن يبحث عن الحقيقة ، فهو يساعد على معرفة مستويات المشاركين في الحوار ، وما يطرحونه من شبهات فكرية وسلوكية)^(٦٨) ولهذا يعد وسيلة علاجية لما استتب على أرض الواقع من قضايا فكرية تقتل العقل والفكر .

فالحوار هو الأسلوب المتميز و المنهج الأمثل الذي استخدمه الأنبياء و المرسلون ﷺ في مسيرتهم و دعوتهم إلى التوحيد ، و حرص الأولياء و المصلحون و دعاة الحق على السير على هذا المنهج كوسيلة لإظهار الحق و دحض الباطل بالحجة و البرهان .

يدل الحوار (لغويا) على مراجعة الكلام بين الطرفين ، و التجاوب ، والمحاورة ، والمجاربة^(٦٩) ، فهو تبادل الكلام بين المتكلم والمخاطب .

العبرة بالآلفة والمحبة التي تتسع لكل البشرية.

فالعقد التاريخي لا تزال تتجذر في نفوس المسلمين إلى الآن، وإنما وصلت إلى جذوتها، فالعمليات التي تسمى بـ (الاستشهادية - بنظرهم -) التي حصدت من أرواح الأبرياء باسم الجهاد الإسلامي للالتحاق بالجنة، ما هي إلا ثمرة لبذور تلك العقد التي تجسدت بالمذهبية (الطائفية) مع سبات عقول المسلمين. فالحروب الطائفية والقتل على الهوية استعرت نارها بسبب الخطاب الإقصائي الذي يتبناه هذا الطرف أو ذاك تجاه الآخر وعدم الاعتراف به كموجود شرعي، وهذه القطيعة خلفت تلك الظواهر الخطيرة التي مني بها الإسلام.

والتأمل في خفايا هذا الأمر يجد إن للسياسة اليد الطولى في صياغة تلك المذاهب، نحن نقر أن لكل مذهب خزين فكري و عقائدي، ومقدسات تاريخية تعترف بها وتستند إليها وتمنحها الشرعية لوجودها، فضلا عن أن لكل منها منهجا وفهما فكريا خاصا وقراءة خاصة للنص المقدس، لكن أن تحمل الآخر عليه بالقوة وتعتلي منابر الطائفية لتتهمه بالتكفير

التفسيق، فهذه ظاهرة خطيرة ومشكلة ليس لها حل إلا بالرجوع إلى المنبع الإسلامي العذب الذي يسقي البشرية عذوبة الآلفة تستشفها من دعوته إلى الوحدة ونبذ التفرقة والطائفية المقيتة التي لا نجني منها سوى الأشلء والدماء، ونحن بحاجة إلى أصرة إسلامية تجمع كل الطوائف والمذاهب، والمتمثلة بالوحدة الإسلامية التي تعني (التعاون بين أتباع المذاهب الإسلامية على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة الثابتة والأكيدة، واتخاذ موقف موحد من أجل تحقيق الأهداف والمصالح العليا للأمة الإسلامية والموقف الموحد اتجاه أعدائها مع احترام التزامات كل مسلم تجاه مذهبه عقيدة و عملاً^(٧٤)).

لقد أسس القرآن أسس الوحدة الإسلامية في محكم آياته ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٧٥) وعدها من (أهم خصائص الأمة الإسلامية، ودعا كل مسلم للعمل على تحقيقها، و خطط لها شتى الأساليب وأعلن أن هذه الوحدة ليست وحدة مصالح، ولا وحدة مكان أو عنصر، وإنما هي وحدة القلوب، والتآلف والتحاب^(٧٦) فهي (مسألة فطرية ووجدانية

٥ - النهي عن الصراعات و الخلافات ،
قال تعالى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾^(٨٢)

٦ - الأمة المتوحدة في الفكر والعقيدة ،
قال تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٨٣)

٧ - أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض ، قال
تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾^(٨٤)

وهذا يعني أن جذر الوحدة الإسلامية
الأصلي هو القرآن الكريم ، وهذا ما يجعلها
تتميز بميزات خاصة وهي :

١ - إنها فكرة أصيلة بحد ذاتها وثقافة من
قلب الإسلام ، ولم تستورد إليه ، ولم تخترع
لظروف سياسية أو مرحلية .

٢ - تمتلك هذه المسألة بعدا ثقافيا ،
يجعلها فكرة قابلة للإقناع ؛ لأنها تعني كل
مسلم ، وكل ذي ثقافة إسلامية أصيلة .

٣ - إنها مسألة قابلة للدوام بسبب كونها
أصيلة بخلاف الثقافات التي لا تعتمد على
أساس ثابت ، ولهذا فإن الوحدة الإسلامية
يمكن أن تكون حلاً لمسائل المسلمين في

لا تحتاج إلى استدلال علمي ولا بذل
جهد ، لأن الله تعالى أودع في أعماق
نفس كل إنسان فطرة صافية ووجدانا نقياً
يهتدي بهما الإنسان إلى الخير و يكشف
موارد الشر ، و بها يتفق أبناء البشر على
المبادئ الخيرة و البديهيات العقلية^(٧٧) إلا
أن هذه المسألة قد تلوثت بدخان النزاعات و
الخلافات التي أدت إلى القطيعة المذهبية .

ولهذا السبب دعا القرآن الكريم إلى
الوحدة والرجوع إليها وأكد عليها في مواضيع
و مصاديق مختلفة :

١ - الاعتصام ، قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٧٨)

٢ - الإخاء وإصلاح ذات البين ، قال
تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾^(٧٩)

٣ - الدعوة إلى التعاون في مواطن الخير
لا مواطن العدوان ، قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٨٠)

٤ - النهي عن الافتراق ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾^(٨١)

جميع العصور .

من هنا تتضح أهمية الوحدة الإسلامية في حل النزاعات والخلافات بين المسلمين ، ومحاولة استيعابها والحد من استفحال القطيعة بينهم ؛ بغية إنقاذ البشرية من رياح سوداء عصفت بها منذ مئات السنين .

٣. التعايش السلمي في الإسلام

الإسلام دين السلام والمحبة والإخاء إذ (جاء مكرسا لمنهج السلم في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات ، إذ السلم هو قيمة ثابتة و أساسية في الإسلام ونحن نؤمن إيمانا عميقا و راسخا بأن ما يجمع البشر أكثر هو السلم ، وإن أهم ما يفرقهم هو الحرب)^(٨٥)

وبما أن السلم هو سمة الديانات السماوية ومنها الإسلام فان مبدأ التعايش السلمي كان وما زال من المبادئ الدينية التي دعا إليها والتزم الجميع على احترامها وتطبيقها .

إن مفهوم التعايش (يحمل مضامين اجتماعية و اقتصادية و سياسية و دينية تهدف جميعها إلى إسعاد المجتمع الإنساني)^(٨٦) فالتعايش الغالب فيه أن يكون

بألفة و مودة^(٨٧) وأمن واستقرار في ظل الرسالة المحمدية وهذا لا يكون إلا بإفشاء السلام إذ أن السلم و السلام والسلامة تعني الخلو من الآفات والعيوب وهو الأمان والصلح وخلاف ذلك الحرب^(٨٨) قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾^(٨٩) ولهذا ألزم المؤمنين كافة بالدخول في السلم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٩٠) .

لهذا كان الإسلام برمته دعوة صريحة للسلم إذ ترى (إن انبياء ﷺ حينما استقر في المدينة أسس نظاما عاما أساسه التعايش السلمي وبالمصطلح الحديث المواطنة أو السلم الأهلي ، والمسلمون اليوم في بلادهم ومع من يعيشون معه من مختلف الطوائف و الملل و النحل هو أشد الحاجة إلى هذا المفهوم ، مفهوم أن تعيش مع الآخر مفهوم المواطنة مفهوم السلم الأهلي مفهوم قبول الآخر)^(٩١)

مما تقدم يتبين لنا أن المجتمع الإنساني الآن بحاجة إلى أن يعيش بأمان واستقرار و حربة تامة أقزها له الإسلام ، فالخلافات تدب على أرض المسلمين ، والاتهامات

دَارِ السَّلَامِ ﴿٩٣﴾

فالقرآن الكريم يصرح في كثير من آياته بضرورة تحقيق الأمان والاستقرار للجميع دون استثناء، حتى القتال الذي شرعه وحثَّ عليه إنما هو (لحماية الناس وأعراضهم وأموالهم وحرّياتهم ومعتقداتهم ورد المفسد عنهم، وتطبيق أحكام الله العادلة وإظهار دين الله ولو كره المشركون، ولتبقى الأمة الإسلامية في قوة وعز ومنعة، يهبها الأعداء فلا يعتدون عليها ولا يتدخلون في شؤونها ولا يستهينون ولا يثيرون الفتنة)^(٩٤) فقتال الأعداء إنما يكون لرد عدوانهم، وليس لترويع الأمنيين والاعتداء على حرّياتهم.

فالقرآن الكريم تكفل بمكافحة دعاة الإرهاب الفكري والمروجين له، وقد وضع لذلك (طرقاً وحلولاً إيجابية خاصة ومن قبيل لزوم التصدي للظلمة والقيام ضدهم، وتحريم إعانتهم بجميع ألوانها ومد يد العون إلى المظلومين والمستضعفين والدفاع عن حقوقهم، وانتشالهم من الوضع^(٩٥) المأساوي)

فالإرهاب الفكري (مما لا شك فيه ولا ريب هو عمل محرم وخطورته ربما أشد

تتراشق بينهم من كل حذب وصوب، هذا كافر وآخر جاهل والثالث فاسق، وهذا يقتل وذاك يقصى، و الكل منتمي إلى الإسلام، والأكثر من ذلك هناك من ينادي بضرورة تقسيم البلاد إلى: دار كفر و دار إسلام، بينما الإسلام ينادي بالرجوع إلى وحدة المنشأ والابتعاد عن القطيعة، فلا معنى للنزاع والصراع بين أتباع دين وآخر، أو بين أتباع الدين الواحد، أو سلب حقوقهم أو إجبارهم على اعتناق الدين أو فرض فكر على حساب آخر، أو تفجير مقدساتهم مهما كانت أو سب عقيدتهم والاستهزاء بطقوسهم العبادية وما إلى ذلك، فالدين الإسلامي يرفض كل هذه المظاهر ويركز على احترام الإنسان لإنسانيته مهما كان انتماءه الديني أو المذهبي، فالناس عند أمير المؤمنين علي عليه السلام (صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)^(٩٦)

ثالثاً: المواجهة الإجرائية

القرآن الكريم دستور الإسلام ومصدق للأمن والسلامة والاستقرار، فهو لم يدع قط إلى الإرهاب والعنف أو أي نوع من أنواع الأذى مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ

من خطورة الإرهاب الحركي، فهو المغذي والمغري و المشجع على ممارسة الإرهاب، فمن الطبيعي أن يكون له عقوبة رادعة^(٩٦) و تأسيسا على ذلك فإن المواجهة الإجرائية للإرهاب الفكري في القرآن الكريم تكون على مرحلتين

المرحلة الأولى: وهذه المرحلة تكون

على جانبين

الجانب الأول: المقاطعة

وهنا يتوجه القرآن الكريم بخطابه إلى المسلمين كافة بمقاطعة دعاة الإرهاب الفكري إذ نهاهم عن مودتهم أو مناصرتهم أو تقديم المعونة لهم أو أي نوع من أنواع العلاقة معهم قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولُوهُمْ ﴾^(٩٧) كذلك يحذرهم من طاعتهم و ينهاهم عن ذلك بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾^(٩٨) في حين نجد أن القرآن الكريم يؤسس لأشد مقاطعة، و هذا التأسيس يعد أقوى منهج عقدي واجتماعي وسياسي و حتى عسكري،

عندما يخاطب المسلمين كافة بالابتعاد النهائي عن أهل الظلم (دعاة الإرهاب الفكري) بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾^(٩٩) و نلاحظ في هذه الآية عدة أمور :

أ - عدم الاختلاط أو الاتكاء أو الاستناد إلى هؤلاء الظلمة مطلقا .

ب - لا يصح الاشتراك معهم في إضعاف المجتمع الإسلامي و سلب استقلاله و تبديله إلى مجتمع ضعيف و منهزم و تابع ؛ لأن الركون ليس فيه إلا ذلك أما ما يلاحظ من التبادل التجاري و الروابط العلمية بين المجتمع المسلم و غير المسلم فهذا لا باس به في نظر الإسلام لأنه لا يعد من الركون للظالمين .

ج - المقصود بالذين ظلموا : هم جميع من امتدت أيديهم إلى الظلم والفساد ، أو استعبدوا خلق الله وعباده أو استغلوا قواهم لمنافعهم ، ولا دليل على انحصارهم بالمشركين فقط الذين كانوا في عصر نزول الآية .

د - فلسفة تحريم الركون إليهم : لأنه

السلام العام للإنسانية^(١٠١) ، وهذا هو المعنى المراد من الإرهاب في هذه الآية، إذ أن الله عز وجل أراد من هذا الإعداد هو إرهاب الأعداء وتخويفهم لئلا يتجرعوا على الإسلام ودولته الفتية، فضلا عن أنه سبحانه أراد تفادي وقوع الحرب التي لا تبقي ولا تذر، لذلك أعقب سبحانه الآية بـ ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾^(١٠٢) ، أما إذا كان دعاة الإرهاب الفكري ممن يصدق عليهم قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(١٠٣) فهنا الطامة الكبرى لأن عقول هؤلاء باتت لا يجدي معها أي علاج تربوي أو إعدادي؛ لأن مثلهم كمثل الخوارج الذين يعتقدون أنهم يحسنون صنعا بما يفعلون، ولذا اقتضى لهم علاجا آخر نتعرف عليه بالمرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: العلاج

القرآن الكريم لا يهمل دعاة الإرهاب الفكري الذين نشئوا وترعرعوا على شتات فكري وعقائدي، والأكثر من ذلك أنهم استعدوا على غيرهم بهذا الشتات،

يورث مفاسد كثيرة باعثة على تقويتهم و اتساع رقعة ظلمهم و فسادهم و عدوانهم .

الجانب الثاني : الإعداد واليقظة والحذر

وهنا جاء التوجيه القرآني للمسلمين بطلب اليقظة والحذر من دعاة الإرهاب الفكري، والإعداد لهم بكل ما تحمل هذه اللفظة من دلالة قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١٠٤) وهذا الإعداد تحتاجه كل الأمة لا تركز إلى الظالمين، وتأبى الميل إلى الذلة والهوان والتخاذل، فضلا عن هذا الإعداد المرهب للعدو سيكون (قوة ردع: إعظاما للدولة الإسلامية وإعلاء لهيبتها، والقوة الرادعة اليوم هو حق من حقوق الدولة ليس فيه ما يشين، خصوصا وأنه ردع لعدو الله الذي يعتقل العقل ويكتم الفكر ويستولي على الأرض ويستغل أخاه الإنسان... فكل الدول على الإطلاق تسعى اليوم لبناء ترساناتها العسكرية الرادعة بما عندها من إمكانيات؛ لأن الردع وسيلة لحفظ التوازنات من أجل

القتال^(١٠٧) فالآيات وإن اختص موضوعها بعصر النزول أي نزلت في الكافرين والمنافقين الذين قد تباطؤوا شرا للإسلام، إلا أنها تنطبق على كل عصر ينتشر فيه دعاة الشر (الإرهاب الفكري) لأنهم قد استروا الحق بغيهم، وأصالة الإسلام ومبادئه الحقبة بمفاهيمهم الساذجة المنحرفة، فهم في الظاهر مسلمون إلا أنهم استبطنوا الحقد له والعداء، وكل النوايا السيئة.

فالحل النهائي والأمثل لهؤلاء هو مجاهدتهم، إذ لابد من ذلك ما دام دعاة الإرهاب الفكري في كل عصر قد اقترفوا جريمة بأن اعتدوا على عقول الناس بالسنتهم وأيديهم، عندها يجب أن يخضعوا للعقاب كونهم حرضوا - بفتاويهم الترهيبية - أتباعهم على قتال المسلمين وغير المسلمين أينما حلوا، وتحت كل حجر ومدر، ولذلك يجب أن يواجهوا بمثل ذلك قال تعالى ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١٠٨) فالاعتداء أولا على هؤلاء مرفوض في الإسلام قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١٠٩) ولهذا نجد أن السبب الذي أودى إلى قتالهم هم أنفسهم وليس المراد إن الإسلام أراد أن

وأجبروهم على قبوله وتبنيه، فهؤلاء يروا أنفسهم أنهم المسلمون والآخرين هم الكفرة الجاهليون، وعندئذ يفتون بقتالهم وقتلهم شر قتلة.

وعند ذاك إذا لم يجد الأسلوب التربوي لإرجاعهم إلى رشدهم، فالحل النهائي لهم هو قتالهم واستئصال شأفتهم (فالمرحلة النهائية حينما يحصل اليأس من جميع الأساليب التربوية السليمة هي مرحلة الردع بقتال العدو، والاستعداد إلى ذلك، وما ذلك إلا لإرجاع المصاديق المتمردة والمنحرفة عن الفطرة السليمة إلى جادة الحق والطبيعة البشرية التي خلق الله الإنسان عليها)^(١٠٤).

وهذا العلاج إنما هو للحفاظ على بيضة الإسلام، مما يداخلها من مفاهيم مغلوطة ابتدعها دعاة الإرهاب الفكري، وذلك يلزمنا أن نستنطق القرآن الكريم لنستدل على ذلك قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾^(١٠٥) و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١٠٦) وهذا أمر إلهي موجه إلى نبيه الكريم محمد ﷺ بمجاهدة الكفار والمنافقين مع الشدة والخشونة (وهذا الجهاد أما يكون باللسان أو اليد حتى ينتهي

مهمة، هي :

١ - انتفاء الصلة بين دلالة الإرهاب في القرآن الكريم وبين مفهومه العصري .

٢ - مهما بلغت الدراسات حول ظاهرة الإرهاب ، إلا أنها لن تتمكن من الوصول إلى تحديد مفهوم موحد له ؛ كون هذا المصطلح قد تمّ تسييسه لضرب أهداف معينة يراد منها تحقيق مصالح خاصة .

٣ - الإرهاب مصطلح حديث إلا أن مصاديقه تمتد جذورها منذ الخليقة ، فالقتل والصلب وسمل العيون أو الحرق وتقطيع الأوصال وغيرها هي أبرز تلك المصاديق .

٤ - تكمن وراء نشوء أي ظاهرة لا سيما الإرهاب مسببات أبرزها ، سيكولوجية أو بيئية أو سياسية أو فكرية ، وتساهم المناهج التعليمية بشكل كبير في تكوين عقلية الإنسان خاصة تلك المناهج التي تحمل إستراتيجية عنفيه يرافقها كادر تدريسي متشدد .

٥ - يقف وراء كل عمل عملية عقلية إعمالية حركية تدفع الإنسان إلى ذلك العمل سواء أكان نافعا أم ضاراً ، فإذا توصل الإنسان من خلال تفكيره إلى منفعة دنيوية وأخروية

يفرض رأيه وإن الرسول ﷺ استعمل القتال في جميع حياته ، فمقاتلة هؤلاء لا تعني إن المسلمين الحقيقيين هم أهل قتال و سفك الدماء ، وإنما أرادوا الدفاع عن بيضة الإسلام وحرمة الأعراض من الانتهاك قال تعالى ﴿ فَقاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا إيمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ ^(١١٠) فالمجتمع الإسلامي _على مر العصور_ يتعرض لهجمات فكرية تعصف به من هنا وهناك ، مما يخلق فيه حالة من الفوضى والاضطراب الفكري ، لهذا كانت التعليمات القرآنية واضحة برد اعتداء أئمة الضلال ويكون ذلك عبر (الجهاد الذي جعله تعالى أحد الأسلحة التي بها يعم الخير و يستأصل شافة الكفر إنقاذاً للمظلومين و انطلاقاً لزمّام الحرية و إفشاء للعدل) ^(١١١) خاصة وإن دعاة الإرهاب الفكري قد أغلقوا منافذ عقولهم عن سماع الحق وسعوا إلى إغلاق منافذه في عقول الآخرين ، و إصرارهم على ذلك سعيًا منهم إلى تشويه صورة الإسلام الحقّة و إشاعة الباطل .

نتائج البحث

بعد الاستعانة بالله على خوض غمار هذه المهمة استطاع الباحث استنتاج عدة نتائج

فنقول عنه أنه قد فكّر وظفر والعكس ، لذلك فإن الفكر إذا لم يتم العمل به في منفعة علمية للفرد والمجتمع ، فإن المؤدى - عند تعطيل الفكر - إلى الإرهاب ، وهنا تكمن أهمية الفكر .

٦ - تقف وراء بناء كيان الفرد وتحديد مساره في الحياة عدة عوامل جوهرية أساسية ، كالأسرة والمجتمع والسياسة ، فأى خلل في موازين هذه العوامل ستعكس سلباً على الفرد وينحرف عن جادة الصواب ، ولا يتورع عن ممارسة الجرائم ، لا سيما الإرهاب الفكري .

٧ - القرآن الكريم الملجأ الوحيد لحل كل ما يعترى البشرية من مشاكل والتي يقف العقل البشري متحيراً عن إيجاد الحلول والعلاج لها ، فالإرهاب الفكري لا حل له ولا علاج إلا في القرآن الكريم ، فقد وضع برنامجاً متكاملاً للقضاء عليه ، وقد تمثلت بالجانب الوقائي ، والجانب العلاجي ثم الجانب الإجرائي .

وهذه الجوانب الثلاثة لا نجد لها في أية ديانة أخرى أو أية قوانين وضعية .

المصادر والمراجع :

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم
- ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد (٥٦٦هـ) / شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام) تحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية - عيسى ألبابي الحلبي و شركاه (د ، ت) .
- إبراهيم مصطفى و آخرون / المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة دار الدعوة (د ، ت)
- إبراهيم بن مبارك الجوير / اثر تطبيق الشريعة الاسلامية في حل المشكلات الاجتماعية ، مكتبة العبيكان ، السعودية - الرياض ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- أسد حيدر / الإمام الصادق (عليه السلام) و المذاهب الأربعة ، دار الكتاب الإسلامي ، أسوة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- سامي علي عواد / الإرهاب المعاصر ، ، نشر المكتب العربي الحديث (الازارطة - ٢٠١٠ م) ، ط الأولى .
- محمد صنفور علي / أساسيات المنطق ، دار جواد الأئمة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٥ - ٢٠١٣م .
- مركز الرسالة / الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، قم - إيران ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- مرجع موسوعة القانون الدولي العام (قانون مكافحة الإرهاب الدولي) المحامي

- الخامنئي: علي /مقدسات تأسيسية في مقولتي الغزو الثقافي و التبادل الثقافي، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت/لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- الخطيب: عبد الكريم يونس الخطيب (بعد ١٣٩٠هـ) /القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥م.

- الخشن: حسين احمد/العقل التفكير، قراءة في المنهج الإقصائي، المركز الإسلامي الثقافي، مجمع الامامين الحسنين (عليه السلام) (د، ت).

- الرازي: محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ) /التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- الراغب الأصفهاني: الحسن بن محمد (ت: ٥٠٢هـ) /المفردات، تحقق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

- السبحاني: جعفر /الأمثال في القرآن، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، اعتماد - قم، ط ١، ١٤٢٠هـ.

- أسقارة: منقذ بن محمود/الحوار من إتباع الأديان مشروعياته و آدابه، رابطة العالم الإسلامي، (د. ت).

- السيد قطب إبراهيم حسين /في ظلال القرآن، دار دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ.

- شوقي أبو خليل /الحوار دائما، دار الفكر

محمد نعيم علّوة، منشورات زين الحقوقية، مركز الشرق الأوسط الثقافي (بيروت - ٢٠١٢ م)، ط الأولى.

- قطب الدين البيهقي الكيدري /إصباح الشيعة بمصاييح الشريعة، تح: إبراهيم البهادري، مطبعة اعتماد، قم - إيران، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- البحراني: عبد الله /العوالم: الإمام الحسين (عليه السلام)، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) في الحوزة العلمية - قم المقدسة، أمير، ط ١، ١٤٠٧هـ. ق، ١٣٦٥هـ. ش.

- بحر العلوم: حسن عز الدين /مجتمع اللاعنف، دار الزهراء، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- التسخير: محمد علي /مقدمة كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة للشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) (د. ت).

- علي بن محمد الجرجاني /التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- حامد حنفي داوود/ نظرات في الكتب الخالدة، دار العلم، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الحيدري: محسن /الإرهاب و العنف في ضوء القرآن و السنة و التاريخ و الفقه المقارنة، تقديم: جعفر السبحاني، دار الولاء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

مجمع الإمامين الحسينين عليه السلام لبنان، ط ١،
٢٠١٣/٥١٤٣٤ م.

- الفراهيدي: الخليل بن احمد (٥١٧٥)
/ العين، تحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم
السامرائي، مكتبة الهلال، (د. ت.)

- فلمبان: هلال / دور الحوار التربوي في
وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، مركز الملك
عبد العزيز للحوار الوطني - الرياض
٢٠٠٨/٥١٤٢٩ م.

- محمد صادق عفيفي / الفكر الإسلامي،،
مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، د. ت.

- قانون مكافحة الإرهاب العراقي رقم
(١٣) لسنة ٢٠٠٥ م المادة الأولى.

- التراي / قضايا الفكر، معهد البحوث و
الدراسات الاجتماعية، ط ٢، ١٩٩٥ - ٥١٤٢٦ م.

- الكليني: محمد بن يعقوب (٥٣٢٩)
/ الكافي، تحقق: علي أكبر غفاري، دار الكتب
الاسلامية - طهران، ط ٤، ١٣٦٥ هـ. ش.

- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور
الإفريقي / لسان العرب، تحقيق: د. يوسف
ألبقاعي، إبراهيم شمي الدين، نضال علي الدار
المتوسطة للتوزيع والنشر.

- المدرسي: محمد تقي / التاريخ الإسلامي
دروس وعبر، دار النشر المدرسي، ط ٧، (د. ت.)

- المظفر: محمد رضا (٥١٣٨٨) / المنطق،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق
سورية، العلمية بدمشق، ط ٣، ١٩٩٦/٥١٤١٦ م.

- الصفار: حسن موسى / التعددية و الحرية
في الإسلام، ط ٢، ٢٠٠٩/٥١٤٣٠ م.

- الضليمي: احمد بن عبد الفتاح / السؤال
في القرآن الكريم، وأثره في التربية و التعليم،
الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ط ٣٣ -
العدد ١١١، ٢٠٠١/٥١٤٢١ م.

- الطباطبائي: محمد حسين (٥١٤١٢)
/ الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة
المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة،
(د. ت.)

- الطباطبائي / قضايا المجتمع و الأسرة،
دار الصفوة، (د. ت.)

- الطريحي: فخر الدين (ت: ٥١٠٨٥)
/ مجمع البحرين، تحقق: السيد احمد
الحسيني، مكتب النشر للثقافة الإسلامية،
ط ٢، ١٤٠٨/٥١٣٦٧ هـ. ش.

- العقاد: عباس محمود / التفكير فريضة
إسلامية، نهضة مصر، (د. ت.)

- عاطف السيد / التربية الإسلامية،
أصولها، ومنهجها - ومعلمها، (د. ت.)

- ابن فارس: احمد بن زكريا (٥٣٩٥)
/ معجم مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام
محمود هارون، دار الفكر، ١٩٧٩/٥١٣٩٩ م.

- فضل الله: محمد حسين / العقل قي
القران الكريم، المركز الإسلامي الثقافي،

- (٤٨-٧٥)، ٢٠٠٦م.
- ألهرفي: عبد الرحمن / التفكك الأسري، مؤسسة ملتقى الخطباء، (د. ت).
- يوسف علي فرحات / الحوار أصوله و ضوابطه و أثره في الدعوة الإسلامية، مركز العلم و الثقافة. غزة ٢٠٠٦م.
- إيمان شمس الدين / الإرهاب الفكري و أدواته، جريدة القبس الكويتية، العدد: ٤، ١٤٩٥، ٢٠١٣م.
- رفيف الفارس / الإرهاب الفكري. مفاهيم عامة و حلول أولية، الورقة التي شاركت بها ملتقى فيض الثقافي في مركز الثقافي البغدادي - العراق، نيابة عن مؤسسة النور بثقافة و الأعلام - السويد ٢٠١٤م.
- المصلح: عبد الله بن عبد العزيز / أسس التعايش السلمي ومرتكزاته، بحث مقدم إلى ندوة (التعايش السلمي في الإسلام) الدولية، بجمهورية سيرلانكا، ١٤٣٧م.
- صلال: عبد الرزاق رحيم / الأصول الدينية للتعايش الإنساني، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤٢٩/٥/٢٠٠٨م.
- قلعة: ميساء كامل / البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) رسالة ماجستير مقدمة / كلية أصول الدين / الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٠/٥/٢٠٠٩م.
- اللهيب: جواهر بنت محمد / الاتصال

- المدرسين، قم المقدسة، (د. ت)
- منقذ بن محمود أسقارة / الحوار من إتباع الأديان مشروعيته و آدابه، رابطته العالم الإسلامي (د. ت).
- محسن وهيب عبد / أيديولوجية الإرهاب وموقف الإسلام منه، دار الفراهيدي، بغداد، شبكة الإعلام العراقي، سلسلة (العراقية تطبع)، ٢٠١٤م.
- مجموعة أساتذة و باحثين / تربية الطفل في الإسلام. مركز الرسالة. قم. إيران، مهر. ط ١، ١٤١٨هـ.
- أبي الحين علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي المعروف بابن سيدة / المحكم و المحيط الأعظم،، تح، د. عبد الحميد ألهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د - ط، د - ت.
- جميل صليبا / المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، د - ط، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- إبراهيم حسين سرور / المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية، دار الهادي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩/٥/٢٠٠٨م.
- عباس القمي / منازل الآخرة، الموت والبرزخ والمعاد، دار المرتضى، بيروت - لبنان ١٤٣١/٥/٢٠١٠م.
- النابلسي: محمود راتب / مفهوم التعايش السلمي من دروس (فقه السيرة النبوية) الدرس

التعليمي الجماهيري و دوره في مواجهة ظاهرة
الإرهاب ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الكلية
التربيه/جامعة أم القرى ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
المواقع الالكترونية :-
الخشن : السيد احمد ، الصفحة الرسمية :
[http www . alkhechin . com](http://www.alkhechin.com)

الهوامش:

- ١- الكافي ، الكليني ، ١ ، ١٠
- ٢- سورة فاطر : ٢٤
- ٣- سورة الأنعام : ١٥٣
- ٤- مجتمع اللاعنف ، حسن بحر العلوم ، ٢٧٥
- ٥- مجتمع اللاعنف ، حسن بحر العلوم ، ٢٧٥
- ٦- لسان العرب ، ابن منظور ، ١ ، ١٥٩٥ .
- ٧- كتاب العين ، الفراهيدي ، ٤ ، ٤٧ .
- ٨- كتاب العين ، الفراهيدي ، ٤ ، ٤٧ .
- ٩- لسان العرب ، ١ ، ١٥٩٦ .
- ١٠- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الاصفهاني ، ٣٦٦ .
- ١١- الإرهاب المعاصر ، سامي علي عواد ، ١٩ .
- ١٢- الإرهاب المعاصر ، سامي علي عواد ، ٢٠ .
- ١٣- الإرهاب المعاصر ، سامي علي عواد ، ٢٤ .
- ١٤- قانون مكافحة الإرهاب العراقي رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ م المادة الأولى .
- ١٥- ينظر : الإرهاب المعاصر ، سامي علي عواد ، ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ .
- ١٦- الإرهاب المعاصر ، سامي علي عواد ، ١٩ .
- ١٧- مرجع موسوعة القانون الدولي العام (قانون مكافحة الإرهاب الدولي) المحامي محمد نعيم علّوة ، ١٠ ، ٩٦
- ١٨- العين ، الفراهيدي ، ٥ ، ٣٥٨
- ١٩- معجم مقاييس اللغة ، ٤ ، ٤٤٦
- ٢٠- المحكم والمحيط الأعظم ، ٧ ، فصل الفاء
- ٢١- القاموس المحيط ، مادة فكر
- ٢٢- إبراهيم مصطفى وآخرون ، ٢ ، ٣١٠
- ٢٣- التعريفات ، ١٥٧
- ٢٤- مجمع البحرين ، الطريحي ، ٣ ، ٤٤٤
- ٢٥- ظ : جميل صليبا ، ١ ، ٣١٧
- ٢٦- المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية ، إبراهيم حسين سرور ، ٤٢٨
- ٢٧- المنطق ، المظفر ، ٢٤

- ٢٨- ظ : المنطق ، المظفر ، ٢٦ ، أساسيات المنطق ، محمد صنقور ، ١٦
- ٢٩- قضايا الفكر ، التراي ، ٨٠
- ٣٠- الفكر الإسلامي ، محمد صادق عفيفي ، ١٢
- ٣١- سورة النحل : ١٢٥
- ٣٢- منازل الآخرة والمطالب الفاخرة ، ٩٦
- ٣٣- ظ : أصباح الشيعة بمصباح الشريعة ، البيهقي ، ٤ ، منازل الآخرة ، ٩٦
- ٣٤- قضايا المجتمع والأسرة ، ٦٣
- ٣٥- مجتمع اللاعنف ، ٢٧٩ - ٢٨٠
- ٣٦- تربية الطفل في الإسلام ، مجموعة باحثين ، ٧
- ٣٧- الاتصال التعليمي الجماهيري ودوره في مواجهة ظاهرة الإرهاب الفكري ، أللهبي ، ٧٧
- ٣٨- ظ : تربية الطفل في الإسلام ، سيما راتب ، ١١٧
- ٣٩- التفكك الأسري ، عبد الرحمن الهرفي ، ١٤١
- ٤٠- دور الحوار التربوي ، فليمان ، ١٣٥
- ٤١- نظرات في الكتب الخالدة ، حامد حفني داوود ، ١٠٣
- ٤٢- أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية ، إبراهيم بن مبارك الجوير ، ٩
- ٤٣- دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد خطاب العقيلة زينب (ع) أنموذجاً ، نبيل الحسيني ، ٤٢ - ٤٣
- ٤٤- العقل التكفيري ، قراءة في المنهج الإقصائي ، ٣١٤ - ٣١٥
- ٤٥- الإمام الصادق (عليه السلام) والمذاهب الأربعة ، ٧ ، ١٥
- ٤٦- الإرهاب الفكري ، رفيف الفارس ، ورقة شاركت بها في ملتقى فيض الثقافي في المركز الثقافي البغدادي - العراق .
- ٤٧- ظ : الإرهاب الفكري وأدواته ، إيمان شمس الدين ، جريدة القبس الكويتية ، العدد ٤ ، ٢٠١٣م
- ٤٨- ظ : مقدمات تأسيسية في مقولتي الغزو الثقافي والتبادل الثقافي ، علي الخامنئي ، ٦ - ٨
- ٤٩- التاريخ الإسلامي دروس وعبر ، المدرسي ، ٣٨٤
- ٥٠- الإمام الحسين (عليه السلام) ، عبد الله البجراني ، ٢٣٤
- ٥١- التفكير فريضة إسلامية ، العقاد ، ٤
- ٥٢- البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، ميساء كمال ، ١٩
- ٥٣- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٢٥٦٨
- ٥٤- الأمثال في القرآن ، السبحاني ، ١٦
- ٥٥- سورة النور : ٣٥
- ٥٦- التفسير الكبير ، الرازي ، ١٩ ، ١٢١
- ٥٧- سورة الحج : ٧٣

- ٥٨- العقل في القرآن الكريم ، ١٢ - ١٣
- ٥٩- التربية الإسلامية ، أصولها ، ومنهجها ، ومعلمها ، عاطف السيد ، ٦٣
- ٦٠- القصص القرآني في منطقته ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، ٨
- ٦١- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم ، أحمد بن عبد الفتاح ، ٢٦٤
- ٦٢- سورة البقرة : ١٠٨
- ٦٣- ظ : السؤال في القرآن الكريم ، أحمد بن عبد الفتاح ، ٢٩١
- ٦٤- سورة الروم : ٦١
- ٦٥- سورة النحل : ٤
- ٦٦- سورة يونس : ٩٤
- ٦٧- أيديولوجية الإرهاب وموقف الإسلام منه ، محسن وهيب ، ١٨٨
- ٦٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مجموعة باحثين ، ٥٧
- ٦٩- ظ : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ٢ ، ١١٥
- ٧٠- ظ : الحوار أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية ، يوسف علي فرحات ، ٣
- ٧١- الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه ، منقذ بن محمود ، ٨
- ٧٢- سورة الكهف : ٣٧
- ٧٣- الحوار دائما ، شوقي أبو خليل ، ٦
- ٧٤- المجمع العالمي للوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية ، طهران ، ٢٨
- يناير ٢٠١٥م
- ٧٥- سورة الأنبياء : ٩٢
- ٧٦- مقدمة كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة للشيخ جعفر السبحاني ، التسخير ، ١
- ٧٧- التعددية والحرية في الإسلام ، الصفار ، ١٢٥
- ٧٨- سورة آل عمران : ١٠٣
- ٧٩- سورة الحجرات : ١٠
- ٨٠- سورة المائدة : ٢
- ٨١- سورة آل عمران : ١٠٥
- ٨٢- سورة الأنفال : ٤٦
- ٨٣- سورة آل عمران : ١٠٤
- ٨٤- سورة التوبة : ٧١
- ٨٥- مجتمع اللاعنف ، بحر العلوم
- ٨٦- الأصول الدينية للتعايش الإنساني في الأديان السماوية ، صلال ، ٨
- ٨٧- أسس التعايش السلمي ومرتكزاته ، عبد الله بن عبد العزيز ، ٣
- ٨٨- ظ : المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، ١ ، ٤٤٦

- ٨٩- سورة يونس : ٢٥
٩٠- سورة البقرة : ٢٠٨
٩١- مفهوم التعايش السلمي من دروس (فقه السيرة النبوية) الدرس ٤٨ - ٧٥ ، محمود راتب النابلسي ، ١
٩٢- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ١٧ ، ٣٢
٩٣- سورة يونس : ٢٥
٩٤- مجتمع اللاعنف ، بحر العلوم ، ٣١٧
٩٥- الإرهاب والعنف في ضوء القرآن والسنة والتاريخ والفقه المقارن ، الحيدري ، ٢ ، ١٨٩
٩٦- حسين الخشن ، الصفحة الرسمية ، أنترنت
٩٧- سورة الممتحنة : ٩
٩٨- سورة آل عمران : ١٤٩
٩٩- سورة هود : ١١٣
١٠٠- سورة الأنفال : ٦٠
١٠١- أيديولوجية الإرهاب وموقف الإسلام منه ، محسن وهيب ، ٢١٢
١٠٢- سورة الأنفال : ٦١
١٠٣- سورة البقرة : ١١ - ١٢
١٠٤- الإرهاب والعنف ، الحيدري ، ٢ ، ٩
١٠٥- سورة التوبة : ٧٣
١٠٦- سورة التوبة : ١٢٣
١٠٧- الميزان ، الطباطبائي ، ٩ ، ٣٣٩
١٠٨- سورة البقرة : ١٩٤
١٠٩- سورة القرة : ١٩٠
١١٠- سورة التوبة : ١٢
١١١- مجتمع اللاعنف ، بحر العلوم ، ٣٣٣

أ. م. د إقبال وفيه نجم
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التغريب الثقافي والتخريب الفكري للشباب المسلم (الأساليب والمواجهة)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

اتخذت الحرب على الإسلام في العقود الأخيرة أشكالاً تختلف عما كانت عليه سابقاً إذ لم تعد حرباً تقليدية تعتمد على المواجهة العسكرية أو حتى حرباً إعلامية مباشرة بالقلم أو الصورة الكاريكاتيرية أو الفلم السينمائي وغيرها - وإن كانت الأخيرة في مرحلة ما جزءاً من الهجمة الشرسة على الإسلام ورموزه - إلا أن التطور التكنولوجي وخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي أفرز أشكالاً أخرى غير مباشرة وليست واضحة المعالم بل خفية تستهدف العقول وخاصة الشباب فهم الفئة الأكثر استهدافاً، كي تخلق فجوة كبيرة وحاجزاً بينهم وبين موروثهم الفكري والحضاري والديني بما يضمن إنسلاخهم عن مجتمعهم وخلق حالة من الضعف الذاتي وتخريب المناعة الفكرية والعقائدية للإستمرار بالسيطرة على الشعوب وإمكاناتها .

ناعمة غير مرئية حتى ينشأ جيل منبهر
بالثقافة الغربية ومتأثر بها وتابع لها .

يتضمن البحث مبحثين :

الأول : وسائل وأدوات التغريب الثقافي
والتخريب الفكري .

الثاني : أساليب مواجهه التغريب الثقافي
والتخريب الفكري (المعالجة والحلول) .

وهذه الحرب صيغة جديدة من صيغ
الاستعمار بإسلوب جديد ، أي لا يستهدف
الأرض بل عقول الناشئة وتخريبها فكرياً
وتغريبها ثقافياً مما يجعل من النمط الغربي
وثقافته أنموذجاً يحتذى به بكل تفاصيل
حياته ، تفكيره ، أسلوب معيشته ، لغته بل
وحتى لباسه وأزيائه لسلخ الشباب المسلم
من محيطهم وثقافتهم وإلغاء الخصوصية
الإسلامية من خلال هدم البنى الثقافية
وتخريب عقائدهم بوسائل شتى وأساليب

التمهيد: تعريف التغريب الثقافي والتخريب الفكري

الغربة: البعد عن الوطن، والتغريب: الإبعاد عن الوطن^(١).

والتخريب: الهدم، والمراد به ما يخربه الملوك من العمران وتعمره من الخراب شهوة لا إصلاحاً ويدخل فيه كل ما يعمله المترفون من تخريب المساكن العامة لغير ضرورة وإنشاء عمارتها^(٥).

التغريب: البُعد، وأغرب الرجل: صار غريباً^(٢).

والمراد بالتخريب: هو إضافة أو حذف أو تغيير في الأمر، مادياً كان أم معنوياً على نحو الإفساد.

وغرب عن وطنه: ابتعد عنه، وأغرب الرجل: جاء بالشيء الغريب، وتغرب: نزح عن الوطن^(٣).

فالتغريب الثقافي: هو إحلال ثقافة أجنبية محل الثقافة الأصلية لمجتمع ما يرافق ذلك من مظاهر التغيير والتبدل وهو: (حالات من التعلق والانبهار والاعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم

والمراد بالتغريب: إبعاد المرء عن وطنه بالمعنى المادي والمعنوي إبعاده عن حضارته وثقافته فيتبع ثقافة أخرى حتى يُصبح غريباً عن وطنه.

أما التخريب:

(الحاء والراء والباء) : أصل يدل على التثلم والتثقب، والخراب: ضد العماره^(٤).

من أنماط الحروب على الشعوب حل محلّ المواجهة العسكرية أو الحرب النفسية المباشرة بل تحول الى سلاح صامت أو حرب ناعمة غير مرئية ولا محسوسة لا تدرك آثارها في حينها بل بعد أن تحقق أهدافها وبأدوات عدة: (فالأسلحة الصامتة تطلق وتحدد المواقف بدلاً من إطلاق الرصاص فتقوم بمعالجة المعلومات بدلاً من التفاعلات الكيميائية، ويستخدم الحاسوب بدلاً من البندقية، ويتحكم بها مبرمج الحاسوب بدلاً من حامل البندقية وتخضع للأوامر المصرفية بدلاً من العسكرية)^(٧).

يسعى النظام العالمي المتمثل بالقطب الأوحد الى فرض القيم الثقافية الغربية باعتبارها القيم العالمية والانسانية وهذه بدورها ترتبط بمنظومات أخرى ذات أبعاد لا تنفصل عنها منها: (البعد السياسي المتمثل بالتحويلات الديمقراطية ونشر الديمقراطية وحقوق الانسان ضمن منظومة القيم السياسية كما ترتبط بالبعد الاقتصادي المتمثل بتحرير التجارة العالمية وحركة رؤوس الأموال ضمن منظومة القيم الاقتصادية ومنها البعد الأمني والعسكري المتمثل في منع انتشار أسلحة الدمار

الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غريباً في ميوله وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة ينظر الى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار ويرى الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدم جماعته أو أمته الإسلامية^(٦).

فالتغريب الثقافي في حقيقته نقل للثقافة الغربية وحضارتها بكل سلوكياتها وأفكارها الى العالم الإسلامي لتنافس الحضارة الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً في قلوب المسلمين وعقولهم بل لتحل محلها عند بعضهم أما بشكل مباشر أو غير مباشر بأيدي إسلامية تربت على المنهج الغربي المخالف للإسلام.

هذا الخطر الذي يواجه المسلمين هو أخطر من الهجمات العسكرية على مر التاريخ ولعل أحد دواعي هذا التغريب انبهار بعض المسلمين بما قدمته الحضارة الغربية من تقدم علمي حتى تحول هذا الانبهار الى ضعف نفسي وهزيمة داخلية جعلتهم يتقبلون كل ما يُمليه الغرب ويتبعونه اتباعاً اعمى تقليداً لهم وسيراً على نهجهم.

تعد الهجمة الثقافية الغربية نمطاً جديداً

الشامل ومكافحة الإرهاب^(٨) .

وتأتي المنظومة الثقافية مرتبطة مع كل تلك المنظومات لتشكل منظومة ثقافية عالمية يفرضها الغرب في إطار ما يسمى بالعولمة ومحاولة فرض نتاج فكر بشري ومذهبي واقتصادي من أجل السيطرة على الشعوب واستمرار بقائها تحت نفوذها .

ولا يخفى ما للتخريب الفكري من علاقة وثيقة بالتغريب الثقافي إذ يستهدف التغريب الثقافي تخريب عقول أبناء الشعوب الأخرى بفرض الثقافة الغربية ولكم بأسلوب جاذب للشباب وليس بالقوة حتى يصبح متقبلاً لكل

ما يُقدم له لتصل به الى الحاجة من النفور من عقيدته وثقافته وحضارته وتفصله عنها بخلق فجوة كبيرة بين ما تفرضه عليه من مفاهيم وقيم وسلوكيات بل تشمل اسلوب حياته حتى مأكله وملبسه ولغته وتعليمه ... الخ ، وبين مجتمعه فتفصله عن انتمائه الديني والقومي والحضاري وتجعله يتبنى القيم والافكار والسلوكيات الغربية بكل ما فيها .

المبحث الأول: وسائل وأدوات التغريب الثقافي والتخريب الفكري

ثقافات كل شعوب العالم ، وهنا يأتي دور المؤسسات الاعلامية الغربية التي تسيطر على انتاج البرامج في انحاء العالم بشكل مباشر وغير مباشر من خلال الهيمنة على اعلام أكثر الدول لتسيير في ركايبها من خلال ما تنتجه من برامج وتبثه عبر الفضائيات إذ تستحوذ المؤسسات الاعلامية الامريكية على النصيب الاكبر في هذا المجال فتبث ثقافتها وسمومها من خلاله . فعلى سبيل المثال : (مؤسسة ورثر الامريكية وهي من المؤسسات الكبرى وتضم أنشطة اعلامية متعددة كالمجلات ودور النشر والشبكات التلفزيونية الضخمة وشركات انتاج الافلام ومكتبات الافلام والبرامج التلفزيونية

تتعدد وسائل وأدوات التغريب الثقافي وتأخذ أشكالاً مختلفة وقد أسهمت التكنولوجيا الحديثة في خدمة أهداف التغريب بشكل كبير ومن هذه الوسائل :

أولاً : وسائل الإعلام :

مما لا شك فيه أن للاعلام دوراً كبيراً ومؤثراً في حياة المجتمع فهو إحدى وسائل نقل المعلومات وتبادل الأفكار وهو الميدان الأوسع والأكثر انتشاراً والأسرع تأثيراً ، وفي ظل الانفتاح الثقافي الذي أوجدته التقنيات الحديثة كالاقمار الصناعية واجهزة الاستقبال (الستلايت) التي انتشرت في كل انحاء العالم أصبح بالامكان الاطلاع على

والقنوات الفضائية^(٩) وهي تسيطر على نسبة كبيرة من الانتاج ابتداء من أفلام الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال وانتهاء بالبرامج السياسية والوثائقية وغيرها .

وكذلك مؤسسة (والت ديزني) التي تمتلك استديوهات ضخمة وشبكات تلفزيونية مثل شبكة **abc** وقنوات فضائية ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم وغيرها من الشركات وهذه كلها مملوكة لرؤوس اموال امريكية ويهودية تشرف على انتاجها الفني^(١٠) وهي تقريباً المسيطرة على أكبر نسبة انتاج برامجي وتلفزيوني وسينمائي حول العالم .

وتتخذ الهجمة الثقافية اشكالا عدة في عملية التغريب الثقافي وبث السموم ونشر الرذائل بالتركيز على الغرائز وتحويل الانسان الى مجرد جسد يسعى لاشباعه ، وتجميل السلوك المنحرف تحت عناوين شتى .

ومن ضمن البرامج التي توظف في خدمة تلك الأهداف :

أ - انتاج الأفلام والمسلسلات المشبعة بالثقافات والسلوكيات الغربية وعرضها بشكل مبهر ورصد ميزانيات ضخمة لذلك لكي

تجذب الأنظار اليها وتشد المشاهد وتبث من خلالها رسائل واضحة لافكار تخريبية أو لنشر الرذائل والقيم الااخلاقية وشد الشباب والمراهقين لها واحلال القيم الغربية محل القيم الاسلامية والعربية ، حتى تصبح هذه الثقافة والقيم هي النموذج الذي يُحتذى به فيما بعد .

ب - اشاعة البرامج والمسابقات الخالية المضمون وباسلوب مبهر وجذاب لشد الشباب كمسابقات الغناء وعروض الازياء وغيرها وهي تستهدف هذه الشريحة لأنهم الأسرع لتلقي الأفكار والتأثر بها وإضفاء صفات البطولة أو العبقرية على الفائزين فيها من المشاركين لخلق نوع من الحماس عندهم لتقليدهم واشغالهم بما لا طائل منه خاصة ان لم تكن عندهم الحصانة الدينية والفكرية والثقافية التي تردعهم عن تقبل هذه الأفكار واشغالهم بما لا جدوى فيه ولا طائل منه بل يعود عليهم بالإثم وضياح الوقت فيما لا ينفع لانشغالهم بمتابعة هذه المسابقات ومعرفة نتائجها ومن ثم تقليدها .

ج - انتاج البرامج الحوارية التي تأخذ طابع المناقشات العلمية واستضافة شخصيات ذات طابع ديني أو ثقافي أو

والأهداف واحدة، فالفضائيات في الدول العربية أو الإسلامية أما ذات طابع ديني متعصب تبث الفرقة والشحن الطائفي بين المسلمين أنفسهم وتحرض الشباب وتزجهم في معارك ما بين المسلمين أنفسهم، أو فضائيات ذات طابع فني مبتذل يخضع للأهداف الغربية^(١١).

كما تسعى وسائل الإعلام لتشويه الإسلام وإظهاره بمظهر التخلف والانحطاط الفكري والتقاط الصور والنماذج الشاذة السيئة في المجتمع الإسلامي وطرحها على أساس أنها تمثل الإسلام للتشكيك في الدين والعقيدة.

د - تقدم وسائل الإعلام الغربية النمط الغربي للشخصية البطلة الذي يلعب دور المنقذ المتمتع بقدرات ومهارات خارقة باعتباره النموذج المحتذى الذي يقلده الشباب والمراهقون كأفلام الأكشن، والسوبر مان، والباشمان وغيرها والتي هي موضع اهتمام ومتابعة من قبل هذه الفئة على وجه الخصوص.

هـ - وقد تسلط الأضواء على البرامج الرياضية التي تأخذ مساحات واسعة من البث الفضائي وتشغل أوقات الشباب بمتابعة

سياسي واختيار الموضوعات ذات الجدل التاريخي أو الديني أو السياسي أو الأخلاقي وفتح باب المناقشة والمجادلة أو المشاركة عبر الاتصالات الهاتفية وغالباً تهدف هذه الحوارات الى توسيع شقة الخلافات بين أبناء المسلمين أو إثارة الشبهات الدينية أو التاريخية وإشغال أطراف متعددة في الأخذ والرد وتخرج أحياناً عن إطار الاعلام الهادئ الرصين لتنتهي بتكفير بعضهم بعضاً أو بشتن متبادل بين الأطراف حتى ليصبح البرنامج أشبه بحلبة مصارعة أو ساحة حرب توغر صدور المشاهدين وتشتت أفكارهم وتلهب المشاعر العنصرية أو الطائفية أو المذهبية أو غيرها، وتحرض على العنف دون أن تقدم إعلاماً نافعاً.

وفي المقابل لا يكاد الإعلام العربي أو الإسلامي بكل ما أوتي من امكانات مادية أو وفرة في عدد الفضائيات التي تبث برامجها وهي لا تكاد تؤثر تأثيراً إيجابياً بل على العكس فهي إما صدى لتلك المؤسسات الغربية، وسائرة في ركايتها بل هي جزء من منظومتها إذ أن كل البرامج تأتي مستوردة منها أو تستنسخ برامج مطابقة تماماً للبرامج الأمريكية بلغة محلية لكن المضمون

بقيمها مؤمن بأنها الانموذج الأمثل ،
فينفصل بذلك عن قيمه وثقافته ودينه حتى
أن بعض الاحصائيات أشارت الى مدى تأثير
الشخصيات الكارتونية (كسبونج بوب ،
سندرا ، علاء الدين) في نفوس الأطفال
خاصة وأنهم يعرضونها بشكل محب وقادر
على التأثير في عقولهم فيثبون رسائل سلبية
يتلقاها هذا الجيل دون وعي أو انتباه^(١٣)

كالانحراف الأخلاقي ، أو بث رسائل العنف
والتحريض العنصري والحضاري كوصف
الثقافة العربية بالبربرية .

والملاحظ ان حتى الأغاني التي
تتضمنها هذه الأفلام ذات مضامين تصب
في الاتجاه نفسه لتحقيق الأهداف المرجوة
منها^(١٤) .

والخلاصة : ان هذه البرامج أصبحت من
وسائل الغزو الثقافي وهو ما أشار اليه ادوارد
سعيد من : (ان تطبيق علم النفس وآلية
عمل المؤسسات الغربية على المواقف
الآسيوية أو العربية تنتمي الى عالم والت
ديزني)^(١٥) .

وسائل التواصل الاجتماعي :

تكاد تكون هذه الوسائل الاكثر مرغوبة

المباريات سواء أكانت محلية أو عالمية على
مستوى دول العالم وفرقها الرياضية وابرار
صور البطل الرياضي وعرضه كانموذج
يقتدي به الشباب في مظهره وشكله فتملاً
وسائل الإعلام صوره وأخباره وحياته
الشخصية وان كان منحرفاً أخلاقياً وهذا
الأمر لم يكن ليأتي صدفة بل مخطط له
بشكل مدروس .

و - تأخذ أفلام الرسوم المتحركة جانباً آخر
في الهجمة الثقافية والتغريب فلم تعد وسيلة
للترفيه البريء الموجه للأطفال تعرض ما
يتناسب مع طفولتهم خاصة ان منتجي هذه
الأفلام تقف وراءهم شركات الانتاج في
هوليوود التي تمولها رؤوس الأموال اليهودية
ولأن هذه الفئة العمرية سريعة التأثر والتلقي
ففي الحديث : (قلب الحدث كالأرض
الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته)^(١٦)
نجد أن تأثيرها في نفوس الأطفال كبير
جداً .

وتُعدُّ الرسوم المتحركة بشكل يجعل منها
أداة قادرة على الترويج للثقافة الغربية وغرس
القيم والاخلاقيات المراد إيصالها للناشئة
فإذا زرعت هذه القيم في نفوسهم ستتأصل
فيهم وسينشأ في المستقبل شباب متشبع

الحصانة الفكرية والدينية للشباب من جانب آخر فتح الباب على مصراعيه لتلقي الثقافة الغربية بكل ما فيها، ولا شك: (ان التواصل وتبادل الخبرات الحياتية مع الثقافات الاخرى يتطلب منهجاً كاملاً وشاملاً للأنماط الاتصالية في دولة ما من اجل تحقيق الألفة مع اللغة والعناصر الثقافية الاخرى حتى يمكن ان يحدث التكيف مع الآخرين في هذه الدول الاخرى)^(١٧) ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار الخصوصية الثقافية للشباب المسلم وأهمية الحفاظ على الهوية الاسلامية واليقظة والدقة في التعامل مع ما تبثه هذه الوسائل وعدم الأخذ به أخذ المسلمات.

ولو تتبعنا الكم الهائل من المعلومات التي تُبث لاذهلتنا الاحصائيات التي نشرت في هذا المجال ففي احدى الدراسات العلمية اتضح أنه في الثانية الواحدة تبث بالشكل التالي:

- مشاهد الفيديو بما يعادل (٣٠) ساعة تحقق مليون وثلاثمائة ألف مشاهد.

- عمليات البحث في (غوغل) تبلغ (٢) مليون عملية خلال دقيقة.

واستخداماً من قبل فئة الشباب فهي وسائل سريعة وسهلة لتلقي المعلومات والافكار وبامكانهم التواصل مع أي جهة أو طرف في أي زمان ومكان وأصبحت متاحة للجميع وعلى نطاق واسع تدخل البيوت دون استئذان فتنتقل المعلومات بالسرعة القصوى بين أنحاء العالم ولا شك أنها تنقل الغث والسمين في وقت واحد بل ان نسبة ما ينشر من أفكار وآراء منحرفة أكثر من استخدام هذه الادوات فيما ينفع.

(فهي تضع متابعيها في مجتمعات جديدة يطلق عليها بالمجتمع الافتراضي، وذلك أنهم عند اتصالهم بهذه الشبكة فانهم يعيشون مع مجتمع آخر، تارة يكون مجتمعاً رياضياً، وآخر مجتمعاً مليئاً بالعصابات والاجرام، وتارة أخرى مع العائلات الغربية في هوليوود أو فرق موسيقى الروك ناهيك عن المجتمعات الاباحية وجميعهم داخل حجرهم ومنازلهم وبذلك يصبح للمراهق مجتمعان، مجتمعه المسلم المحافظ ومجتمعه الكوني الافتراضي الذي يتعدد بدوره الى مجتمعات أخرى)^(٢٦)

ان الاستخدام غير الصحيح لوسائل التواصل الاجتماعي من جانب وعدم وجود

مناطق بعيدة دون الاضطرار الى السفر اليها
الا انها في الجانب الآخر ذات تاثير سلبي
كبير خاصة ان لم يحسن الشباب
استخدامها وتوظيفها بشكل صحيح فيعود
ضررها اكبر من نفعها .

ومن جملة الاثار السلبية التي افرزتها
هذه التقنية بل كانت الوسيلة الأفضل في
عملية التغريب الثقافي للشباب من خلال ما
يطرح عبرها من أفكار ومفاهيم أو ثقافات
مستوردة تتنافى مع عقائد وقيم الاسلام
واخلاقياته وتتخذ هذه الحملات التغريبية
اشكالاً واساليب شتى فيذلك منها :

١ - اثارة الشبهات حول العقائد الاسلامية
والتشكيك في الاسلام والقرآن والنبوة
وغيرها وتلقى هذه الأصوات صدًى خاصة
عند الشباب ممن ليس عنده حصانة فكرية
أو أرضية عقائدية صلبة تقف سداً منيعاً في
مواجهتها .

٢ - اثارة النعرات الدينية والمذهبية
والطائفية وخلق ثغرات بين المسلمين
وغيرهم من جانب ، وبين المسلمين أنفسهم
من جانب آخر ، بل بين ابناء المذهب الواحد
بعرض أفكار متخالفة أو الترويج لشخصيات
منحرفة متلبسة بلباس الدين وسرعة انتشار

- يسجل (الفيس بوك) ٢٧٧ مليون و
٧٠٠ ألف (دخول وبلغ عدد مستخدميه مليار
و (٣٢) ألف مستخدم في المتوسط يومياً .
— بلغت الصفحات المشاهدة (٦)
مليون .

أما (فيلكر) وهو موقع لمشاركة الصور
والفيديوهات وحفظها حيث يتم رفع (٥٠)
صورة في الثانية ، أي ما يعادل (٣٠٠٠)
صورة في الدقيقة وبلغت المشاهدات (٢٠)
مليون مرة .

أما (تويتر) فيدخله أكثر من (٣٢٠)
مستخدم جديد ويكتب ما يقارب (١٠٠) ألف
تغريدة في الدقيقة الواحدة .

بينما بلغ ما يبيعه موقع (امازون) (٨٣)
ألف دولار في الدقيقة .

وبلغ عدد الاجهزة المتصلة بالانترنت الى
ضعفي عدد سكان الأرض سنة ٢٠١٥^(١٨) .

وعلى الرغم مما وفرته شبكة المعلومات
العالمية ووسائل التواصل من ايجابيات كنشر
الثقافة ، والمعلومات وسرعة الحصول عليها
والتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة
والتقارب بينها ، وايجاد فرص عمل من
خلالها يتيسر انجاز الكثير من المهمات في

والفتيات وما ينتج عنها من العلاقات أصبحت على نطاق واسع وتأخذ غطاءً بريئاً أولاً ثم تتحول فيما بعد الى ما لا يحمد عقباه وتنتج عنه كوارث اجتماعية، ونشر السلوكيات اللااخلاقية تحت عنوان التحضر والتمدن وغرسه في نفوس وعقول الشباب.

٦ - الترويج للثقافة الاستهلاكية واشاعة النمط الاستهلاكي الغربي وتقليده بكل شيء مأكله ملبسه حتى اتخذت الازياء وسيلة من وسائل نشر الثقافة المنحرفة بما تصممه دور الازياء من ملابس تفتقر الى الهدف الاسمي من استعمالها وهو الستر: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سُوءَ اتِّكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(١٩).

فيسعى الشباب الى اقتنائها والسعي وراءها ومواكبة (الموضة) دون أن يعلم ما وراء هذا الزي الذي لا يتناسب مع قيم الاسلام وأخلاقه، فهي ما بين ملابس ممزقة أو شبه عارية تكشف ما تحتها أو تحمل عبارات مكتوبة عليها تروج لأفكار لا أخلاقية أو رموزاً وشعارات لأعداء الاسلام أو الحادية ولا يدرك لابسها ما تعنيه فيكون بذلك وسيلة لترويج الرذائل والأفكار

افكارها عبر قنوات الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل بل ان اسرائيل جندت جيشاً الكترونياً بأسماء عربية يجيدون اللغة العربية والانكليزية يدخلون هذه المواقع لإثارة الفتن والنزاعات بين المسلمين.

٣ - إلقاء شبهات أو اطروحات مشكوك فيها أو الترويج لفكرة ما لمناقشتها فتصبح منصات التواصل الاجتماعي وكأنها حلبة مصارعة بين أطراف لا تعرف بعضها بعضاً وكل يتعصب لمذهبه أو اتجاهه الفكري أو دينه دون وعي وبأساليب وردود أبعد ما تكون عن النقاش العلمي الرصين ويغيب عن هؤلاء أن وراء ذلك كله اياد تعبث بعقول الشباب وتهدد أوقاتهم فيما لا طائل فيه فضلاً عما يفرزه التعصب الديني والمذهبي من مشكلات فيما بعد كالتكفير، وقد تصل في المستقبل الى استعمال السلاح لضرب بعضهم بعضاً وقد توظف الدوائر الغربية عمالئها في تجنيد هؤلاء في المنظمات الارهابية التي تنخر جسد المجتمع المسلم.

٤ - تصنيع نجوم وهمية واضفاء هالة حولها وطرحها على انها ذات شأن وتسويقها لأهدافهم.

٥ - الاختلاط الالكتروني بين الشباب

الاحادية المنحرفة .

مع المعاصرة وهي غريبة التصميم لا تمت للحجاب الاسلامي بصلة ومخالفة للضوابط الشرعية بل أصبح الحجاب لا يعني الا مجرد غطاء للرأس وليس ثقافة وهوية تخص المرأة المسلمة .

ان : (قضية اللباس والزي ليست بسيطة أو سطحية كي يمكن أن تعدها خاضعة للذوق فحسب انها قضية ثقافتين ورؤيتين للعالم والتباين بينهما بحجم المسافة بين الارض والسماء ويتجلى هذا التباين في كافة القضايا المتصلة بالانسان ومن بينها لباسه وزيه ، ... ان تغيير اللباس لا يحدث اعتباطاً وانما هو نتيجة تغيير من نتائج تغير الثقافة وما لم ينسلخ المرء عن ثقافته لا يمكن أن ينسلخ عن زيّه وما لم ينصنع لثقافة أمة ما لا يرتدي زيها ولهذا السبب ورد في الحديث :
(٢٠) من تشبه بقوم فهو منهم) .

ثالثاً : الجامعات والمراكز الثقافية الغربية :

لا يخفى ما للتعليم من أهمية في بناء المجتمع والارتقاء به واعداد الشباب للنهوض بمستقبل الأمة وكذلك تلعب المراكز الثقافية دوراً كبيراً في توجيه الشباب

من جانب آخر تشن حملات على الحجاب الذي يمثل هوية المرأة المسلمة في حفاظها على عفتها وطهارتها وهذه الحملات وان كانت قديمة في محتواها إذ ان وسائل التواصل أسهمت في خدمة هذا الهدف والترويج له بطرح الحجاب موضوعاً للنقاش وهل هو واجب أم لا والالتفاف حول النصوص الشرعية وتفسيرها والترويج لثقافة العري وإظهار المرأة السافرة على أنها صورة للمرأة القوية الشخصية المتحررة من القيود والتي تمارس دوراً في بناء المجتمع وان خلع الحجاب حرية شخصية كما تُصوره بانه عائق ومانع من الاسهام في تطوير المجتمع وانه رمز للتخلف الثقافي والحضاري ، وهذه الدعوات قد وجدت لها صدى في نفوس الفتيات ممن ليس لديهن ثقافة اسلامية ودينية تحصنهن من التأثير بهذه الأفكار الهدامة .

وقد تأخذ الهجمة شكلاً آخر بطرح نماذج من الحجاب ما يسمى بـ (حجاب الموضة) أو (حجاب المودرن) الذي يهدف الى تشويه الحجاب الاسلامي وإفراغه من الأهداف التي فرض من أجلها بابتداع الازياء تتناسب

الجامعات بما صرح به الكاتب الأمريكي (بيتي اندرسون) في دراسة أعدها بعنوان (الجامعة الأمريكية في بيروت ، القومية العربية والتعليم الليبرالي) يكشف عن حقيقة الدور الذي سوف يلعبه هؤلاء الطلبة بقوله : (ان إعادة بناء شخصية الطالب في الجامعة على أسس ومعايير وقيم تربوية وثقافية وسياسية جديدة وصولاً الى متابعته بعد التخرج عبر جمعية متخرجي الجامعة الأمريكية ليكون هذا الطالب بمثابة السفير الأمريكي الافتراضي)^(٢٣) .

لا يخفي الفرنسيون في رسائل قناصلهم وسفرائهم التي كتبوها من لبنان الى وزارة الخارجية في باريس في القرن التاسع عشر (انهم وضعوا هدفين للمنح التي يقدمونها الى الطلاب :

الأول : أن يجعلوا لهم أتباعاً من بين العائلات التي تم اختيار ابنائها لهذه المنح .

الثاني : تحفيز الطلاب ومسؤولي المؤسسات على دراسة اللغة الفرنسية .

وان تعليم الاطفال الذين ترعاه فرنسا هو من بين السبل التي يمكن بواسطتها نشر النفوذ الفرنسي وان المنح المقدمة تسعى الى

بما تتبناه من قيم وأهداف ، وقد أنشأت مؤسسات أكاديمية في أنحاء العالم الاسلامي فظهرت الجامعة الأمريكية وفروعها في المدن الاسلامية كالقاهرة ، بيروت ، دبي ، كردستان ... الخ ، ومعاهد اللغات التي تدرس لغة البلد الذي تتبعه كالانكليزية ، الفرنسية ، الروسية وغيرها ، ولا شك أن لهذه المؤسسات دوراً كبيراً يتجاوز الأهداف الأكاديمية أو تعليم اللغات الأجنبية للعرب والمسلمين يتضح ذلك في مناهجها وفي طبيعة خريجها الذين تعدّهم هذه المؤسسات ليكونوا قوة ضاربة في جسد المجتمع الاسلامي ، فكل طالب وخريج سوف يمكّن القوة الأمريكية الناعمة من النفوذ^(٢٤) .

فعلى سبيل المثال تستقطب الجامعات الأمريكية من غير الأمريكيين ٢٨% من الطلاب الذين يدرسون خارج بلدانهم و (٨٦) ألف باحث ... وهؤلاء الطلبة سينتهي بهم الأمر ليكونوا خزاناً رائعاً للنوايا الحسنة تجاه أمريكا) و (وان كثيراً من هؤلاء الطلبة يستطيعون التأثير على نتائج السياسات المهمة للأمريكيين)^(٢٥) .

فعلى سبيل المثال : تتضح أهداف هذه

اعداد قادة انسانيين ومستنيرين في لبنان^(٢٤) بالاضافة الى استقطاب الطاقات العلمية والابداعية والعقول ومحاولة تفريغ دول العالم الثالث من هذه الطاقات التي يمكن ان تكون مؤثرة فتقدم لها الامتيازات والاغراءات .

وتشير الاحصائيات الى أن خريجي هذه الجامعة الامريكية من اللبنانيين بلغ عددهم (٥٥) ألف طالب وطالبة بتخصصات مختلفة، يشير هذا الرقم الى حجم الدور الذي سيلعبه هؤلاء الخريجون في مجال القوة الناعمة لا سيما اذا صدقت التقديرات التي تقول بأن الادارة الامريكية توظف ما لا يقل عن ٥٠% من هذه الطاقات والقوى في مختلف ميادين وحقول المشروع الامريكي ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وحتى امنياً وربما يوظف هؤلاء من أجل التعاون مع أجهزة المخابرات الامريكية سواء باقناعهم أو بالضغط عليهم من هنا يتضح حقيقة الدور الذي تلعبه هذه الجامعات تحت ستار العلم والمعرفة^(٢٥) وهذا الامر ينطبق على جميع فروع الجامعة الامريكية في العالم الاسلامي .

من جانب آخر تمارس هذه المؤسسات

تغريباً ثقافياً بفصل الطلاب عن لغتهم الام وابعادهم عن لغة القرآن وبذلك تحدث فجوة كبيرة عند الشباب في تعامله مع القرآن لانه بعيد عن لغته وثقافته فالمناهج والتدريس فيها باللغات الاجنبية ولغة التخاطب بين الطلبة والاساتذة والباحثين ، فتجدهم لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم الا باستعمال اللفظ الاجنبي وفي المقابل تكون لغته العربية ركيكة لا يحسن التحدث بها ، وبذلك تهيمن الثقافة الغربية لان الاستئناس بلغة ما والتفاعل مع أدبها وفنونها سيخلق الاستعداد اللاشعوري للاخذ من تلك الثقافة ويعدها مصدراً لمعلوماته وعدم الاقتناع بخطئه .

ولم ينج البحت العلمي من ظاهرة التغريب : (فان أكثر البحوث التربوية تنطلق من منطلقات وأطر غربية وتقوم على أدوات بحثية مشتقة أصلاً من العلم الاجتماعي الغربي ومعظم الدراسات قائمة على أساس الاقتباس منها)^(٢٦) .

فأخذت هذه الجامعات والمؤسسات البحثية تستقطب فئة من الشباب وتعدّها اعداداً يهدف الى تخريج أجيال مشوّهة منفصلة عن مجتمعيها وثقافته وهويته حاملة

والتواصل الحضاري والديمقراطية هدفها
بالنهاية إضعاف الثقافة الاسلامية وتحريف
المفاهيم الدينية لتوافق الافكار المادية
المروّج لها واستبعاد الايمان بالله وبالغيب
واظهارها على أنها أمور مضادة للعقلانية
وللتطور والحضارة المزعومة .

لفكر لا يتلاءم مع القيم الاسلامية هذا ان
لم يحاربها ، فيتبنون أفكارهم ويروجون
لثقافتهم ويقدم لهم الدعم المالي والمنح
الدراسية أو تنشئ مراكز تحت عنوانات
مختلفة كمنظمات حقوق الانسان
والديمقراطية أو منظمات تدافع عن حقوق
المرأة أو معاهد لتعليم اللغات الاجنبية أو
مؤسسات خيرية أو مدارس أجنبية تبث من
خلالها نشاطاتهم تحت ستار التعليم

المبحث الثاني: مواجهة التغريب الثقافي، المعالجات والحلول

الاستسلام لكل ما يطرح .

٢ - التحصين الفكري والعقائدي للشباب وتربية المناعة الذاتية في مقابل الأفكار الوافدة وتوعيتهم بالمخططات الخفية التي تحاول تشويه صورة الاسلام وتنبيههم الى الاساليب التي يتخذها الأعداء لتحقيق أهدافهم ، وتحميل الشباب المسؤولية في الدفاع عن الدين بالتأسيس الفكري والعقائدي السليم لهم وذلك من خلال ربطهم بالله وتعزيز صلتهم بالقرآن والعتره وغرس المعاني الإيمانية والاعتماد على الله عقيدة وسلوكاً ، وبناء ثقافة إسلامية بمستوى هذا التحدي وترسيخ القيم الاسلامية وتوسيع دائرة التعليم الديني ومحاولة ربطها بالواقع الذي تعيشه الأمة فينتج عن كل ذلك

ان مواجهة الهجمة الثقافية الغربية أمر يحتاج الى توظيف كل الوسائل والادوات الناجعة وان تعتمد على أسس علمية سليمة صحيحة لتأتي أكلها وتضمن فاعليتها في صد هذه الهجمات وحماية الشباب من مخاطرها وأثارها الوخيمة ، ومن جملة هذه الامور :

١ - لا بد أولاً من الاعتراف بوجود هجمة ثقافية ومحاولات للتغريب وإبعاد الشباب عن ثقافته وهويته وانتمائه وتحديد نقاط الضعف التي يستهدفها الغرب واختراقها للوصول الى أهدافهم وكذلك تحديد نقاط القوة في مواجهة هذه الحملات على المستويات كافة الحكومات ، والجماعات والافراد^(٢٧) والتعامل بنديّة وقدرة على المواجهة وليس

الحين والآخر وتقديم النموذج الحضاري للرسالة الاسلامية، ومن جانب آخر متابعة المؤسسات التعليمية الأجنبية والجهات المرتبطة بها بشكل غير مباشر في المدن العربية والاسلامية ووضع الضوابط والقوانين التي تنظم التعليم فيها بما لا يتعارض مع الثقافة الاسلامية.

٥- وعلى المستوى الاعلامي فلا بد من مواجهة الهجمة الاعلامية بإعلام مضاد يتوازن مع شراسة تلك الهجمة وتوظيف وسائل الاعلام في التصدي وإعداد اعلاميين مسلحين بالثقافة الاسلامية لنقل الصورة الحقيقية للاسلام والتي تم تشويهها من خلال ما تعرضه وسائل الاعلام الغربية أو التابعة لها بكل ما لديها من أدوات لتظهر الاسلام على أنه دين الوحشية والقتل، واستلاب حقوق المرأة وتشويه صورة الحجاب وجعل الاعلام الاسلامي ناجحاً في التأثير وابرار دور الرموز والشخصيات الاسلامية التي أثرت في تاريخ الحضارة الاسلامية وتقديم النموذج الأمثل للشخصية الاسلامية.

ولكي يكون الاعلام الاسلامي مؤثراً لا بد أن: (يعالج مختلف قضايا الحياة من

حصانة ضد هذه الشبهات والشكوك التي تثار حول العقيدة الاسلامية والقرآن وتصد النعرات الطائفية والمذهبية.

٣- توجيه الانفتاح الثقافي ومتابعة وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي فالحرية في تبادل المعلومات أو التبادل الثقافي (لا تعني أن نقبل كل ما يرد علينا من الثقافات بل ننظر إليها بمنظور نقدي فنأخذ منها ما يفيدنا ونرد ما هو عكس ذلك)^(٢٨) وفي الحديث: (فالحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)^(٢٩).

٤- أما على مستوى التعليم فالتخطيط السليم لتطوير المناهج الدراسية والارتقاء بها لمواجهة التحديات الثقافية وتفعيل دور المؤسسات التعليمية بمستوياتها كافة المدارس، الجامعات، والتعليم الديني بالاضافة الى المؤسسات الثقافية والنهوض بمراكز البحوث العلمية ذات العلاقة ودعمها لتسهم في عملية التحسين الفكري بما تعده من بحوث ودراسات في هذا المجال والتوجيه بإعداد بحوث علمية تظهر الرؤى الاسلامية الصحيحة ومقارنتها مع الاطروحات المخالفة التي تثير الشبهات بين

واسلامية مركز اللغات الاجنبية والترجمة
بجامعة القاهرة، ٢٠١٣.

٦ - عمر التومي الشيباني، التغريب والغزو
الصهيوني، مجلة الثقافة العربية، العدد ١٠،
السنة التاسعة ١٩٨٢.

٧ - غلام علي حداد عادل، ثقافة العري
وعري الثقافة، تر: عبد الرحمن العلوي، دار
الهادي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ - ٢٠٠١.

٨ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار
احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠ هـ -
٢٠٠٨ م.

٩ - محمد عبد الحميد، نظريات الاعلام
واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢،
٢٠٠٠ م.

١٠ - مجموعة من المؤلفين، المعجم
الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٤١٠
هـ.

١١ - ابن منظور، لسان العرب، دار احياء
التراث، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م - ١٤٠٨ هـ.

١٢ - نخبة من المفكرين، (العولمة) اعداد
مهدي كلشني، المجمع العالمي للتقريب بين
المذاهب، ايران، ط ١، ٢٠١٤ م.

١٣ - نعوم تشومسكي، الاسلحة الصامتة
للحروب الهادئة، موقع المعري.. لا شيء
مجهول www.narrpc.info.

منظور مستمد من المصادر التشريعية،
وتقديم هذه القضايا والأحداث للجماهير بلغة
استخدام الفنون الاعلامية الملائمة والافادة
من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة^(٣٠)
وعندها سيكون هذا الاعلام وسيلة لكشف
الغزو الثقافي ومواجهته والتصدي للافكار
الدخيلة على المجتمع الاسلامي.

ثبت المصادر

القرآن الكريم.

١ - ايمان عبد النبي بلوط، سوسيولوجيا
افلام الكارتون وتطبيع الطفل العربي، منتدى
المعارف، بيروت، ٢٠١٤.

٢ - جوزف ناي، القوة الناعمة، تر: محمد
توفيق البجيرمي، دار العبيكان، الرياض، ط ١،
١٤٢٨ - ٢٠٠٧.

٣ - رضا عبد الواحد أمين، الاعلام والعولمة،
دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١،
٢٠٠٧.

٤ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح:
محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت، ط ١،
٢٠٠٢ م.

٥ - عبد الله بن عطية الاحمدي، تحديات
العولمة الاعلامية، سلسلة دراسات عربية

الهوامش:

- ١- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٧٨٦ ، مادة (غرب) .
- ٢- ابن منظور ، لسان العرب : ١٠ ، ٣١ - ٣٢ ، مادة (غرب) .
- ٣- المعجم الوسيط : ٦٤٧ .
- ٤- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٩٤ ، مادة (خرب) .
- ٥- ابن منظور ، لسان العرب : ٤ ، ٤٨ ، مادة (خرب) .
- ٦- عمر التومي الشيباني ، التغريب والغزو الصهيوني ، مجلة الثقافة العربية ، العدد : ١٠ ، السنة التاسعة ، ١٩٨٢م : ١٩٢ .
- ٧- نعم تشومسكي ، الأسلحة الصامتة للحروب الهادئة ، موقع المعري ... لا شيء مجهول ، <https://www.marripc.info> .
- ٨- نخبة من المفكرين ، العولمة : ١٩ .
- ٩- رضا عبد الواحد أمين ، الاعلام والعولمة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠٧ : ١٢٩ .
- ١٠- ظ : م . ن : ١٣٣ .
- ١١- ظ : مركز الحرب الناعمة . softwar.org .
- ١٢- نهج البلاغة ، الخطبة : ٣١ ، من وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن □ .
- ١٣- ظ : الرسوم المتحركة : لا لم تعد بريئة ، مقال في مركز الحرب الناعمة softwar.Lb.org .
- ١٤- ظ : ايمان بلوط ، سوسيولوجيا أفلام الكارتون وتطبيع الطفل العربي : ٨٣ .
- ١٥- مركز الحرب الناعمة ، الرسوم المتحركة رسوم ليست بريئة softwar.Lb.org .
- ١٦- عبد الله الأحمدى ، تحديات العولمة الاعلامية : ٩٤ .
- ١٧- محمد عبد الحميد ، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ، عالم الكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ٢٠٠٠م : ٤٠ .
- ١٨- مركز الحرب الناعمة : <http://softwar.Lb.org> .
- ١٩- الأعراف : ٢٦ .
- ٢٠- غلام علي حداد عادل ، ثقافة العري وعري الثقافة ، تر : عبد الرحمن العلوي ، ط ١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠١ ، دار الهادي ، بيروت : ٤٨ .
- ٢١- ظ : جوزف ناي ، القوة الناعمة ، دار العبيكان ، ٢٠٠٧ : ٥٥ .
- ٢٢- م . ن : ٦٣ .
- ٢٣- ظ : الجامعة الامريكية في بيروت والحرب الناعمة ، دراسة لمركز الحرب الناعمة softwar.org .
- ٢٤- مرتكزات الغزو الثقافي : د . طلال عتريسي ، softwar.org .
- ٢٥- ظ : aub.edu.lb (الجامعة الامريكية في بيروت والحرب الناعمة) دراسة أعدها مركز القوة الناعمة ، softwar.org .
- ٢٦- يزيد عيسى الشورطي ، التغريب الثقافي وانعكاساته التربوية التعليمية في الوطن العربي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ، كلية العلوم التربوية ، الاردن : ١٥ .

- ٢٧- ظ : العولمة ، نخب من المفكرين : ٣٢ .
- ٢٨- رضا عبد الواحد أمين ، الاعلام والعولمة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ : ١٢ .
- ٢٩- نهج البلاغة ، ح ٥ ، وصية له بخمسة أشياء ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ : ١٨ .
- ٣٠- هاشم احمد انعيمش ، الاعلام الاسلامي في التلفزيون ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١١ م : ٢٩ .

د . امجد حميد عبد الله
باحث وأكاديمي من العراق

فلسفة الحداثة

بين الفكر الإسلامي والدرس النقدي الأكاديمي

الكلام على (الحداثة) لا يقصد منه الباحث تكرار ما تم ترديده في الكتب المعرفية ، والنقدية ، والفلسفية ، ولكن هناك بعض التماهي وعدم الوضوح في الحدود والتعاليقات فيما بين الفكر الإسلامي والحداثة بوصفها فكرا ، والحداثة في الدرس النقدي الأكاديمي ، وبالتحديد فإن المهم - هنا - هو التعرف على مدى استجابة الفكر الإسلامي للحداثة في منطلقاتها وأشكالها ، وتسلط ضوء هذا الفكر ليكشف لنا عن تصوره بشأن الحداثة .

لقد شغلت الحداثة الدرس الأكاديمي عبر الجهد الفكري المعرفي ، والجهد النقدي ، لعقود من الزمن ، وقد كتبت بشأنها تعريفات عديدة بحسب ما مرّ على مفهومها من مراحل النماء والتطور ، فهي « حركة ترمي إلى التجديد ودراسة النفس الإنسانية من الداخل معتمدة في ذلك على وسائل فنية جديدة »^(١) ، وقيل عنها أيضا أنها « محاولة للوصول إلى أسلوب فردي متميز »^(٢) ، وأنها أيضا « اتجاه إلى المعرفة التعددية الغامضة »^(٣) ، وهي كذلك « ازدياد التراث وضرب الصيغ التقليدية الراسخة في تدبر التجارب وتأملها »^(٤) .

يعتقد (هيجل) الذي يعد أول من وضع في مسألة فلسفية قطيعة الحداثة مع الإحياءات المعيارية للماضي الغريب عنها ، أن عظمة عصر الحداثة تقوم على الاعتراف بالحرية بوصفها

خاصة للروح حقيقة كونها بذاتها، وتتضمن الذاتية أربع دلالات هي: الفردية بشكل لا متناهي، وحق النقد الذي يتيح للأفراد عدم قبول ما لا يبدو مبرراً، واستقلال العمل عن مرجعياته السابقة، والمثالية التي هي الأقرب إلى الذاتية^(٥)، ويعتقد (جون بودريارد) أن الحداثة «نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي أي مع كل الثقافات السابقة عليه أو التقليدية، فمقابل التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنها شيء واحد متجانس عالمياً انطلاقاً من الغرب»^(٦) على وجه التحديد، فهو بحسب هيمنته - أي الغرب - قد فرض هذا التصور العالمي بعد أن امتلك أدواته اللازمة، وتقتضي الحداثة سلطة العقل ونفي أشكال السلطة الأخرى، ولاسيما سلطة الدين، فالحداثة لا تجد الدين منسجماً مع العقل، ولعل المقصود بالدين التجربة الغربية مع الكنيسة.

إن عقلانية الحداثة وعقلنتها للعصر تعتمد على مبدأ أن «الإنسان يغدو مقياس الوجود وحيث يوجد الوجود، فالإنسان هو الذي يؤسس كل موجود، أي أنه بالمعنى

الحديث أساسي لكل موضوعة، ولكل مثول، حيث أنه الحامل للموجود»^(٧)، فالإنسان هو السيد المطلق بحسب تصور الحداثة، وهو الغاية والوسيلة معاً، ولذلك فهي تسعى إلى تخليص الإنسان من هيمنة السلطات الخارجة عنه، وتحرره من تبعيته لها، «وتثور الحداثة على تكريس وظائف التراث، وتعيش الحداثة على التمرد على كل ما هو معياري، ويعد هذا التمرد طريقة من طرق تحديد مقياس كل من الفضيلة والمنفعة، ويقيم هذا الوعي الغني علاقة جدلية بين السرية والافتضاح، ويفتنه الهلع الذي يصاحب عملية انتهاك حرمة المقدسات وضرب الثوابت، وفي الوقت نفسه نجده يفرّ دائماً من النتائج التافهة لتدنيس المقدسات»^(٨) كما يقرر هابرماس، الذي يوضح اعتقاده بشأن عقلنة عصر الحداثة في مكان آخر إذ يقول: «إن العالم الخارجي... يتميز في عالم موضوعي للوجود، وفي عالم اجتماعي للقيم (أو العلاقات بين الأشخاص تنظمها معايير)، وكلاهما ينفصل عن العالم الجواني لكل فرد، عالم التجارب الذاتية عندئذ تنطلق عملية تستديم - كما بين ذلك ماكس فيبر - في تعقيل تصورات العالم

الدينية والميتافيزيقية التي ولدت من إزاحة الأسطورة»^(٩) ، وعند النظر في معطيات الحداثة وملامح عصرها نجد أنه ينبغي « التمييز بين حداثة مادية ، وحداثة فكرية ، فالحداثة المادية تدل على التحسينات التي أدخلت على الإطار الخارجي للوجود الإنساني ، والحداثة الفكرية تتضمن المناهج وأدوات التحليل والمواقف العقلية التي تؤمن معقولة أكثر مطابقة وملاءمة للواقع ، والاستفادة من الحداثة المادية ومن مفاعيلها مرهونة تماما بنوعية الحداثة الفكرية المتحققة»^(١٠) كما يؤكد محمد أركون ، فقد تسببت الحداثة في تحسينات وتطويرات هائلة شملت متعلقات الإنسان الخارجية من وسائل ومستلزمات خدمة وأدوات وغيرها ، وهي لاشك تحسينات ممدوحة ، إلا أنها لا تعدو كونها أدوات ، يمكن استعمالها في أكثر من منهج ، ولأجل أكثر من غاية ، في حين أن الحداثة الفكرية هي موضع عناية هذا البحث ، لكونها تنطلق من أصول فلسفية ومعرفية ذات توجهات معينة ، للفكر الإسلامي موقف منها ، يحتاج الأمر إلى بحثه ودراسته وتوضيحه ، فالحداثة الفكرية تتدخل في صناعة المفاهيم وإعادة إنتاج

القيمة ، وتقدم للإنسان رؤية خاصة للحياة والكون ، لماضي الإنسان وحاضره ومستقبله ، ومن ثم فهي تمثل محركا دافعا للإنسان ، تستنفذ طاقاته ، وهناك من يرى أن الحداثة سببت قطيعة بين المبدع والمتلقي « فالمبدع ينطلق في كتابة النص من موقع محدد هو الموقع الانطولوجي والبحث عن جوهر الفن ، ... والقارئ من أي موقع تحرك يهيمه المعنى ، ويهيمه تأويل العلامة وإدراك ما وضعت لتدل عليه ، ولا يهيمه البتة ما كان قد أهم الكاتب حين كتب»^(١١) ، وإذا نظرنا في أدب الحداثة العربية مثلا نجد « انطلاق بعض المبدعين العرب من إيمان راسخ بضرورة نفي الوظيفة التواصلية عن اللغة الإبداعية ، ... حيث تراجعت العلاقة التواصلية بالتدريج وانحسرت إلى حدودها الدنيا ، بل إلى منطقة الصفر ، بحيث غدت تلعب دورا أشبه ما يكون بالمعالجة النفسية للذات الكاتبة»^(١٢) ، وهذا ما يوضح مقدار القطيعة التي يمكن أن تسببها الحداثة ، ليس بين المبدع والمتلقي فقط ، بل بين عصر الحداثة بكل مجالاته المعاشة ، وما قبله من عصور ، وإذا كانت الحداثة المادية قد حمدت قطيعتها ، فإن

الغربية وبسياقاتها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة^(١٤)، وهذا ما يدفع البحث إلى مناقشة اثنين من أهم محاور الحداثة من خلال التصور الإسلامي، وهما:

أولاً: المغايرة والوعي بالزمن: —

الحداثة إذن لحظة مغايرة (الآن) لـ (الماقبل)، ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، فإن أهمية عنصر الزمن في عملية إنتاج القيمة تبعاً لرؤية الحداثة تبدو مبالغاً فيها يعرض الشيء، فليس كافياً لتصوير الحداثة أن نقدم ترسيمة (ما قبل - الآن - ما بعد)، فالمغايرة زمنياً لا تعد سبباً كافياً للتحديث، وهنا لابد من طرح قضايا التراث والمعاصرة، ومبدأ الغاية، وكيفية التعرف على الفواصل الزمنية، وأحقية المتغير الزمني العابر بتمثيل الجمال، فبحسب (بودلير): «يتكون الجمال من عنصر أزلي لا يتغير، ومن عنصر نسبي طارئ هو العصر، الموضة، الأخلاق والانفعال، ولولا هذا العنصر الثاني والذي هو بمثابة غلاف مسلّ مثير للشهية للحلولى الإلهية، يكون العنصر الأول عسير الهضم، يصعب تقديره، لا يلائم

الحداثة الفكرية أعادت طرح الأسئلة القديمة بأشكال جديدة، وبنيت موجهة نحو غايات لا هوية معها ولا لون ولا طعم ولا رائحة فيها، ما دام التوجه نحوها لا يتم إلا من خلال سيطرة الجزء الغربي من العالم بحكم امتلاكه الحداثة المادية، لا بحكم امتلاك فكر الحداثة لديه مقومات النجاح، فقد بات الغرب بذلك يفرض أشكال الحداثة الفكرية ويسوق لها، في حين أنه من المقبول أن تكون الحداثة «حركة مستمرة لا تقف عند الحدود التي رسمت لها، وأنها بناء الحاضر واستشراف المستقبل، وليست نكسة أو شذوذاً، وأنها استلهاً للماضي وليست تقديساً له، وأنها امتداد للتراث الحي وليست تقاطعاً ونكراناً وتمرداً عليه، وأنها اكتشاف اللغة العصرية التي تستمد أصولها من اللغة الحية وليست تحطيماً لها أو خروجاً على أسسها، وأنها خلق للأدب المعبر عن الواقع بصورة الإيجابية التي تبني الحياة، وتعلي شأن الإنسان، وأن الحداثة نسغ الحياة الصاعد وليست شجرة ميتة»^(١٥)، وإن إمكان صياغة حادثة بهذه الصورة يدفعنا إلى السؤال عن جدوى تكرار حادثة الآخرين على الرغم من إنها «مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة

السهولة إمكان تحديد فاصل ما عند النظر إليه نقول إن ما بعده يمثل الحادثة وما قبله يمثل الماضي غير المحدث، بمجرد أن نعتقد أن هذا الفاصل سيوقف ترهل فكرة ما، وينهي عجزها المفترض، عبر مغادرتها بالتغيير المباشر واستبدالها بفكرة لم تستنفد بعد، وتحمل طاقتها الكافية البكر، إلا أن عنصر الزمن هنا لم يشمل في متعلقاته البحث في قيمة الفكرة التي تم استبدالها، من حيث علاقتها بالأزلي ومواكبتها له، فضلا عن مساومتها، إذ إن استبعاد الأزلي ليس من الحكمة في شيء، وإذا كان الأزلي هو الذي يحمل القيمة - الحقيقة، فعلياً أن نعترف له بذلك، فما جدوى التمرد على الأزلي إذا كان هو الراسخ أخيراً؟... وقد يعتقد بعض رواد الحادثة أن التمرد على الأزلي مبرر بكون التمرد صادراً عن الاعتقاد المسبق بأن الحادثة «سمة فرق لا سمة قيمة»^(١٨)، ومن ثم فإن الحديث لا يعد أفضل من القديم بالضرورة، إنما يعد حديثاً بمفارقته القديم ومغايرته له، كما لا يشترط تناقضه معه^(١٩)، ولكن هنا يبرز سؤال مهم: كيف يتسنى للحادثة أن تكون رؤية مغايرة من دون أن تعيد إنتاج القيمة، وتعيد النظر

الطبيعة الإنسانية ولا يناسبها، إن بودلير بوصفه ناقداً فنياً يشدد التصوير الحديث على جانب الجمال العابر المتلاشي للحياة الحاضرة، وهي السمة التي أجاز لنا القارئ تسميتها بالحادثة»^(١٥)، وإن هذا العابر المتلاشي بدلاً من أن يسوّغ لنفسه الدخول في لعبة الجمال جزءاً من البناء الهيكلي للحادثة، قد سعى بكل طريقة إلى الهيمنة على فكر الحادثة كما هو الواقع الذي شهدناه، ولا يكاد الأزلي يجد لنفسه مكاناً في فكر الحادثة، وإذا كان (شارل بودلير) هو الذي جعله يفترض الأزلي بتلاق مع العابر لإنجاز الحادثة، فقد ارتبط هذا المفهوم بالتاريخية عند كل من (بنجامين)، (نيتشة)، (ماركس) و (هايدجر)^(١٦)، بحيث يقتضي مفهوم الحادثة «أن ما يحكم إدراك الماضي هو أفق المرتقب المفتوح على المستقبل الذي يحدد الحاضر، وبمقدار ما نستملك تجارب الماضي في منظور المستقبل، فإن الحاضر الأصيل يتأكد في وقت واحد مكان استمرارية التقليد والتجديد، نظراً لامتناع إمكان أحدهما بدون الآخر، ويختلط كلاهما في موضوعية سياق»^(١٧)، وهذا يجعل من

هاجسا لها ، بل عليها أن تناضل ولو بعد حين حتى ضد نفسها ، كما أنها في آخر مرحلة تصلها لا تقرّ بأنها أحدث شيء ، لأنها ترى في نفسها برنامجا تحريريا تمرديا للثقافة والفن^(٢١) ، فالزمن كما يبدو معضلة ماثلة أمام الحداثة لا تستطيع الفراغ منها أو التخلص من قبضتها ، ولعل في الدعوة إلى عصر (ما بعد الحداثة أكبر دليل على الرغبة القوية في مغادرة هذه الدوامة القلقة التي تسمى (الحداثة) .

وبالعودة إلى مسألة القطيعة والتجديد نجد أن هناك من يعتقد « أننا نتواصل مع تراثنا العلمي والعقلي إذا ما تواصلنا مع مستتبعاته الغريبة المتمثلة في إنتاجات الغرب العلمية والتكنولوجية ، بما أننا كنا مسهمين أساسيين في حقل العقل العلمي ، ولذلك يجب أن يكون تعاملنا مع الحداثة كتعاملنا مع شيء من كيائنا ، فيكون هذا التعامل عنصرا مهما لتحديد هويتنا بجانب ثوابت التأصيل والتراث التي كثيرا ما التجأنا إليها للتعبير عن وجودنا ، فالحداثة هي نقطة استكمال الدورة الجدلية للتفاعل الحضاري بين الشعوب والأمم^(٢٢) » ، وليس علينا سوى أن نعيد اكتشاف « ما في التراث من عناصر

في إنتاج المعرفة بدلا من محاولة اكتشافها مثلما جرى في الماضي ؟ ، وهذا السؤال بدوره يطرح التراث مسألة ماثلة ، فالقطيعة التي تفرضها الحداثة إن كانت تدعو إلى فصل الدين عن الثقافة الفكرية ، وعن عرش الهيمنة على الواقع المعاش^(٢٣) ، فمن غير المعقول أن تشمل هذه المقولة الدين الإسلامي مثلما شملت دين المسيحية بمظهره الغربي المعروف ، لاسيما مع وجود القرآن المعجز ، المحفوظ ، الذي لم تستطع مدعيات العلم التجريبي ولا شتى حقول المعرفة الإنسانية الطعن فيه أو الإحاطة به أو إدراكه ، فضلا عن تجاوزه .

إن التصور الإسلامي للحياة مدرك للزمن وواع به ، ولكن الزمن ليس سوى بعد آخر مضاف إلى بعدي الأين والكيف ، أي أن القيمة أمر مهم جدا ، وهي مرتبطة بالغاية ومحددة بالوسيلة ، في حين قصر الوعي بالزمن لدى فكر الحداثة عما هو مطلوب منه ، وأعني به استمرار الحداثة وخلودها ، ما دامت تمثل « إشكالية تكاد تستعصي على الحل من المنظور النظري ، وتتجلى هذه ، الإشكالية في أن الحداثة تناضل على الدوام من غير أن تتوخى الانتصار ، لأنه لا يمثل

الحدثاءة تحتوى على تناقضاتها الداخلية الخاصة بها ، وبأن أنماط الفكر الذي ينتمى إلى الحدثاءة قد تتحول إلى سلفية جامدة ويصيبها التقادم ، وبأن أنماطاً من الحدثاءة قد تحتجب لأجيال طويلة دون أن تخلفها أنماط بديلة^(٢٦) ، لاسيما إذا أخذنا بالحسبان « أن جزءاً من الصعوبة فيما يخص الحدثاءة هو طمسها لأصولها ، وحين أصبح حضورها الثقافي ثابت الأركان أعادت تنقيح تأريخها ليتفق مع توجهاتها الراهنة ، هذه إذن (سلسلة النسب) ليس الغرض منها إثبات أصالة بل استعادة بعض خطوط التطور التي شوهت أو نبذت^(٢٧) » ، ومن ثم يصعب الاعتماد عليها لإثبات الأصالة التي قد تعني في أكثر ما تعنيه الحرص على الهوية .

يبدو أن حكم المغايرة التي تنشدها الحدثاءة من خلال عنصر الزمن ، في التصور الإسلامي ، لا يظهر جلياً إلا بتأكيد حدود الثابت والمتغير أولاً ، لتأتي بعد ذلك القطيعة ويأتي التجديد في ضمن حدود واضحة ويسيرة ، فمثلاً « لا تؤشر مطلق أفكار محمد أركون قضية الثابت والمتغير في مرجعيات الحضارة الإسلامية مما يوجب أن يخطط منهجان يكمل أحدهما الآخر ، الأول منهج

التجديد التي بدت عفوية أحياناً وواضحة في الوعي أحياناً أخرى ، ومن المقبول أن نحاول اليوم ربطها بما يناظرها أو يقترب منها لتكون خيطاً من نسيج الحاضر ، فتساعد في إبراز الأصالة من خلال تجليات الحدثاءة^(٢٣) » ، وفي هذا الاعتقاد تتجسد فكرة التاريخ مثلما انطلق منها (هيجل) ومن جاء بعده ، وهذا يعني أن « التاريخ غير الديني موجود تماماً في نظر أهل التجديد من المسلمين^(٢٤) » ، إلا أن تصور المسألة تاريخياً بتجاهل التباين في حركة التاريخ بين الساحتين العربية والغربية يبدو أمراً عسيراً ، فقوام التبادل والتلاقح هو التكافؤ بكل أبعاده ، وهو ما لا يمكن القطع به البتة ، وهناك من يعتقد « لئن كان الإبداع فيما وراء القدامة والحدثاءة فلا يمكن أن تكون قطيعة بين الحدثاءة والقدامة عمقياً ، وإنما يكون بينهما فرق ، يتجلى هذا الفرق من ناحية في استخدام عناصر قديمة استخداماً حديثاً ، ومن ناحية في المناخ المرتبط بالعصر - سياسة وثقافة وقضايا ، ومن ناحية أخرى في الرؤية والرؤيا على السواء^(٢٥) » ، ولا شك في أن هاجس الأصالة لهذا الرأي هو الدافع ، فضلاً عن التخوف من الاعتقاد « بأن

للتعامل مع النص القرآني، وآخر للتعامل مع ثقافة النص القرآني وشروحاته لتحرير النص الأول... من النص الثاني^(٢٨)، وهي عملية معقدة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تفصل الرؤية الأزلية عن الواقع، وإذا ما أراد كل عصر أن يجري تحريراً للنص الأول من النصوص الثانية (التي أعيدت كتابتها بعد تحرير سابق) فسنصل بالنتيجة إلى فهم متغير دائم الحركة للنص القرآني، أي مطاوعة الأزلي لليومي والعاور وخضوعه له، وهو أمر لا مبرر له في حين أنه يساوي عدم الاعتراف بوجود الأزلي من حيث الغاية المرجوة من الأزلي من جهة، ومن جهة أخرى يعني تعثر معاصرة العاير وتقييد حريته بتدخلات الأزلي، في حين تأتي قراءة الثابت والمتحول لأدونيس برؤية أقل إشكالية على الرغم من التحفظات على ما جاء في تحديده للثابت والمتحول وتوصيفه لكل منهما.

إن الوعي بالزمن من خلال القراءة التاريخية للنص الديني الإسلامي أو عبر اعتماد التاريخية في التفسير، يجعل من النص حكماً مقضياً وحدثاً ماضياً، مما يبرر تحديده عبر الخروج منه إلى غيره، أي أن اتخاذ الزمن معياراً لحدوى التغيير يبرر

استمرارية فعل المغايرة، وهذا ما تسبب في حدوث مشكل لا مناص منه، « فالعقل الميتافيزيقي الذي يحاول تفكيك الجبرية اللاهوتية ليتفاعل الدين مع الواقع الموضوعي وعبر مختلف طرق التجديد والإصلاح، يصطدم بإطار إيديولوجي تاريخي كامل تحددت ضمنه دلالات النص الديني ومرجعياته المختلفة، فأصبحت قدرته على الحركة من قبيل التأويل، وهو تأويل لا يقبل به اللاهوتيون باعتباره خروجاً على النص، وكذلك لا يقبل به الوضعيون باعتباره خروجاً على تاريخانية النص^(٢٩) »، وفي تحديد الثابت والمتغير اعتماداً على النصوص الإسلامية المعتبرة يكمن حل أكيد، ففيما يخص نقد النص الفني مثلاً، لا نجد نصاً ملزماً فيها سوى عدم التعارض مع التشريع الإسلامي، كما هي الحال مع ظاهرة الغموض المضلل، التي تتعارض مع مهمة التوصيل، والعبثية التي تتعارض مع القصيدة^(٣٠)، فالرؤية الإسلامية ثابتة وينبغي فهمها والعلم بها، « فإن الرؤية هي التي تحدد وسيلتها الجمالية بصفة أن الأخيرة... مجرد أداة لتعميق الرؤية التي يستهدفها النص^(٣١) »، وباعتبار المهمة العبادية للغة

وهناك من يعرفها على أنها تطبيق عقلاني للعلم على الطبيعة^(٣٤) ، كما أن « الأصل في الحادثة هو الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد ،... ويقوم مبدأ النقد على ركنين أساسيين : أولهما التعقيل (أو العقلنة) ،... إخضاع ظواهر العالم ومؤسسات المجتمع وسلوكات الإنسان وموروثات التاريخ كلها لمبادئ العقلانية »^(٣٥) ، هذه المبادئ التي تقوم على « الحساب والتنبؤ والتجريب والتقنين والتطبيق »^(٣٦) ، وعند البحث في قضية العقلنة أو التعقيل لإجراء العقلانية نجد « أن سمة العقلانية التي هي أحد أهم سمات الحادثة ما كانت لتنشأ هكذا فجأة ،... إنما العقلانية الحديثة صيرورة ومسار وتاريخ ،... لكن تبين أن العقلانية من غير تعقيل مجتمع تبقى عقلانية مجردة »^(٣٧) ، غير أننا نجد في الوقت نفسه « أن الحادثة سعت إلى تشييء العقل »^(٣٨) ، فإذا كانت العقلانية « تعني الإتياع التام للاستدلال الصحيح ... وحيث أن للاستدلال ضروباً متفاوتة في معاييرها لمعرفة الصواب ، يتاح القول إن للعقلانية هي الأخرى صنوفاً وأنماطاً متعددة... يمكن تصنيف أنماط العقلانية

الجمالية أي توصيل المبادئ إلى الآخرين ، ينبغي إجراء التحديث في الوسائل من خلال « معرفتنا بالمبادئ الإسلامية وليس من معرفتنا بالواقع وكيفية التعامل معه ... الواقع في التصور الأرضي هو : الحياة الدنيوية التي يحياها الأرضيون ،... وأما التصور الإسلامي فإن الواقع لديه هو واقع المبادئ المرسومة لنا في التعامل مع الحياة »^(٣٩) ، لذلك فإن (الماقبل - الآن - المابعد) هي أوعية ثانوية ، والمهم هو الغاية الثابتة ، وتبدل الوسائل يتاح بحسب حركة الغاية ، وفي النقد الأدبي ومناهجه التي أسستها الحادثة بوصفها تحمل فكراً ورؤية نجد أنه « قد يستفيد الناقد الإسلامي من الفكر الفلسفي الغربي بتغيير جهة تعلقه من الفلسفة إلى الأدب »^(٣٩) ، أي بمعنى الإفادة من الحديث بقدر كونه أداة يمكن استثمارها في تحقيق الغاية الإسلامية ، أو كونه متعلقاً بهذه الغاية ، من دون هيمنته على الرؤية الإسلامية والتصوير الخاص بالكون والحياة والإنسان في الفكر الإسلامي .

ثانياً : العقلنة :

يعرف (ويدر) الحادثة بأنها (العقلنة) ،

إلى فئتين كبيرتين: العقلانيات النظرية وهي المختصة بالعقائد، العقلانيات العملية المعنية بالأفعال والممارسات^(٣٩)، غير أن العقائد الدينية «لا يمكن لغالبيتها أن تكون عقلانية في أنظار الأكثرية من الحداثيين»^(٤٠)، ويبدو أن سبب ذلك هو التباين في فهم ماهية العقل واختلاف النظرة إليه وإلى وظيفته وخصائصه، ففي حين نجد في الفكر الإسلامي أن العقل الإنساني «هو أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة... إلى جانب أنه الوسيلة الأساسية للإدراك فإنه يحوي في ذاته بديهيات المعاني والعلاقات بين الإنسان والحياة والوجود والكائنات، ويبني عليها منطق ومفاهيمه الأساسية»^(٤١)، إلا أن هذا المفهوم ليس مرتبطاً بحدود العقل عند الغربيين الذي يرجع إلى فهمهم (اللوغوس) وأخذهم عنه، وهو العقل المتعالي كما انضح عند (هيراكليطس)^(٤٢)، لأننا نجد أنه قد «أمكن للحضارة العربية الإسلامية في طورها الديني وعلى الأخص قبل انغلاقها الانحطاطي على نفسها أن تكون ذات صبغة علمية غامقة، بينما ما صارت الحضارة المسيحية الغربية علمية إلا

بقدر ما كفت عن أن تكون دينية»^(٤٣)، وهناك من يعرف العقل بأنه «جوهر مجرد من المادة»^(٤٤)، وهناك من يعتقد أن العقل «عبارة عن مجموع علوم إذا اجتمعت سميت عقلاً، مثل العلوم بوجوب واجبات كثيرة... وقبائح كثيرة...، فالعقل على هذا المعنى أمر يوجد بالاكْتساب وليس أمراً فطرياً، كما أنه مصدر وليس صفة أو ذاتاً»^(٤٥)، وهناك من يرى أن العقل «لا يدل على شيء محدد ونهائي، بل له تطبيقات متعددة تختلف فيما بينها»^(٤٦)، وعلى أية حال فإن العقلنة التي هي العملية الإجرائية لتطبيق ونشر العقلانية تعتمد على مسلمات تتطلب إعادة النظر فيها، ومن هذه المسلمات:

١- أن العقل يدرك كل شيء.

٢- أن الإنسان يسود الطبيعة.

٣- أن كل شيء يقبل النقد.

ولذلك نجد أن الحداثة تعقلن كل شيء، وتجري نقدها (العقلي) على كل شيء، وتكتفي بثنائية (الإنسان - الطبيعة) في الوجود مانحة الإنسان السيادة المطلقة، في حين أن العقل لا يمكن له أن يعقل ذاته، لأن الأصل في الوسيلة أن تكون أقوى من

العقلانية بحسب الحادثة ، ويبقى العقل « أداة ما بمكنتها أن تنقد قيمتها العلمية نفسها ، ولا أن تحد حدودها بذاتها ، أو تعتمد إلى تبيان طريقة انبثائها بأمرها »^(٤٨) ، لاسيما مع الاعتراف بأن « العقل ليس فيه القدرة التنفيذية والإجرائية على الإنسان ، وإنما له القدرة التشخيصية »^(٤٩) فقط ، ولهذا السبب ، ولأن الحادثة أغفلت هذه الحقيقة فقد عرضت نفسها لمساءلة العقل الطبيعي (الفيزيقي) ، والعقل الغيبي (الميتافيزيقي) ، حتى أنه « يرى ديريدا الحادثة بوصفها متكونة من ظواهر انسحاب تظل غير مفهومة من منظور تاريخ العقل ومن منظور الوحي الإلهي »^(٥٠) ، لأنهما منظوران لا يقرّان - فيما يبدو - عقلانية الحادثة ، ولا جدوى العقلنة .

لقد قدم الفكر الإسلامي حلا شافيا لمثل هذه المفارقات في فهم العقل ، ومبادئ العقلانية ، وإجراءات العقلنة ، إذ « إن النظرة الإسلامية حول العقل نابعة من إعطائه الثقة الكاملة في كشف الحقائق الغيبية ، خلافا لتلك النظريات التي تحدد العقل بالشؤون المادية ، وتنزع منه حق الحكم في الأمور الغيبية ، وتجعل الدين هو

المتوسل إليه ، وهذا يعني أننا لكي نعقل (العقل) نحتاج إلى (عقل) أقوى منه ، ولكي نعقل هذا الثاني نحتاج إلى عقل ثالث أقوى منه ، وهكذا ، فنقع في التسلسل وهو باطل ، كما أن العقل لا يمكن أن يعقل الكل مادام هو جزءا من الكل ، إذ لا يحيط الجزء بالكل ، والإنسان ليس هو الوحيد مع الطبيعة ، كما إنه ليس سيدها ، وإنما سيدها هو الذي خلقها وهي له مطيعة منقادة ، ولا نجد الطبيعة منقادة ولا مطيعة للإنسان ، بل على العكس من ذلك فقد مكنت الحادثة الطبيعة من استعباد الإنسان بعد أن كان في صراع معها سابقا ، وكأن الحادثة استبدلت الطبيعة بالخالق في موضع السيادة ، وكذلك فإن خضوع كل شيء للنقد مما لا يمكن التسليم به ، لكون النقد لا يعد الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحقيقة ، فهناك الخبر الذي قد يمتلك مصداقية أكثر رسوخا من النقد ، وهو مختلف عن النقد المحاط بجوّ المحاجة ولوازمه ، بنسبته إلى جو من أقرب إلى الثبات ، ولا يدخل فيه النقد إلا عند الحاجة إلى النفي أو الإثبات ، فالأصل إذن هو الخبر ، والنقد لاحق له^(٤٧) ، وهكذا لا يمكن التسليم بفعل العقلنة وتصورات

« العقل غريزة تربيهها التجارب » ^(٥٤) ، وفى هذا القول جمع وتوفيق بين نظريتين متخصصتين فى النظر إلى العقل ، إحداهما تقول بالفطرة المطلقة ، والثانية تؤكد على التجربة بإطلاق ، غير أن « التعبير عن العقل بأنه غريزة يقصد به الإشارة إلى أن العقل قوة فطرية مودعة فى الإنسان وليس قوة كسبية » ^(٥٥) ، ولكنه يفيد فى الوقت نفسه من التجارب المكتسبة ، وبذلك يمكن القول أن العقل بهذا المعنى يقوم على ركنين :

الأول : يمثل قدرة فطرية ذاتية ، بمعنى الأوليات التى يحملها فى ذاته .

والثانى : يمثل التجارب التى تربيه وتنميه وتنير له وجهته وترشده بما لا يخرج به عما مودع فيه عند فطرته (الركن الأول) ، وهذا يجعل مفهوم العقل متكونا من ثلاثة عناصر بحسب التصور الإسلامى : « الأول فى صدد توظيف العقل نقديا ، والآخر لتبديد سلطة قوى العقل الجزئية التى تستبد بالعقل ، فى سبيل تجريدها عقليا من صلاحيتها وسلب العقل الجزئى بأشكاله المختلفة قدرته على الزعم بامتلاك معرفة حصرية يحتكرها ، وكذلك من أجل الحؤول دون أن تزعم فكرة جزئية بأنها تضمن صحة نظرية أنتجها العقل

الحاكم المغلق فى تلك الحقائق ، ... وخلافا أيضا للحسين والتجريبيين الذين حددوا العقل بحدود المادة المحسوسة » ^(٥٦) ، وتأتى هذه النظرة الإسلامية من فكرة أن الدين « جاء أصلا من أجل إرشاد الإنسان وهدايته إلى الحقيقة فى عالم الوجود ، وإدراك الحقيقة - كما يقرر الدين نفسه - هو الوظيفة الأسمى للعقل » ^(٥٧) ، ولكن هذا لا يعنى - بالتأكيد - القول بإمكانية إطلاق قدرات العقل فيما يتعلق بالغيب على نحو الإحاطة التفصيلية الدقيقة ، فقد « دعا القرآن العقل إلى الاعتراف بقصوره وعجزه عن إدراك الغيوب وفهمها على الكمال والتفصيل ، ودعاه إلى الاكتفاء بفهم أمور الغيب فهما مجملا وعاما ، ثم الإيمان به وبتفاصيله - كما جاءت عن الرسل - حتى لو لم تكن على عادة العقل ولم تشبه فى شيء مشاهداته وتجاربه » ^(٥٨) ، فمن الغيب ما قصد به إعجاز الإنسان من أجل هدايته للاعتراف بوجود الخالق ، ولكن مقدمات هذا الاعتراف موجودة حاضرة فى العقل مما يمنحه الثقة الكاملة بالوعى والإتباع ، وعند البحث فى المقولات الأصيلة عن معنى العقل فى الفكر الإسلامى نجد فى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) :

هذه القابلية لدى الإنسان ، أي تكامل العقل بالوحي هو أن « من أعظم ميزات العقل الانتقال من الحقائق المشهودة إلى الحقائق المغيبة ، من المسائل الجزئية إلى الحقائق العامة ، من الأمثلة الواقعية إلى السنن الإلهية »^(٦٠) ، كما أن العقل في التصور الإسلامي « هو الذي يميز بين الوحي الخبر الصحيح الموثق ، والدجل والخرافة والكهانة الكاذبة الفاسدة الضالة ، وهو الذي يمكن الإرادة الإنسانية من الخيار ويضعها أمام مسؤولية المسلك والمصير »^(٦١) ، كما أنه من الثابت بطلان ما يعتقد أنه تعارض بين العقل والدين الذي يشار به إلى النص الصادر عن الوحي ، إذ لا تعارض بين العقل السليم والنص السليم ، فالعقل بالفطرة يكشف لنا الحسن والقبح ، ويميز بينهما إلا أن يضل ، والنص الصحيح الصادر عن الوحي يخبرنا بالحق أيضا ، غير أن الوحي أعم وأوسع فيما ينقل إلينا مما في وسع العقل إدراكه أو التوصل إليه ، وهذا يترك لنا مساحة من المعارف قد يظن ظان أنها من قبيل التعارض بين العقل والوحي (النص)^(٦٢) ، وهذه المعارف نفسها يقرها العقل ذاته من خلال ما فيه من بديهيات ، فمثلا : إثبات العقل

الاستنتاجي الذي يتطرق إليه الخطأ ، مهما كان مستوى المعرفة وحجم النبوغ ، أما العنصر الثالث فيوجه قوى العقل الجزئية نحو العقل الكلي المتعين بوصفه مرشدا إلهيا يلعب دور الهداية »^(٥٦) ، وهذا ما يؤكد الحقيقة التي يقدمها الفكر الإسلامي بثبات ، ومفادها ضرورة التلازم بين العقل والوحي شرطا للهداية ، « فالوحي مصدر علم الكليات وعالم الغيب ، والعقل مصدر علم الشهادة وإدارة الحياة ، يولدها مما أودعه الله فيه من معايير وبديهيات ومفاهيم ، وما يتحصل عليه من علم بالكون والكائنات والطبائع والعلاقات الكونية ، ... وبهذا يتكامل المصدران الوحي والعقل مع الكون لتمكين الإنسان من تحقيق مقاصد الخلق و أداء دور الاستخلاف »^(٥٧) ، وأما الوحي فهو « كلمة الحق التي أوصى الله بها إلى الأنبياء والرسول لكي تبلغ ما أمر به إلى الأمم »^(٥٨) ، وإنه من العسير على الإنسان بحسب قدراته الفكرية المعروفة « بلوغ مرحلة اليقين والطمأنينة ، واستكمال دليل حركة الحياة دون اعتماد الوحي الصحيح مصدرا أساسيا يستكمل به معرفة العقل وعلمه في شؤون عالم الشهادة »^(٥٩) ، والذي ساعد على نماء

لضرورة وجود الخالق وإطلاق صفاته الكمالية والجلالية، يجعل من المقبول عقلا إمكانية الاستحداث من عدم بفعل قدرة هذا الخالق، ومن غير المقبول عقلا نسبة هذا الاستحداث إلى الإنسان لكونه محتاجا إلى هذا الاستحداث لوجوده هو، واعتمادا على الثقة بالعقل بعد كل هذا لا نقول فقط « إن العقل هو الذي يدلنا على قيمة النص في مجال المعرفة، ... إن للعقل أيضا صلاحية الحكومة على النص، بمعنى أنه إذا جاء نص وكان بظاهره يدل على معنى مستحيل الوقوع عقلا فإن للعقل القدرة في الحكم على النص سلبا »^(٦٣)، ومما ساعد على ترسيخ هذا التصور الإسلامي عن العقل « أن الأسس المنطقية التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلمية المستمدة من الملاحظة والتجربة هي نفس الأسس العلمية المنطقية التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبر لهذا العالم، عن طريق ما يتصف به العالم من مظاهر الحكمة والتدبير، ... العلم والإيمان مرتبطان في أساسهما المنطقي الاستقرائي، ولا يمكن - من وجهة النظر المنطقية للاستقراء - الفصل بينهما »^(٦٤).

وبعد كل هذا يمكن القول: إن من أهم المفاهيم المنهجية التي تمثل طاقة الحركة في منهجية العقل بحسب التصور الإسلامي هي:-

* غائية الخلق والوجود ونفي العبثية.

* موضوعية الحقيقة ونسبية الموقع منها.

* حرية القرار والإرادة لدى الإنسان و كلية التوكل على الخالق.

* اعتماد السببية (العلية) في أداء الدور الإنساني^(٦٥).

وهذا ما يبرر، بل يوجب الحوار مع مناهج النقد التي تعد من معطيات الحداثة ومناقشتها، وإن كانت تلك المعطيات تمس بشكل مباشر العقل العملي، فإنها - لا شك - متصلة بالعقل النظري - العقيدة - الذي فرغ من إثبات مفاهيمه كل من الوحي (النص) والعقل، باتفاق اعتمد الموازنة بين الذاتي والموضوعي بما يحقق قاعدة (لا إفراط ولا تفريط) .

لقد أنتج فكر الحداثة عددا من الاتجاهات والنظريات في النقد، وقد كثر الحوار فيها ومعها، وقد انشغل الدرس

تصور ، وتمثل للهدف من المعرفة ، من هذين الجانبين : المرئي واللامرئي يتكون المنهج ، أي منهج صحيح ، من حيث هو منظومة متكاملة ومتناسقة ^(٦٧) ، ولأن الفكر الإسلامي يحمل منظومة مفاهيمية معرفية ، قادرة على الحوار والنقاش والنقد باتجاه أية منظومة مقابلة ، كان لابد من إجراء هذا الحوار حتى لا يكون الدرس النقدي الأكاديمي في موقف المتهم بالوقوف (على التل) والتفرج على اتساع الفجوة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الذي يغذي المناهج النقدية التي يتبعها الدرس الأكاديمي على ما فيه من علل وإشكاليات لا يبدو أن حلها مستحيل في الفكر الإسلامي ، ولعل من أبرز هذه الإشكاليات فلسفة الحداثة .

العطاء الفكري للإمام عليه السلام

لا بد للإمام المعصوم أن يمارس نفس الأدوار والمهام التي كان النبي صلى الله عليه وآله يمارسها في حياة الأمة من تبليغ الرسالة . . وهداية الأمة إلى الرشاد . . أصالة عن دوره في تحمل أعباء الإمامة المتعينة من قبل السماء ، والتي « هي منزلة الأنبياء ، وإرث

الأكاديمي النقدي بتتبعها والعمل بخطواتها الإجرائية ، مع محاولة لردم الفجوة بين الفكر الإسلامي الذي يمثل فكر أغلبية الشعب العراقي وبين فلسفة الحداثة وفكرها ، وقد تم ذلك في الدرس الأكاديمي النقدي عبر تنحية النظريات والأصول الفلسفية والمعرفية للمناهج النقدية جانبا ، والاكتفاء بالمناهج الإجرائية ، ولكنها مع هذه التنحية لم تمثل مناهج نقدية على النحو الفعلي ، بما للمنهج من خطوات عملية إجرائية في النص ، قادرة على كشف مكتنزاته ومقاصده ، بالاستناد إلى رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان تمد المنهج بالدفع النظري ، والوجود الكلي للحقائق التي يكشف عنها ، فالمناهج النقدية تلزمنا بالتعامل معها على أساس أنها خطوات إجرائية ذات جذور عميقة تمتد لترتبط برؤية فكرية لا مرئية تشكل قاعدة المنهج المعرفية ، فالترابط المنتج بين الجانب المعرفي (الإبيستيمولوجي) والجانب الإجرائي مما يلزم حضوره لتكوين المنهج النقدي ^(٦٨) ، فالمنهج في الحقيقة يمثل « وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات ، وأحاسيس ذاتية ، وتنتج عنه رؤية ، ويتولد

الأوصياء...»^(٦٨)، ونيابة عن النبوة الخاتمة باعتبارهم الإمتداد الطبيعي لها بما اكتسبوه من عصمة في الفكر والسلوك، و«إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول ﷺ...»^(٦٩)، ولهذا وذاك فإن حاجة الناس إلى الإمام كحاجتها إلى النبي ﷺ؛ لتعليق نظام أمورها الدينية والدينية عليه.

وعليه فدراسة حياة الأئمة عليهم السلام باعتبارهم أوصياء رسول الله ﷺ يجب أن تعتمد المنهجية الأصيلة في البحث؛ فتبرز خصائص الإمام الذاتية وسيرته وسلوكه على أنها متممة للسيرة النبوية المباركة من جانب، ومن جانب آخر عليها - أي الدراسة - إبراز جانب التكليف الإلهي لمنصب وصاية الأنبياء، ووظيفة الإمام الرسالية في البناء الفكري والعقدي للأمة الإسلامية، ثم هداية الشعوب والأمم إلى خط الإسلام الأصيل، تماماً كما كان يفعل رسول الله ﷺ. وإبان الدعوة، وبعد انتشار الإسلام. وهكذا تحتفظ مسيرة حركة الأنبياء بتعجيلها في انطلاقها إلى آخر عمر الدنيا، حيث إن الإسلام رسالة خاتمة، وليس بعده نبوة أو رسالة.

ولهذا اكتسب منصب الإمامة والوصاية

أهمية بالغة وخطيرة في حركة الأمة، ومن هنا ندرك معنى قول النبي ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي»^(٧٠).

فالأئمة إذن؛ قوام الله على خلقه، وعرفاءه على عباده، ولا يدخل الله أحداً الجنة إلا من قد عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه^(٧١).

ومن خلال هذه السلسلة لأئمة الهدى الاثني عشر تطالع الأنموذج الأمثل لسيرة أولياء الله الصالحين، الهادين المهديين، وهي تضارع سيرة الأنبياء إن لم تكن تماثلها أو تسمو عليها في بعض الحالات. ولا تحسب ذلك غلوّاً منّا أو شططاً من القول، فالصحيح المتواتر عن النبي ﷺ أن عيسى بن مريم وهو نبي من أولي العزم ينزل عند خروج المهدي صاحب الزمان ﷺ ويكون بمثابة وزيره، ويصلي خلفه مأموماً^(٧٢).

وهكذا جميع الأئمة عليهم السلام كلّ له دوره المتميز، وهم متحدون في الصفات والأهداف، ومنهم إمامنا الجواد عليه السلام الذي لا

أصحاب الإمام والرواة عنه :

أصحاب الأئمة عليهم السلام عموماً ، والمحدثون والرواة منهم خاصة ، يشكّلون بلا ريب الامتداد الحضاري لفكر الإمام ورسالته على طول الفترة الزمنية التي يعيشها المحدث ، ثم الذي يحدث عنه .. وهكذا كلما تطاولت سلسلة الرواة عبر التاريخ كماً وكيفاً ، زادت الصلة وتوثقت ، وتعمّق الترابط بين تراثنا العريق وبين الحاضر المعاصر الجديد .

وسبق الحديث عن ما لأئمة أهل البيت عليهم السلام من دور في حركة المجتمع والتاريخ ، كذلك أصحابهم ووكلاؤهم عليهم السلام كان لهم أيضاً دور فاعل في عملية التغيير والبناء الرسالي التكاملي للأمة ، فقد كانوا بمثابة أذرع الإمامة الممتدة في الأمة ، وأصواتها الموصلة لرسالتهم إلى جماهير الناس وأفرادها .

ثم إنّ هؤلاء هم الحافظون لتراثهم الإسلامي الأصيل ، والناقلون له إلى الأجيال التالية من بعدهم . لهذا كان الأئمة عليهم السلام يحرصون على اصطفاء مجموعة من الأصحاب الثقات المخلصين الذين يرون فيهم أهلية تحمّل بعض علوم الإمام واستيعابها . فكانوا عليهم السلام يعدّونهم إعداداً

يختلف عن آبائه المعصومين عليهم السلام ، إنّما تميزوا باختلاف أدوارهم ، وتنوع مواقفهم حسب ظروف المرحلة التي مرّوا بها وطبيعتها .

ورغم قصر عمر أبي جعفر الثاني ، فقد تميزت حياته بدور فاعل ومؤثر في حركة المجتمع خاصة وأنه مهّد الطريق ، وهياً الأجواء لثلاثة أئمة أتوا من بعده كانت ظاهرة صغر السن بالنسبة إلى بعضهم تشكّل أمراً بالغ الخطورة ، خاصة في قضية الإمام القائم محمد بن الحسن المهدي عليه السلام .

وسوف نلمس العطاء الفكري والعلمي للإمام الجواد عليه السلام من خلال أصحابه وتلامذته والرواة عنه ، ومن خلال ما تناوله من علوم ومعارف أثّرت بها مدوّنتا الفقهية والحديثية ، رغم (الحصار المبطن) الذي أحيط بالإمام طيلة إقامته في بغداد والتي لم يُفصح المؤرخون عن مدتها تحديداً ؛ ومن خلال كلماته القصار التي هي مناهج للعقيدة .. وبرامج عمل نحو السمو والتكامل الروحي لبناء الإنسان وفق المنظور الإسلامي .

خاصاً؛ ليفضوا إليهم بعض أسرارهم وعلومهم.

وبذا فقد تخرج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام رجال أفذاذ يُعتبرون من مفاخر التاريخ، ونوادير الدنيا في مختلف العلوم من فقه وحديث وتفسير ولغة وفلسفة وأخلاق إلى غير ذلك ما شاء الله من العلوم والمعارف الإسلامية.

ولو تصفحنا تاريخ الثلة المؤمنة من أولئك الرجال الأماثل، وتتبعنا ما حفظوه لنا من تراثنا الإسلامي، فسنجد أن هناك كنوزاً من الذخائر أودعوها لنا في مدونات بلغ ما كتبه منها محمد بن أبي عمير - مثلاً - أربعاً وتسعين كتاباً، وما كتبه الفضل بن شاذان يبلغ مئة وثمانين كتاباً، ويونس ابن عبد الرحمن أكثر من ثلاثمئة كتاب، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم أكثر من سبعين كتاباً، وعلي بن مهزيار خمساً وثلاثين كتاباً.

فهذه أكثر من ستمئة وسبعين كتاباً لخمسة فقط من أصحاب الأئمة عليهم السلام، علماً بأن لدينا ما يزيد على ستة آلاف وستمئة كتاب^(٧٣) مؤلفة في أبواب الفقه والأحكام، اشتهر منها (٤٠٠) كتاب سميت (أصولاً) كانت هي المعول عليها في الرجوع إلى

المسائل الفقهية واستكشاف جواباتها الواقعية التي هي جوابات الأئمة عليهم السلام عن المسائل التي كانت تطرحها الناس عليهم، ثم اعتمدت هذه الأصول فيما بعد في كتابة مدوناتنا الحديثية.

ولو نظرنا إلى المعاجم الرجالية الأولى، فسنجد أن لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مجموعة كبيرة من الرجال والمحدثين تحيط به، تسمع منه، وعنه تأخذ أحكام الدين، وعن طريقه تعيد سماع أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وإمامنا الجواد عليه السلام واحد من تلك الكوكبة المختارة رحمة للبشرية، والقطب الذي كانت تدور عليه العلماء والفقهاء، ليس من الشيعة فحسب، بل ومن غير الشيعة من المذاهب والفرق والتيارات الأخرى. وفي تقديرنا أن عدد الأصحاب والرواة يشير إلى مدى تحرك الإمام في الأمة، وطبيعي أن للظروف السياسية أثراً إيجابياً في تحديد الكم الظاهري الذي يدور حول محور الإمام عليه السلام، والذي يستقطب إليه كل التيارات وإن كانت معاكسة ومخالفة في مسيرها للاتجاه الطبيعي للتحرك الإسلامي. وهذه هي إحدى مهام وأهداف الإمامة في العمل

والمحدثين ، وأعلام الفكر والأدب ، كما أن فيهم من العامة والغلاة والمجاهيل لدينا أو لمن ذكرهم بالمجهولية ، وهذه الجمهرة إن دلّت على شيء فإنّها أول ما تدلّ على مقدار ومدى ما يتمتع به الإمام عليه السلام من حصيلة علمية ثرة يتصاغر أمام سعتها وشموليتها أكابر العلماء ، وعظماء الفقهاء ، كما أن العدد الجم الذي صحب الإمام وهو في أوان شبابه ، ما صوبه إلا للاستفادة من ثراء علمه وحاجتهم إليه . كما تجد من بين هذا العدد الغفير ما يزيد على الأربعين من الرواة الثقات أو الوكلاء ، وفيهم من أجمعت الطائفة على تصحيح كل ما روه وإن أرسلوا ، ومنهم نحو هذا العدد أيضاً من أصحاب المؤلفات والشعراء . ولا يخفى ما لهؤلاء الأعلام من دور إيجابي فاعل في حفظ ونشر التراث الإسلامي الأصيل ، تراث أهل البيت عليهم السلام .

فمن ذكر في أصحاب الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام من العلماء والفقهاء من أصحاب المصنّفات :

١ - إبراهيم بن أبي البلاد يحيى ، أبو يحيى الكوفي : ثقة ، قارئ ، أديب ، له كتاب . عمّر طويلاً فصحب من الأئمة الصادق

الرسالي ، والتوجه التربوي الذي تقوم عليه . فالإمام هو القاسم المشترك الذي تلتقي عنده كل المعادلات ، وتقبله جميع الأرقام السياسية والعقيدية والفكرية ، وهو أمر لا يتهياً لكل أحد إلا من عصمه الله تعالى من الزلل والخطل ، وأعدّه لتولي هداية البشر .

ولو نظرنا إلى أصحاب ورواة الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام نظرة تحليلية فاحصة ، فإننا نجد أن هناك مجموعة كبيرة من الرواة والأصحاب نسبة إلى باقي الأئمة عليهم السلام مع الأخذ بنظر الاعتبار قصر عمر الإمام ، والظروف السياسية الخاصة التي كانت تحيط به ، ثم صغر سنّه وما قد عرفت فيما مضى من تردّد البعض في قبول إمامته ، ومع كل هذا فقد كانت حصيلة إمامنا الجواد عليه السلام من الصحابة والرواة والوكلاء أن أحصينا تعدادهم بما يقرب من (٢٥٠) وهو عدد لم يسبقنا إليه أحد ممن ترجم للإمام عليه السلام وعدّ أو أحصى رواته وصحبه من الرجاليين ، فالشيخ الطوسي - مثلاً - عدّ في موسوعته الرجالية (١١٦ هـ) من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ورواته .

كما أنك تلحظ أن بين هذه الجمهرة من الصحابة والرواة كبار العلماء والفقهاء

والكاظم والرضا والجواد عليه السلام. وروى عن الإمام الجواد عليه السلام، أثنى عليه الإمام الرضا عليه السلام في رسالة بعثها إليه.

٢ - إبراهيم بن أبي محمود الخراساني: ثقة، جليل القدر، من أهل الحديث والرواية، مصنف. مكفوف البصر. عُدَّ في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام، دعا له الإمام الجواد عليه السلام بالجنة.

٣ - إبراهيم بن مهزيار، أبو إسحاق الأهوازي: هو أخو علي بن مهزيار، عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام، وأدرك الإمام المهدي عليه السلام وشاهده. له كتاب البشارات.

٤ - أحمد بن إسحاق بن عبدالله، أبو علي الأشعري القمي: ثقة، عين، شيخ القميين ومبعوثهم ورابطهم مع الأئمة عليه السلام، اختص بالإمام العسكري عليه السلام وتوكل له. عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والعسكري عليه السلام، وتشرف بلقاء الإمام المهدي عليه السلام. له مؤلفات في الفقه.

٥ - أحمد بن عبدالله بن عيسى بن مصقلة الأشعري القمي: له كتاب عن الإمام الجواد عليه السلام.

٦ - أحمد بن محمد بن خالد، أبو جعفر البرقي: فقيه، محدث، مصنف، له نحو مئة مصنف كلها مفقودة عدا كتاب المحاسن المشهور وكتاب في الرجال عُرف بـ «رجال البرقي». توفي سنة (٢٧٤ هـ) وقيل سنة: (٢٨٠ هـ).

٧ - أحمد بن محمد بن عبيدالله الأشعري القمي: ثقة، له كتاب، يُعد في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام.

٨ - أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر، أبو جعفر البزنطي: ثقة، ثبت، مصنف. عُدَّ في أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد عليه السلام، توفي سنة (٢٢١ هـ).

٩ - أحمد بن محمد بن عيسى، أبو جعفر الأشعري القمي: فقيه، مصنف، شيخ القميين ورؤسهم. وهو أول من سكن قم من الأشعريين، جليل القدر، يلقي السلطان والولاة مكرماً مهابةً. عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليه السلام.

١٠ - إسماعيل بن سهل الدهقان: له كتاب، ذكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، وفيه ضعف.

١١ - إسماعيل ابن الإمام موسى بن

جعفر ، أبو أحمد : مصنف ، ذكر في أصحاب الإمام الجواد .

١٢ - أيوب بن نوح بن دراج ، أبو الحسين الكوفي : ثقة ، مأمون ، مصنف ، عد في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي . من خواص الإمام الجواد ، ولي قضاء الكوفة .

١٣ - بكر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو محمد الأشج : مصنف ، ذكر في أصحاب الإمام الجواد .

١٤ - بكر بن صالح الرازي : له كتاب ، عد في أصحاب الإمام الجواد .

١٥ - جعفر بن محمد بن يونس الأحول الصيرفي : ثقة ، له كتاب . عد في أصحاب الإمامين الجواد والهادي .

١٦ - الحسن بن سعيد بن حماد ، أبو محمد الأهوازي : مصنف ، جليل القدر ، واسع الرواية ، كوفي الأصل . عد في أصحاب الإمام الجواد شريك أخيه الحسين في تصانيفهما .

١٧ - الحسن بن العباس بن الحريش ، أبو علي الرازي : له كتاب ، عد في أصحاب الإمام الجواد .

١٨ - الحسن بن علي بن زياد ، أبو محمد الكوفي الخزاز المعروف بالوشاء : وجه من وجوه الشيعة ، له كتاب . عد في أصحاب الإمامين الرضا والهادي . وروى عن الإمام الجواد . وهو القائل في مسجد الكوفة : أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر ابن محمد .

١٩ - الحسن بن علي بن يقطين : له كتاب . عد في أصحاب الإمام الرضا ، ويروي عن الإمام الجواد .

٢٠ - الحسن بن محبوب بن وهب ، أبو علي السراد الكوفي : ثقة ، فقيه ، مصنف . أحد الأركان الأربعة في عصره . وهو من المجمع على تصحيح ما يروون وإن أرسلوا . ذكر في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا . روى عن الإمام الجواد . توفي أواخر سنة (٢٢٤ هـ) .

٢١ - الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي : ثقة ، مصنف ، كوفي ، شارك أخاه الحسن في جميع تصانيفهما .

٢٢ - حمدان بن إسحاق الخراساني : مصنف ، ذكر في أصحاب الإمامين الجواد والهادي .

(٥٢٣٦) .

٢٨ - عبد العزيز بن يحيى بن أحمد، أبو أحمد الجلودي البصري: ثقة، شيخ البصرة، مصنف، له حوالي (١٩٠) كتاباً في مختلف المواضيع. ذكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

٢٩ - عبدالله بن الصلت، أبو طالب القمي: ثقة، مسكون إلى روايته، يُعرف له كتاب في التفسير. عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام.

٣٠ - عبدالله بن محمد بن حسين الحصيني العبدى الاهوازي: ثقة، مصنف. عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام.

٣١ - عبدالله بن المغيرة، أبو محمد البجلي الخزاز الكوفي: ثقة، جليل القدر، صنف (٣٠) كتاباً، وعُدَّ من أصحاب الإجماع. عُدَّ في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام. وروى عن الإمام الجواد عليه السلام.

٣٢ - علي بن اسباط بن سالم، أبو الحسن الكندي الكوفي بياح الزطي: ثقة، محدث، معتمد، مصنف، من أوثق الناس وأصدقهم لهجة.

٢٣ - سعد بن سعد الأحوص بن سعد الأشعري القمي: ثقة، مصنف، من أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام. ترخَّم عليه الإمام الجواد عليه السلام هو وآخرين، وعُدَّ في رجاله والرواة عنه.

٢٤ - سهل بن زياد، أبو سعيد الآدمي الرازي: مصنف. عُدَّ في أصحاب الأئمة الجواد والهادي والعسكري عليه السلام.

٢٥ - صفوان بن يحيى، أبو محمد البجلي الكوفي: فقيه، ثقة، عين، مصنف، ورع، زاهد، من أوثق أهل زمانه. توفي بالمدينة المنورة سنة (٢١٠ هـ)، فأمر الإمام الجواد عليه السلام عمه إسماعيل بن موسى الكاظم بالصلاة عليه، دفن بالقيع.

٢٦ - عبد الرحمن بن عمرو بن مسلم، أبو الفضل التميمي الكوفي: ثقة، محدث، مصنف، عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام.

٢٧ - عبدالسلام بن صالح بن سليمان، أبو الصلت الهروي: ثقة، إمامي، صحيح الحديث مأمون، مصنف. مخالط للامة. أطراه العامة والخاصة. مولده بالمدينة، وفاته كانت سنة (٢٣٢ هـ)، وقال الخطيب: سنة

الأزدي النيشابوري: ثقة، جليل القدر، صنّف مئة وثمانين كتاباً. عُدّ في أصحاب الإمامين الهادي والعسكري، وروى عن الإمام الجواد عليه السلام. توفي سنة (٢٦٠ هـ).

٣٩ - محمد بن إسماعيل بن بزيع، أبو جعفر: ثقة، صالح، مصنّف. عُدّ في أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد عليه السلام. امتدحه الإمامان الرضا والجواد عليه السلام.

٤٠ - محمد بن إسماعيل الرازي: ثقة، مصنّف. روى عن الإمام الجواد عليه السلام.

٤١ - محمد ابن أورمة، أبو جعفر القمي: حديثه نقي لا فساد فيه، له أكثر من (٣٠) مصنّف. قال ابن الغضائري: رأيت كتاباً خرج من أبي الحسن علي ابن محمد عليه السلام إلى القميين في براءته مما كُذِّف به، وعُدّ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام. وروى عن ابنه الإمام الجواد عليه السلام.

٤٢ - محمد بن الحسن بن شمون، أبو جعفر البصري البغدادي: وصف بالوقف والغلو وطعن في مصنّفاته. تُروى له مكاتبات مع الإمام العسكري عليه السلام تدل على اعتداله واستقامة مذهبه، مصنّف. عُدّ في أصحاب الأئمة الجواد والهادي والعسكري عليه السلام.

٣٣ - علي بن بلال، أبو الحسن البغدادي: ثقة، مصنّف. عُدّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي والعسكري عليه السلام. كان حياً سنة (٢٣٢ هـ).

٣٤ - علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المدني المعروف بالعريضي: ثقة، جليل القدر، مصنّف. عُدّ في أصحاب الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليه السلام، وأدرك الإمام الجواد عليه السلام، توفي سنة (٢١٠ هـ) بالعريض من نواحي المدينة المنورة وبها دفن.

٣٥ - علي بن سيف بن عميرة، أبو الحسن النخعي الكوفي: ثقة، مصنّف. عُدّ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وروى عن الإمام الجواد عليه السلام.

٣٦ - علي بن عبدالله، أبو الحسن العطار القمي: ثقة، مصنّف. عُدّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام.

٣٧ - علي بن مهزيار، أبو الحسن الأهوازي: فقيه، ثقة، دين، له نحو (٣٣) كتاباً. عُدّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليه السلام.

٣٨ - الفضل بن شاذان، أبو محمد

عاش (١١٤) سنة ، وتوفي سنة (٢٥٨ هـ) .

٤٣ - محمد بن الحسين بن أبي الخطاب
زيد ، أبو جعفر الزيات الهمداني الكوفي :
ثقة ، عالم ، مصنف . عُدَّ في أصحاب الأئمة
الجواد والهادي والعسكري عليه السلام . توفي سنة
(٢٦٢ هـ) .

٤٤ - محمد بن حمزة العلوي المرعشي
الطبري : زاهد ، صالح ، له كتاب في
الفضائل .

٤٥ - محمد بن سهل بن اليسع الأشعري
القمي : الظاهر أنه ثقة ، معتمد ، له كتاب .
يروى عن الإمامين الرضا والجواد عليه السلام .

٤٦ - محمد بن عيسى بن عبيد بن
يقتين ، أبو جعفر العبيدي اليقطيني : ثقة ،
عين ، مصنف ، عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا
والهادي والعسكري عليه السلام ، وروى عن الإمام
الجواد عليه السلام .

٤٧ - محمد بن الفرّج بن عبدالله
الرخجي : ثقة ، وجه من وجوه الشيعة . عُدَّ
في أصحاب الأئمة الرضا والجواد
والهادي عليه السلام ، وروى أيضاً عن الإمام
الكاظم عليه السلام .

٤٨ - مروك بن عبيد بن سالم بن أبي

حفصة زياد : ثقة ، صدوق ، حتى إنّ القميين
قالوا إنّ كتاب نوادره أصل . عُدَّ في أصحاب
الإمام الجواد عليه السلام .

٤٩ - معاوية بن حكيم بن معاوية بن
عمار الكوفي الدهني : ثقة ، من أجلة العلماء
والفقهاء والعدول ، وهو فطحي . عُدَّ في
أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام .

٥٠ - معمر بن خلّاد ، أبو خلّاد البغدادي :
ثقة ، له كتاب ، ذكر في أصحاب الإمام
الرضا عليه السلام ، ولا يبعد إدراكه للإمام
الجواد عليه السلام .

٥١ - منذر بن قابوس : قال النجاشي :
منذر بن محمد بن المنذر بن سعيد ابن أبي
الجهم القابوسي ، أبو القاسم . من ولد قابوس
بن النعمان بن المنذر ، ثقة ، مصنف . عُدَّ في
أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

٥٢ - منصور بن العباس ، أبو الحسين
الرازي : قال النجاشي : سكن بغداد ، وبها
توفي . عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد
والهادي عليه السلام . وروى عن الإمام الجواد عليه السلام .

٥٣ - موسى بن عمر بن بزيع الكوفي :
ثقة ، له كتاب . عُدَّ في أصحاب الإمامين
الجواد والهادي عليه السلام .

٥٤ - موسى بن القاسم بن معاوية ، أبو عبد الله البجلي : ثقة ، جليل القدر ، حسن الطريقة ، صنف ثلاثين كتاباً . عُذَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد (عليه السلام) .

٥٥ . هارون بن الحسن بن محبوب البجلي : ثقة ، صدوق ، له كتاب . عُذَّ في أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام) .

٥٦ - يعقوب بن اسحاق ، أبو يوسف ابن السكيت : عالم ، أديب ، نحوي ، لغوي . له مؤلفات عديدة أشهرها اصلاح المنطق . وله عن أبي جعفر (عليه السلام) رواية ومسائل ، وكان متقدماً عنده وعند أبي الحسن (عليه السلام) وكاناً يختصانه .

طلب إليه المتوكل العباسي تأديب ولديه المعتز والمؤيد ، فأدبهما خير أدب حتى كانا يتسابقان على تقديم نعليه . ولما رأى المتوكل منهما ذلك ، وقد علم بتشييعه ، سأله هل ابناي هذان أفضل أم الحسن والحسين ؟ فغضب ابن السكيت وقال : والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ولديك . فأمر المتوكل حرسه من الاتراك أن يستلوا لسانه ، فسلّوه فمات من فوره رحمه الله كان ذلك في الخامس من رجب سنة (٢٤٤ هـ) .

٥٧ - يعقوب بن يزيد بن حماد ، أبو يوسف الأنباري السلمي الكاتب : ثقة ، صدوق ، مصنف ، من كتّاب الخليفة العباسي المنتصر . روى عن الجواد (عليه السلام) ، وكان من قبل من أصحاب أبيه .

تلك كانت جمهرة العلماء من أصحاب التصانيف ، وإليك طائفة أخرى من الثقات والمختصين بالإمام الجواد (عليه السلام) ومريديه ، وبعضاً من وكلائه :

١ - إبراهيم بن محمد الهمداني : ثقة ، كتب له الإمام الجواد (عليه السلام) كتاباً وكله فيه على همدان ونواحيها بعد موت يحيى بن أبي عمران ، فكان وكيله ، وأولاده من بعده وكلاء للأئمة الأطهار (عليهم السلام) . عُذَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) .

٢ - اسحاق بن إسماعيل ، أبو أحمد النيسابوري : ذكره ابن شهر آشوب في جملة ثقات الإمام الجواد (عليه السلام) ، وعُذَّ في أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .

٣ - إسحاق الأنباري : من أجلاء الشيعة ، كان محل ثقة الإمام الجواد (عليه السلام) .

٤ - الحسن بن راشد ، أبو علي البغدادي : فقيه ، من الوكلاء الأعلام

وتصديقهم. توفي سنة (٥٢٠٩ هـ) بعد أن تجاوز التسعين من العمر.

١١ - حمزة بن يعلى، أبو يعلى الأشعري

القمي: ثقة، وجه، روى عن الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام.

١٢ - خيران الخادم القرايطسي: ثقة،

جليل القدر، يظهر أنه كان وكيلاً للإمام الجواد عليه السلام ومن الموثقين لديه. أجازة الإمام الجواد عليه السلام بالعمل برأيه بشأن استلام الحقوق وصرفها بقوله عليه السلام: «فإن رأيك رأيي، ومن أطاعك فقد أطاعني».

١٣ - داود بن القاسم بن إسحاق، أبو

هاشم الجعفري: ثقة، جليل، شاعر أهل البيت عليهم السلام ولازم الإمام الجواد عليه السلام. عاصر خمسة من الأئمة عليهم السلام من الإمام الرضا وحتى الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام وروى عنهم. وله فيهم شعر جيد. حُبس سنة (٥٢٥٢ هـ) في سامراء هو والإمام الهادي عليه السلام معاً في سجن واحد. عُذَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام. توفي سنة (٥٢٦١ هـ).

١٤ - الريان بن شبيب: ثقة، ذكر في

أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام، وهو

الممدوحين. عُذَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام. يروي عن الإمام الجواد عليه السلام.

٥ - الحسن بن محمد بن عبيدالله

الأعرج: هو من السادات العلوية، وهو أحد شهود وصية الإمام الجواد عليه السلام إلى ابنه أبي الحسن الهادي عليه السلام، وقد كتب شهادته وأمضاها مع آخرين.

٦ - الحسين بن أسد البصري: ثقة، عُذَّ

في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

٧ - الحسين بن مسلم بن الحسن: وثقه

ابن شهر آشوب في مناقبه، وعُذَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

٨ - الحسين ابن الإمام موسى بن

جعفر عليه السلام أبو عبدالله: كان مقرأً بإمامة أخيه الرضا وابنه الجواد عليهما السلام.

٩ - حماد الشاعر: ذُكر أنه شاعر الإمام

الجواد المختص به هو وداود بن القاسم الجعفري الآتي ذكره.

١٠ - حماد بن عيسى، أبو محمد الجهنني

البصري: كوفي سكن البصرة، فقيه، ثقة، صدوق، ثبت في الحديث. قيل: إنه ممن أجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم

خال المعتصم العباسي .
الصادق عليه السلام ، وذكر أيضاً في أصحاب الإمام
الكاظم عليه السلام .

٢١ - عبدالعزيز بن المهدي بن محمد
الأشعري ، القمي : ثقة ، جليل القدر ، توكل
للإمام الرضا عليه السلام ، وكان من خاصته ، وعُدَّ
في أصحابه .

٢٢ - عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن
الحسين بن زيد ابن الإمام الحسن
المجتبى عليه السلام أبو القاسم الحسن الرازي :
ثقة ، محدث ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ،
ذو ورع واجتهاد .

أدرك من الأئمة : الرضا والجواد
والهادي عليه السلام . كانت ولادته نحو سنة (٢٠٠ هـ) ،
أما وفاته فقد ترددت بين سنة (٢٥٠ هـ)
و (٢٥٢ هـ) أو (٢٥٥ هـ) .

٢٣ - عبدالله ابن الإمام موسى بن
جعفر عليه السلام : شيخ كبير ، عابد زاهد ، عليه أثر
السجود ، صحب الإمام الجواد عليه السلام فترة من
حياته . كان يعظم الإمام كثيراً .

٢٤ - علي بن حسان ، أبو الحسين
الواسطي القصير المعروف بالمنمّس : ثقة ،
عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ، وقد عمّر
أكثر من مئة سنة .

١٥ . الريان بن الصلت ، أبو علي
الأشعري القمي : ثقة ، معتمد عليه ،
صدوق ، روى عن الإمام الجواد عليه السلام ، وقبل
ذلك كان له اتصال بالإمام الرضا عليه السلام .

١٦ - زكريا بن آدم بن عبدالله ، أبو يحيى
الأشعري القمي : ثقة ، عظيم القدر ، ذكر في
أصحاب الأئمة الصادق والرضا والجواد عليه السلام .
وصفه الإمام الرضا عليه السلام بأنه المأمون على
الدين والدنيا . ترخّم عليه الإمام الجواد عليه السلام
حين سمع بموته في قم . وهو المدفون في
المقبرة التي تُعرف اليوم بمقبرة شيخان .

١٧ - سعيد بن جناح : ثقة ، روى عن
الإمام الجواد عليه السلام ، كوفي الأصل ، نشأ وتوفي
ببغداد .

١٨ - شاذان بن الخليل النيسابوري : والد
العالم الفاضل المتكلم الفضل ابن شاذان ،
فقيه ، فاضل ، جليل القدر ، عُدَّ في أصحاب
الإمام الجواد عليه السلام .

١٩ - صالح بن محمد الهمداني : ثقة ، عُدَّ
في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام .

٢٠ - عبد الحميد بن سالم العطار
الكوفي : ثقة ، عُدَّ في أصحاب الإمام

٣٢ - أبو الحصين بن الحصين
الحصيني: ثقة، عُدَّ في أصحاب الإمام
الجواد عليه السلام.

٣٣ - حكيمة بنت علي بن موسى
الرضا عليه السلام: جليلة القدر، عظيمة المنزلة،
حدّثت عن أخيها الجواد عليه السلام.

٣٤ - حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام:
وهذه أيضاً جليلة القدر، عظيمة المنزلة،
حضرت ولادة الإمام المهدي عليه السلام. كان لها
دور بارز في عملية السفارة وإيصال الكتب
إلى الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى.
توفيت سنة (٢٧٤ هـ) ودفنت عند رجلي
الإمامين العسكريين.

هذه المجموعة الكبيرة من الثقات والتي
سبقتهما من أصحاب المؤلفات والتصانيف
وغيرهم من رواة الإمام وأصحابه يشكلون
رصيداً علمياً ثراً لا غناء لنا عنه ولا محيد،
وهم بعد هذا يُعتبرون أوتاد المذهب وحفظة
التراث، وسلفنا الصالح الذين بهم يُقتدى،
وعليهم يُعَوَّل.

ثم إنّ الإمام عليه السلام باعتبار دوره القيادي
الرائد في الأمة، وما يحمله من علوم
ومعارف، الأمر الذي جعله محوراً يدور عليه

٢٥ - علي بن عاصم الكوفي: شيخ
الشيعة في وقته، محدّث، زاهد عابد. قيل:
كان يحفظ (١٠٠ ألف) حديث. توفي سجيناً
زمن المعتضد العباسي قبل سنة (٢٨٩ هـ)،
وقد تجاوز التسعين من العمر.

٢٦ - محمد بن إبراهيم الحضيبي
الأهوازي: كان يُعد من خواص الإمام
الجواد عليه السلام، وقد ترخّم عليه الإمام لمّا علم
بموته. عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

٢٧ - محمد بن عبد الجبار الشيباني
القمي: ثقة، عُدَّ في أصحاب الإمامين
الجواد والهادي عليه السلام.

٢٨ - محمد بن يونس بن عبد الرحمن:
ثقة، عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا
والجواد عليه السلام.

٢٩ - المختار بن زياد العبدي البصري:
ثقة، عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام.

٣٠ - مصدق بن صدقة المدائني: ثقة،
من أجلة الفقهاء والعلماء، عُدَّ في أصحاب
الإمام الجواد عليه السلام وقد عمّر مئة سنة.

٣١ - يحيى بن أبي عمران الهمداني:
وكيل الإمام الجواد عليه السلام في نواحي همدان.

أن أئمة أهل البيت عليهم السلام جميعاً هم أبواب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يختلفون سعة، ولا يتميزون عمقاً، ولا تتباين أهدافهم البتة، وإنما الاختلاف والتباين والتنوع في أدوار كل منهم، تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والاقليمية التي تتحكم في مساحة تحرك كل إمام على الساحة الإسلامية، وفي صفوف الأئمة.

فهناك دور مفروض للأئمة عليهم السلام في نصّ الشريعة الإسلامية، وهو دور صيانة تجربة الإسلام.. وتعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً في الأئمة.. والمحافظة على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي.

ولقد تمثل الدور الإيجابي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، في أنهم استطاعوا الابقاء على المعالم الدينية الأساسية للأئمة، والحفاظ على طابعها الرسالي، وهويتها الفكرية من ناحية، ومقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة، وضربها في بدايات تكوينها من ناحية أخرى.. ^(٧٥)

وبعد ذلك فإن الرسالة الإسلامية تعنى بالإنسان من كل نواحيه، وتأخذ بيده إلى كل مجالاته ولا تفارقه، وهو على مخدعه في

فلك الأئمة الإسلامية، بمختلف اتجاهاتها وتياراتها المذهبية، ولا عجب إذن لو رأيت أن بعض رواة الأئمة عليهم السلام من غير شيعتهم ^(٧٤)، بل ولعل البعض منهم من الغلاة أو الواقفة وغيرهم، وهذا يؤكد ما قلناه من محورية الإمام في الإشعاع العلمي الإسلامي واستقطابه لكافة الفعاليات العلمية والاجتماعية في عصره.

ولولا الأوضاع السياسية التي مرّت على الأئمة الإسلامية وعصفت بها منذ عهد بني أمية وحتى زمن متأخر من عصورنا الحاضرة لألفت الصحاح والمدونات الحديثية قد ملئت بحديث أهل البيت عليهم السلام بعشرات أضعاف ما تحتويه اليوم، لكن الخوف من روايته قد حال دون ذلك؛ لأن عقوبة روايته كانت تواجه من قبل السلطان بأقسى ما تتصور من عقوبة أقلها كان هدم داره، وحذف اسمه من ديوان العطاء، ونفيه مع من يلوذ به في العراء، وهو المرحوم بحاله من قبل السلطة، هذا إذا لم تنل السيوف من حبال رقبته.

دور الامام عليه السلام في الحياة العلمية

من المقدمات التي يلزم التذكير بها هنا



فراشه، وهو في بيته بينه وبين ربّه، بينه وبين نفسه، بينه وبين أفراد عائلته، وهو في السوق، وهو في المدرسة، وهو في المجتمع، وهو في السياسة، وهو في الاقتصاد، وهو في أي مجال من مجالات حياته^(٧٦)، ومن هنا يتوجب في القائد أن يكون على اطلاع ومعرفة بكلّ مناحي الحياة، واستيعاب لمجمل العلوم التي يحتاجها أهل الأرض، ولكلّ ما نزل من السماء، وهو مالم يتحقق في غير النبي ﷺ، وبمن أودعهم مكنون علومه من أهل بيته المعصومين المنتجبين الأبرار ﷺ.

وقد ورد في الأخبار أن من صفات الإمام ﷺ: «أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه، وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس». فيحتاج الناس إليه، ويستغني عنهم^(٧٧).

من هنا نقف على أن علم الأئمة الاثني عشر ﷺ واحد، فعلم أولهم كعلم آخرهم، علم إلهامي يتوارثونه خلفاً عن سلف، صغيرهم وكبيرهم فيه سواء، بل ورد أن الأئمة ﷺ تنتقل إليهم بعض مواريث الأنبياء ﷺ أيضاً، كالسيف والخاتم والعصا،

وغيرها. إضافة إلى ما يعلمونه من أحكام جميع رسالات السماء السابقة. وحديثهم أيضاً واحد ليس فيه اختلاف وتعارض، وإن ظهر في ألفاظ ومعان مختلفة؛ لأنّه صادر من منبع واحد، فهم ﷺ يحدّثون عن آبائهم عن النبي ﷺ عن جبرئيل ﷺ عن الله تبارك وتعالى، وذلك ما جاء في قول الإمام الصادق ﷺ: «إنّ حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ^(٧٨)».

بعد هذه المقدمة نعود إلى ساحة قدس إمامنا الجواد ﷺ، كي نستلهم من فيض علومه ما نتمكن من خلاله رسم خط بياني نستطيع به استشفاف واستقراء نشاط الإمام العلمي خلال حياته القصيرة جداً، ورغم سني التضييق والإقامة الجبرية في بغداد، وإن لم تكن معلومة العدد، إلّا أنها بلا شك ليست قليلة بالنسبة إلى المدة التي عاشها ﷺ.

دوره في الفقه وأحكام الشريعة:

لفقه مدرسة أهل البيت ﷺ سمات بارزة

الفقهي هو عين الحديث عن فقه أهل البيت عليه السلام الذين أمرنا بطاعتهم والاقتداء بهديهم والتمسك بحبلهم، وذلك أمان من الضلالة بنص حديث الثقلين المتواتر عند جميع فرق المسلمين .

أما عن الموارد الفقهية الكثيرة المروية عن الإمام الجواد عليه السلام والتي لا تتسع لها هذه الدراسة الموجزة؛ فهي دالة بلا شك على أنه عليه السلام ملأ الفراغ الفقهي في عصره وأنه قد أغنى الساحة الإسلامية، وشيعته على وجه الخصوص عن غيره، فلم يلتمسوا حلول مشكلاتهم واجابات اسئلتهم من أحد غيره، وهم الطائفة الواسعة الانتشار في شرق بلاد المسلمين وغربها .

ومن خلال قراءة واستعراض لبعض تلك الموارد نستخلص أن الإمام الجواد عليه السلام كان مبرزاً على جمهور الفقهاء، وكبار العلماء والقضاة المعاصرين له ..

فمن حيث مجلسه عليه السلام في ديوان الخلافة، ما كان ليجلس إلا بموازة مجلس الخليفة، والعلماء والقضاة في مجلسهم جميعاً كانوا دون مجلسه، ويمثلون بين يديه - هيبة - عند محادثته ..

متميزة عن سائر الفقه السائد في مدرسة الرأي، وخلاصة تلك السمات أنه يستمد مقوماته من القرآن الكريم أولاً، ثم السُّنة الثابتة ثانياً، ولهذا أصبح فقه مدرسة أهل البيت عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لفقه القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، وليس فيه شيء من عمل الرأي أو استعمال القياس والاستحسان وما شابه ذلك، وهناك عشرات بل مئات الروايات المصَّرحَة بأن كل ما لدى أهل البيت عليه السلام إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله توارثوه واحداً بعد واحد وصولاً إلى الإمام المهدي عليه السلام (٧٩) .

ويتميز أيضاً بالشمولية فانه لم يدع ملحظاً كلياً أو جزئياً إلا وقد بينه بمنتهى الدقة والتفصيل، أما من حيث الامتداد الزمني فهو فقه الأمس واليوم وغداً، لصلاحيته لكل زمان وامتداده إلى حل كل مشكلات الحياة .

ومما تقدم يتبين أن فقه أهل البيت فقه واحد لا يقبل التفكيك والفصل، فلا يمكننا أن نقول: إن هذا هو فقه الإمام علي عليه السلام وهذا فقه الإمام الصادق عليه السلام وهكذا بالنسبة إلى جميع أئمة أهل البيت المعصومين عليه السلام .

فحديثنا إذن عن دور الإمام الجواد

وأما آراؤه في (العقيدة ، والتفسير ، والفقه) فهي المقدمة على بقية الآراء ؛ لأنها تعكس واقعاً وحقيقة روح الإسلام ، وذلك إذ يتجلى من خلال ما مرّ من مناظرات أو من خلال ما أثبتته لنا التأريخ في قصة الزواج في عهد المأمون . . أو قصة السارق الذي اعترف على نفسه بالسرقة في عهد المعتصم ، وقد طلب السارق من الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه فأرّجى الحكم عليه إلى وقت معلوم . واستدعى المعتصم لذلك جمعاً من العلماء والقضاة إلى مجلسه للحكم في القضية ، واستدعى من جملة من استدعى الإمام الجواد (عليه السلام) إلى ذلك المجلس الضخم الذي عقده لهذا الغرض ، وكان الإمام (عليه السلام) يومذاك الشاب ابن الخامسة والعشرين سنة أو نحوها .

ورغم أن الرواية التي بين أيدينا لم تُسمّ الفقهاء الذين حضروا مجلس الحكم ، ولا عددهم ؛ لكن بداهة يمكن الجزم - ويشاركنا هذا الرأي كلّ أحد - بأن الخليفة ما يستدعي إلى مجلسه إلا الطبقة الأولى من فقهاء بغداد ، ومحدثيها المرموقين ، وقضاتها المتمكنين ، لا ضعافها ومغموريها أو أذئاب الناس وشذاذهم . وعليه نستطيع أن

نشخص مجموعة من فقهاء تلك المرحلة ، ورؤوس مذاهبها ، وأكابر قضاتها من الذين يمكن أن يُستدعون إلى ديوان الخلافة ؛ لإبداء رأي فقهي ، أمثال : إبراهيم بن سيار بن النظام (ت / ٢٣١ هـ) ، إبراهيم بن المهدي المصيصي (ت / ٢٢٥ هـ) ، أبو ثور إبراهيم ابن خالد الكلبي البغدادي (ت / ٢٤٠ هـ) ، أبو حسان الزبّادي الحسن بن عثمان (ت / ٢٤٢ هـ) وقيل : أبو حيّان ، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت / ٢٣٤ هـ) ، أبو معمر الهذلي (ت / ٢٣٦ هـ) ، أبو نصر التمار ، أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف العبدي (ت / ٢٣٥ هـ) كان نسيج وحده وعالم دهره ، لم يتقدمه أحد من الموافقين له ولا من المخالفين ، أحمد بن إبراهيم الدورقي العبدي (ت / ٢٤٦ هـ) ، أحمد بن أبي دؤاد (ت / ٢٤٠ هـ) قاضي قضاة الدولة العباسية ، أحمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ) ولو أنه لم يكن يحضر مجالس الخلفاء إلا أنه لا يمنع أن يجيب إذا استدعي ، أحمد بن الفرات (ت / ٢٥٨ هـ) ، أحمد بن منيع البغوي (ت / ٢٤٤ هـ) ، إسحاق بن أبي إسرائيل ، إسماعيل بن إسحاق السراج ، إسماعيل بن أبي أويس (ت

عبدالرحمن بن إسحاق الشافعي القاضي ،
عبدالرحمن ابن كيسان الأصم ، عبيدالله بن
محمد بن الحسن ، علي بن الجعد الجوهري
البغدادى (ت / ٢٣٠ هـ) الحافظ الحجة
مُسند بغداد ، علي بن الجنيد الإسكافي ،
عيسى ابن صبيح أبو موسى من علماء
المعتزلة والمقدمين فيهم ، قتيبة بن سعد ،
القواريري عبيدالله بن عمر ، كامل بن طلحة
الجحدري (ت / ٢٣١ هـ) ، المحاسبي
الحارث بن أسد (ت / ٢٤٣ هـ) ، محمد ابن
بكار بن الريان البغدادى (ت / ٢٣٨ هـ) ،
محمد بن حاتم بن ميمون السمين (ت /
٢٣٥ هـ) الحافظ المجود المفسر ، محمد بن
الحسين البرجلاني الحنبلي (ت / ٢٣٨ هـ) ،
محمد بن حماد وكان مقرباً من المأمون
العباسي ، محمد بن سعد (ت / ٢٣٠ هـ)
صاحب الطبقات الكبرى ، محمد بن سماعة
(ت / ٢٣٣ هـ) تولى القضاء للرشد وبقي فيه
إلى أن ضعف بصره في عهد المعتصم
فصرفه عنه بإسماعيل بن حماد وتوفي وله
مئة وثلاث سنين ، محمد بن عبدالله بن
المبارك المخزومي (ت / ٢٥٤ هـ) ، محمد بن
هارون الورّاق (ت / ٢٤٧ هـ) ، النضر بن
شميل ، هارون بن عبدالله الحمال البغدادى

(٢٢٦ هـ) وهو ابن أخت مالك بن أنس ،
إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ولي القضاء
للمعتصم بعد ابن سماعة ، بشر بن المعتمر
الهلالى رئيس معتزلة بغداد في زمانه ، بشر
ابن الوليد الكندي الحنفى (ت / ٢٣٨ هـ) ،
ثمامة بن الأشرس وكان واحد دهره في العلم
والأدب ، جعفر بن حرب الهمداني (ت /
٢٣٦ هـ) ، جعفر ابن عيسى الحسنى أحد
القضاة ، جعفر بن مبشر الثقفي (ت / ٢٣٤
هـ) ، الحسن ابن عرفة العبدي (ت / ٢٥٧
هـ) ، حفص بن عمر بن عبدالعزيز الدورى
البغدادى (ت / ٢٤٦ هـ) إمام القراء وشيخ
زمانه ، حيّان بن بشر تسلّم قضاء الكرخ سنة
(٢٣٧ هـ) ، خلف بن هشام البزار (ت / ٢٢٩
هـ) ، سجادة أبو علي الحسن بن حماد
الحضرمي البغدادى (ت / ٢٤١ هـ) من أجلة
العلماء في زمانه ، سعدويه الواسطي سعيد بن
سليمان (ت / ٢٢٥ هـ) ، سليمان بن داود
العتكي (ت / ٢٣٤ هـ) ، سوار بن عبدالله
العبري التميمي (ت / ٢٤٥ هـ) تسلّم قضاء
الرصافة سنة (٢٣٧ هـ) ، شجاع بن مخلد
الفلّاس البغوي (ت / ٢٣٥ هـ) ، شعيب بن
سهل الرازي الملقّب شعبيوه (ت / ٢٤٦ هـ)
قاضي الرصافة للمعتصم العباسي ،

(ت / ٢٤٣ هـ) ، هارون بن عبدالله الزهري
(ت / ٢٣٢ هـ) ، يحيى ابن أكرم التميمي
المروزي البغدادي (ت / ٢٤٢ هـ) قاضي
القضاة الفقيه العلامة من أئمة الاجتهاد ،
يحيى بن معين أبو زكريا المرّي البغدادي
(ت / ٢٣٣ هـ) الحافظ شيخ المحدثين
وإمامهم ، يعقوب بن إبراهيم الدورقي (ت /
٢٥٢ هـ) محدث العراق ^(٨٠) .

وأضراب هؤلاء كثير مما يطول به المقام
من الذين كانوا ببغداد يومذاك ويشار إليهم
بالمشيخة والتفرد بالفضل والعلم .

فالرواية التي ينقلها العياشي عن زرقان
وهو محمد بن شداد أبو يعلى المسمعي (ت
/ ٢٧٨ أو ٢٧٩ هـ) وقد عمّر طويلاً ، وهو
أيضاً من الفقهاء والمتكلمين . قال العياشي :
عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد وصديقه
بشدة ، قال : رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من
عند المعتصم وهو مغتم ، فقلت له في ذلك ،
فقال : وددت اليوم أني قد مت منذ عشرين
سنة ، قال : قلت له : ولم ذاك ؟ قال : لما كان
من هذا الأسود أبا جعفر محمد بن علي ابن
موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين
المعتصم ، قال : قلت له : وكيف كان ذلك ؟
قال : إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة ، وسأل

الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه ، فجمع
لذلك الفقهاء في مجلسه ، وقد أحضر محمد
بن علي عليه السلام ، فسألنا عن القطع في أيّ
موضع يجب أن يقطع ؟ قال : فقلت : من
الكرسوع ، قال : وما الحجة في ذلك ؟ قال :
قلت : لأنّ اليد هي الأصابع والكف إلى
الكرسوع ؛ لقول الله في التيمم : ﴿ فَأَمْسَحُوا
بُيُوتِهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ ^(٨١) واتفق معي على
ذلك قوم .

وقال آخرون : بل يجب القطع من
المرفق ، قال : وما الدليل على ذلك ؟ قالوا :
لأنّ الله لما قال : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى
الْمَرَافِقِ ﴾ ^(٨٢) في الغسل دلّ ذلك على أن
حدّ اليد هو المرفق ، قال : فالتفت إلى محمد
بن علي عليه السلام ، فقال : ما تقول في هذا يا أبا
جعفر ؟ فقال : قد تكلم القوم فيه يا أمير
المؤمنين ، قال : دعني مما تكلموا به ، أيّ
شيء عندك ؟ قال : اعفني عن هذا يا أمير
المؤمنين . قال : أقسمت عليك بالله لما
أخبرت بما عندك فيه ، فقال : أما إذا أقسمت
عليّ بالله إنّي أقول إنهم أخطأوا فيه السنة ،
فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول
الأصابع ، فترك الكف . قال : وما الحجة في
ذلك ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه وآله : السجود

بدعاً من القول إذا سلّمنا بأنهم عدل القرآن ؛
للنبوي الصحيح المروي في المدونات
الحديثية لدى الفريقين سواء بسواء ، ذلك هو
حديث : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتهم بهما لن
تضلوا بعدي أبداً »^(٨٦) .

إذا علمت هذا ، فينبغي بمن هو عدل
الكتاب وقرينه ، أن يكون عالمًا بكل آياته ،
ومحيطاً بجميع أسرارهِ ومحكمه ومتشابهه ،
ناسخه ومنسوخه ، وهكذا كان أهل
البيت عليهم السلام قرآنًا ناطقًا يهدي للتي هي أقوم ،
ويبشّر المؤمنين بخط ولايتهم بأن لهم قدم
صدق عند مليك مقتدر .

وعلى الرغم من أن ما وصل إلينا عن
الأئمة الميامين عليهم السلام بشأن القرآن الكريم
وتفسيره لا يشكل إلا نزرًا يسيرًا لما يمتلكون
من حصيلة علمية ، وثراء فكري ليس لهما
حدود ، إلا أن المتصدي لتفسير القرآن
الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام
لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله ،
أبرزها تفسير القرآن بالقرآن ، والقول بسلامة
القرآن من التحريف وغيرها من المبادئ
الأساسية لادراك معاني الكتاب الكريم .

وإماننا الجواد عليه السلام هو واحد من تلك

على سبعة أعضاء : الوجه واليدين والركبتين
والرجلين^(٨٣) . فإذا قطعت يده من الكرسي
أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال
الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾^(٨٤)
يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد
عليها ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وما كان
لله لم يقطع ، قال : فأعجب المعتصم ذلك
وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع
دون الكف ، قال ابن أبي دؤاد : قامت قيامتي
وتمنيت أني لم أك حيًّا^(٨٥) .

فلسان الرواية يبين أن الخليفة أعد مسبقاً
لذلك المجلس جمعاً غفيراً من الفقهاء
للحكم في هذه المسألة ، ويبدو أيضاً أنه
اختارهم على مختلف المشارب والاتجاهات
الفقهية والفكرية ؛ لأنّ الوقت آنذاك كان
وقت كلام ومساجلات وتعدد في الآراء
الفقهية .

دوره في تفسير القرآن :

من نافلة القول إن الأئمة من أهل البيت
النبوي الطاهر عليهم السلام ، هم الراسخون في
العلم ، المفسرون للقرآن الكريم كما أنزله
الله وأراد حقيقته ، وهم وحدهم العالمون
بتأويله ، والدليل على ظاهره وباطنه . وليس

الكوكبة، لا يمكن الاستغناء عما وصلنا عنه في التفسير بحال، وهو كثير جداً لو استخرج من مظانه، وجمع شتاته.

ومن أمثلة تفسيره ﷺ، ما نقله الكليني في الكافي بسنده عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري الذي قال: قلت لأبي جعفر ﷺ سائلاً عن معنى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٨٧).

فقال ﷺ: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟!»^(٨٨).

ونقل شيخ الطائفة في تهذيبه، بسنده عن السيد (عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ أنه قال: سألتَه عما أهل لغير الله. قال: «ما ذُبِح لصنم أو وثن أو شجر، حرم الله ذلك كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير» ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٨٩) أن يأكل الميتة». قال: فقلت له: يابن رسول الله، متى تحل للمضطر الميتة؟ فقال: «حدثني أبي عن أبيه، عن آبائه ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل ف قيل له: يا رسول الله

إنا نكون بأرض فتصيينا المخمصة، فمتى تحل لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تحتفوا بقلأ، فشأنكم بهذا».

قال عبد العظيم: فقلت له: يابن رسول الله فما معنى قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟ قال: «العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً؛ ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرا، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر».

قال: قلت له: فقول الله تعالى: ﴿وَالْمُنْحَنَةَ وَالْمَوْقُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾^(٩٠). قال: «المنحنة: التي انحنقت بأخناقها حتى تموت. والموقودة: التي مرضت ووقدتها المرض حتى لم تكن بها حركة. والمتردية: التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت. والنطيحة: التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت. وما أكل السبع منه فمات. وما ذُبِح على حجر أو على صنم، إلا ما أدركت ذكاته فذكي».

نفسه إلى اللعب بالورقة المذهبية من جهة وظهور طبقة من وعّاظ السلاطين نظمت نفسها وكيفتها على نمط خاص للدخول في اكمام السلطان والعيش تحت أباطه، قانعين بما ينالهم من تنانة الموقع، والإذلال والصغار، مقابل أن لا يُحرموا من بذخ القصور، ودعة العيش، وفاخر الثياب، وبدر الدراهم.

وتموج الأمة في ضلال تيارات عقيدية وفكرية عديدة فمن مشبهة إلى معطلة إلى مجبرة إلى غير ذلك من العقائد الباطلة والدعاوى المنحرفة، التي أثّرت في عصره عليه السلام، مما لا تتسع له صفحاتنا هذه، وكان للإمام الجواد عليه السلام دور بارز في ترسيخ العقائد الإسلامية والدفاع عنها، وتصحيح معتقدات الناس مما قد يخطر في أذهانهم من تصورات خاطئة حول أصول الاعتقاد.

التوحيد والصفات:

فعندما يُسئل من قبل عبدالرحمن بن أبي نجران عن التوحيد حين قال له: أتوهم شيئاً؟

أجابه الإمام عليه السلام من فوره: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من

قلت: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾؟ قال: «كانوا في الجاهلية يشترون بغيراً فيما بين عشرة أنفس، ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة، سبعة لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها. أما التي لها أنصباء: فالفدّ، والتوأم، والنافس، والجلس، والمسبل، والمعلّى، والرقيب^(٩١). وأما التي لا أنصباء لها: فالسفع، والمنيج، والوعد. وكانوا يجيلون السهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون كذلك حتى تقع السهام التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة، فيلزم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكل السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة شيئاً. فلما جاء الإسلام حرم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرم، وقال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَكُمْ فُسْقٌ﴾ يعني حراماً^(٩٢).

دوره في ترسيخ العقائد الإسلامية:

في هذا المقطع التاريخي الذي عاصره الإمام الجواد عليه السلام كانت حمى ظهور المذاهب الكلامية والعقائدية تأخذ بالانتشار هنا وهناك، يساعد على ذلك توجه الحاكم

(٩٦)

مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿٩٦﴾ .

وروى داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري أنّ رجلاً ناظر الإمام الجواد عليه السلام في أسماء الله تعالى وصفاته، فقال: (كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماءه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ لهذا الكلام وجهين:

إن كنت تقول: هي هو، أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك.

وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل فإنّ (لم تزل) محتمل معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم.

وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها - أي الأسماء - وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه، ويعبدونه وهي ذكره.

وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء

شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام.

كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل، وخلاف ما يُتصوّر في الأوهام؟ إنّما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود» (٩٣).

ويُسأل الإمام عليه السلام أيضاً عن البارئ تبارك وتعالى أنه يجوز أن يقال له: إنّه شيء؟

(قال: «نعم، يُخرجه من الحدين: حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه» (٩٤).

وفي الكافي أيضاً أن عبد الرحمن بن أبي نجران كتب إلى أبي جعفر عليه السلام أو سأله قائلاً: (جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟

فقال: «إنّ من عبد الإسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر ووجد، ولم يعبد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء، دون الأسماء. إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه» (٩٥).

وفي إطار الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى، يسأله داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري عن معنى الواحد. فيجيبه الإمام عليه السلام قائلاً: «إجماع الألسن عليه بالوحدانية، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ

واللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك ، وموضع النشوء منها ، والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها ، وإقام بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار . فعلمنا أنَّ خالقها لطيف بلا كيف ، وإنَّما الكيفية للمخلوق المكيف .

وكذلك سمينا ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتتمل الزيادة ، وما احتتمل الزيادة احتتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً .

فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ، ولا ند ، ولا كيف ، ولا نهاية ، ولا تبصار بصر . ومحزَم على القلوب أن تُمثله ، وعلى الأوهام أن تحدّه ، وعلى الضمائر أن تكونه جلَّ وعزَّ عن أداة خلقه ، وسمات بريته ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(٩٧) .

الفرق المنحرفة :

في رجال الكشي عن علي بن مهزيار قال : (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول - وقد ذكر عنده أبو الخطاب^(٩٨) - : « لعن الله أبا

والصفات مخلوقات . والمعاني والمعنيُّ بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف وإنَّما يختلف ويأْتلف المتجزئ ، فلا يقال : الله مؤتلف ، ولا : الله قليل ، ولا كثير ، ولكنه القديم في ذاته ؛ لأنَّ ما سوى الواحد متجزئ ، والله واحد لا متجزئ ، ولا متوهم بالقلة والكثرة ، وكلَّ متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دالٌّ على خالقٍ له .

فقولك : (إنَّ الله قدير) ، خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز ، وجعلت العجز سواه . وكذلك قولك : (عالم) ، إنَّما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل سواه . وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، ولا يزال من لم يزل عالماً .

فقال الرجل : فكيف سمينا ربنا سميعاً ؟

فقال الإمام : « لأنَّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سميناه بصيراً ؛ لأنَّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأبصار . من لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر لحظة العين .

وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء

الخطاب، ولعن أصحابه، ولعن الشاكين
في لعنه، ولعن من وقف فيه، وشك
فيه...»^(٩٩).

وبالإضافة إلى لعن الإمام عليه السلام لأبي
الخطاب وأصحابه، فإنه عليه السلام وقف موقفاً
حاسماً من الفرقة الواقفية وغيرها. فقد أورد
الكشي بسنده عن محمد بن رجاء الحنّاط،
عن محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال:
«الواقفة حمير الشيعة».

ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١٠٠).

كما تجلّى موقفه الحاسم هذا في نهيه
عن التعامل مع الفطحية والواقفة ولم يجوّز
الصلاة خلف أحدهم^(١٠١).

الردّ على الأحاديث الموضوعة:

وفي إطار البحوث العقائدية ردّ الإمام
الجواد عليه السلام على جملة وافية من الأحاديث
الموضوعة في فضائل بعض الصحابة، التي
روّج لها بنو أمية منذ زمان معاوية بن أبي
سفيان، وصرفوا الأموال الطائلة في سبيل
وضعها ونشرها، وذلك لبلوغ أهدافهم
السياسية والمحافظة على أركان ملكهم

واستمرار تسلطهم غير المشروع على
الخلافة الإسلامية.

فقد روي أن ابن أكرم ناظر الإمام أبا
جعفر عليه السلام بمحضر المأمون وجماعة كبيرة
من أركان دولته وخاصته، فقال يحيى
للإمام عليه السلام: ما تقول يا بن رسول الله في
الخبر الذي روي أن جبرائيل نزل على رسول
الله ﷺ وقال: يا محمد إنّ الله يقرؤك
السلام، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو
راضٍ عني، فإنّي راضٍ عنه؟

فقال عليه السلام: «لست بمنكر فضل أبي بكر،
ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ
مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في
حجة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة
وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ
مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث
فاعرضوه على كتاب الله وستتي فما وافق
كتاب الله وستتي فخذوا به، وما خالف
كتاب الله وستتي فلا تأخذوا به. وليس
يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ
نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ﴾^(١٠٢) فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضا
أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون

سرّه ؟ ! هذا مستحيل في العقول . »

ثم قال يحيى بن أكتم : وقد روي أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء .

فقال الإمام عليه السلام : « وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه ؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان ، لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة . وهما - أي أبو بكر وعمر - قد أشركا بالله عزّ وجلّ ، وإن أسلما بعد الشرك ، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله ، فمحال أن يُشبّههما بهما . . . »

قال يحيى : وقد روي أنهما سيّدا كهول أهل الجنة ، فما تقول فيه ؟

فقال عليه السلام : « وهذا محال أيضاً ؛ لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شباباً ، ولا يكون فيهم كهول ، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال فيه رسول الله ﷺ في الحسن والحسين بأنهما سيّدا شباب أهل الجنة . »

فقال يحيى بن أكتم : وروي أن عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنة .

فقال عليه السلام : « وهذا أيضاً محال ؛ لأنّ في الجنة ملائكة الله المقربين ، وآدم ،

ومحمداً وجميع الأنبياء والمرسلين ، لا تضيء بأنوارهم حتّى تضيء بنور عمر ؟ ! » .
قال يحيى : وروي أنّ السكينة تنطق على لسان عمر .

فقال عليه السلام : « لست بمنكر فضائل عمر ، لكنّ أبا بكر - وأنه أفضل من عمر - قال على رأس المنبر : إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملّْتُ فسدّدوني . »

فقال يحيى : قد روي أن النبي ﷺ قال : لو لم أبعث لبعث عمر .

فقال عليه السلام : « كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ)^(١٠٣)
فقد أخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن أن يستبدل ميثاقه ؟ وكان الأنبياء لم يشركوا طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك ، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله ؟ !
وقال رسول الله ﷺ : بُنِيتُ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجسد . »

قال يحيى : وقد روي أنّ النبي ﷺ قال : ما احتبس الوحي عني قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطّاب .

فقال عليه السلام : « وهذا محال أيضاً ؛ لأنّه لا

يجوز أن يشكّ النبي ﷺ في نبوّته ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ^(١٠٤) . فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله إلى من أشرك به ؟ » .

قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر .

فقال عليه السلام: « وهذا محال أيضاً ، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ^(١٠٥) فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً مادام فيهم رسول الله ﷺ ، وما داموا يستغفرون الله تعالى » .

فأفحم يحيى بن أكرم وسكت ، بعد أن أعيته أجوبة الإمام عليه السلام عن إيجاد مخرج لما تورط فيه ^(١٠٦) .

توظيف المعجزة والكرامة في الهداية والارشاد :

الحدث المعجز إنّما يجريه الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه ورسله أو أوصيائهم ؛ للتدليل على أن النبي المرسل أو الوصي المختار مرتبط بالسماء بشكل أو بآخر ، وأن

المعجزة - وهي أمر خارق للعادة الطبيعية - هي تأييد لدعوى النبي بأنّه ينطق عن السماء ، وأن ما يأتي به من تعاليم إنّما تصدر عن الله تبارك وتعالى ؛ وتأييد لدعوى الوصي أو الإمام المعصوم أيضاً بأنّه يتصل بالنبوة التي هي بدورها من مختصات السماء .

ولقد وظّف أئمة أهل البيت عليهم السلام المعاجز والكرامات التي كانت تجري على أيديهم في استقطاب أفراد الأئمة حول محور الإمامة ، ثم إرشادهم وهدايتهم نحو المسار الصحيح .

ومن ذلك ، الخبر الذي يبيّن بجلاء توظيف الإمام عليه السلام للمعجزة في هداية الناس إلى طريق الحق ، وإلفات نظرهم إلى عظيم منزلة أئمة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه . فقد جاء عن علي بن خالد ، قال : كنت بالعسكر ، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى به من ناحية الشام مكبولاً ، وقالوا : إنّهُ تنبأ ^(١٠٧) .

قال : فأُتيت الباب وداريت البوّابين حتى وصلت إليه ، فإذا رجل له فهم وعقل ، فقلت له : يا هذا ما قصتك ؟

فقال : إنّني كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنّهُ نُصب فيه رأس

العراق وحبست كما ترى، وادّعى عليّ المحال .

فقلت له : فأرفع عنك قصة إليّ محمد بن عبد الملك الزيات .

فقال : إفعل .

فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها ورفعتها إليّ محمد بن عبد الملك الزيات، فوقع في ظهرها : قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة وردك من مكة إلى الشام، أن يخرجك من حبسك هذا .

قال علي بن خالد : فغمني ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً عليه، فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال وأمره بالصبر والعزاء، فوجدت الجند وأصحاب الحرس وأصحاب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون، فسألت عن حالهم ف قيل لي : المحمول من الشام المتنبئ افتقد البارحة من الحبس، فلا يُدرى أُخِيفت به الأرض أو اختطفته الطير !

وكان هذا الرجل - أعني علي بن خالد - زيدياً، فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده^(١٠٨) .

الحسين عليه السلام فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يديّ، فنظرت إليه . فقال لي : قم، فقممت معه فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة، قال : فصلّي فصلّيت معه ثم انصرف وانصرفت معه، فمشى قليلاً فإذا نحن بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّي وصلّيت معه، ثم خرج وخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بمكة، فطاف بالبيت وطفّت معه، ثم خرج فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله تعالى فيه بالشام، وغاب الشخص عن عيني، فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت .

فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به، ودعاني فأجبتة، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له : سألتك بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا أخبرتني من أنت ؟

فقال : « أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر » .

فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره، فرقي ذلك إليّ محمد بن عبد الملك الزيات، فبعث إليّ فأخذني وكبلني في الحديد وحمّلني إلى

وروي عن القاسم بن المحسن^(١٠٩) ، قال : كنت فيما بين مكة والمدينة فمرّ بي أعرابي ضعيف الحال ، فسألني شيئاً فرحمته وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه ، فلما مضى عني هبّت ريح شديدة - زوبعة - فذهبت بعمامتي من رأسي ، فلم أرها كيف ذهبت ؟ وأين مرّت ؟ فلما دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام ، فقال لي : « يا قاسم ! ذهبت عمامتك في الطريق ؟ » .

قلت : نعم .

قال : « يا غلام أخرج إليه عمامته » ، فأخرج إليّ عمامتي بعينها ، قلت : يابن رسول الله ! كيف صارت إليك ؟

قال : « تصدقت على الأعرابي ، فشكر الله لك ، وردّ عمامتك ، وان الله لا يضيع أجر المحسنين »^(١١٠) .

ونقل الإربلي عن القاسم بن عبد الرحمن - وكان زدياً - قال : خرجت إلى بغداد فبينما أنا بها إذ رأيت الناس يتعاودون ويتشرفون ويقفون قلت : ما هذا ؟ فقالوا : ابن الرضا ، ابن الرضا .

فقلت : والله لأظننّ إليه ، فطلع على بغل - أو بغلة - فقلت : لعن الله أصحاب

الإمامة حيث يقولون إنّ الله افترض طاعة هذا .

فعدل إليّ وقال : « يا قاسم بن عبد الرحمن ﴿ أَبَشِّرْنا مِنّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾ »^(١١١) .

فقلت في نفسي : ساحر والله .

فعدل إليّ فقال : « أَلْقِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذابٌ أَشِرُّ »^(١١٢) .

قال : فانصرفت وقلت بالإمامة ، وشهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدت^(١١٣) .

دوره في التربية الأخلاقية والاجتماعية :

إنّ دور الإمام عليه السلام في المجتمع هو نفس دور الأنبياء والرسل عليهم السلام ، يتمثل في بناء وصياغة الإنسان النموذج ؛ لأنّ النبي أو الإمام هو شاهد منتخب من قبل عالم الغيب ، ويتحمل في عالم الشهادة مسؤولية تأسيس أمة صالحة من الداخل ، بعد أن يغرس في أعماقها كل المعاني والمثل والقيم الفاضلة ، ثم قيادتها وفق الأوامر الإلهية ، للوصول إلى المجتمع التوحيدي المتكامل .

ومن خلال استقراء منهج الأنبياء

في يوم تزوج أم الفضل ابنة المأمون : (يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم .

فقال عليه السلام : « يا أبا هاشم ! عظمت بركات الله علينا فيه » .

قلت : نعم يا مولاي ، فما أقول في اليوم .

فقال عليه السلام : « تقول فيه خيراً فإنه يصيبك » .

قلت : يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه .

قال عليه السلام : « إذا ترشد ولا ترى إلا خيراً » (١١٤) .

ومن ذلك أيضاً الخبر المروي في تهذيب شيخ الطائفة قدس سره بسنده عن أبي ثمامة قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : إني أريد أن أزم مكة أو المدينة ، وعليّ دين ، فما تقول ؟

فقال عليه السلام : « إرجع إلى مؤدي دينك وأنظر أن تلقى الله عز وجل وليس عليك دين ، إن المؤمن لا يخون » (١١٥) .

وفي الكافي أورد عن ابن مهران ، قال : كتب أبو جعفر الثاني عليه السلام إلى رجل : « ذكرت مصيبتك بعلي ابنك ، وذكرت أنه كان أحب ولدك إليك ، وكذلك الله عز وجل إنما يأخذ

والرسل في قيادة البشرية وهدايتها عبر سلسلتهم الطويلة الممتدة منذ بدء الخليقة المتمثلة بالإنسان الأول ، والذي كان نبياً أيضاً ، وحتى الرسالة الخاتمة المتمثلة بأشرف الأنبياء والرسل ﷺ ، وهو خاتمهم ، نجد أنّ هذا المنهج يعتبر الإنسان محور حركته ...

الإنسان لا كعقل مجرد ، بل الإنسان صاحب العقل والروح والأحاسيس والمشاعر .. الإنسان صاحب القلب والعواطف ..

وعليه فمشروع الأنبياء ﷺ وأوصيائهم - وخاتمهم الأئمة الاثني عشر عليه السلام - في صياغة الإنسان وتربيته وصنعه ، يتم من خلال التعامل مع تلك المقومات الإنسانية التي ذكرنا بشكل عاطفي وعملي ، وليس كالفلاسفة الذين يتعاملون ويتجاذبون مع العقول المجردة .

بعد هذه المقدمة الموجزة نستعرض بعض المرويات عن إمامنا جواد الأئمة عليه السلام والتي تكشف لنا كيفية توعيته لأصحابه وشيعته وعموم الأمة وارشادهم إلى السلوك الإيماني القويم ومن ذلك ؛ الخبر الذي أوردته ابن شعبة في تحف العقول حيث نقل أن أبا هاشم الجعفري قال للإمام أبي جعفر عليه السلام

الحكمة

علّمني شيئاً إذا أنا قلتَه كنت معكم في الدنيا والآخرة .

قال : فكتب بخطّه أعرفه : « أكثر من تلاوة ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ورطب شفّيتك بالاستغفار» ^(١١٨) .

روائع من نور كلمه

أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أئمة الحقّ ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ! إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسبقوا . فهم عيش العلم ، وموت الجهل .

يُخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكّم منطقهم ، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه . إن سكّتوا كان سكوتهم ذكراً ، وإن نظروا كان نظرهم عبرة ، وإن نطقوا كان منطقهم الحكمة . فكلّامهم : لا يُملّ ، وحديثهم لا تمجّه الآذان ، وتستأنس به النفوس ، وهو إلى القلب أسرع منه إلى السمع وإن كان يمر عبر صيوانه ؛ وذلك لأنّ لسان حالهم أُسبق من لسان مقالهم . وإنّ ما يخرج من القلب لا شكّ أنه يدخل مفترشاً صحراء القلب ، ولا يبقى عالقاً في شفير المسامع .

من الولد وغيره أذكى ما عند أهله ؛ ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة . فأعظم الله أجرك ، وأحسن عزاك ، وربط على قلبك ، إنه قدير ، وعجل الله عليك بالخلف ، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله تعالى» ^(١١٦) .

ونقل المجلسي في بحاره بسند رفعه إلى بكر بن صالح قال : (كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أبي ناصب خبيث الرأي ، وقد لقيت منه شدةً وجهداً ، فأريك - جعلت فداك - في الدعاء لي ، وما ترى جُعلت فداك ؟ أفترى أن أكاشفه أم أداريه ؟

فكتب : « قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك ، ولست أدع الدعاء لك إن شاء الله ، والمدارة خير لك من المكاشفة ، ومع العسر يسر ، فاصبر إن العاقبة للمتقين ثبتك الله على ولاية من تولّيت ، نحن وأنتم في وديعة الله الذي لا يضيع ودائعه » .

قال بكر : فعطف الله بقلب أبيه حتى صار لا يخالفه في شيء» ^(١١٧) .

وحدّث الشيخ الصدوق عن أبيه قوله : (حدثني سعد بن عبدالله ، عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي ، عن اسماعيل بن سهل ، قال : كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام

وقال ﷺ: « استصلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم، والمودة قرابة مستفادة » .

وقال ﷺ: « القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتيان الجوارح بالأعمال » .

وقال ﷺ: « من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان » (١٢٠) .

وقال ﷺ: « لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجاً » .

وقال ﷺ: « لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدواً له في السر » .

وقال ﷺ: « من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا » .

وقال ﷺ: « لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه » .

وقال ﷺ: « عز المؤمن غناه عن

فكما أن كلامهم ﷺ، وكل كلامهم نور.. ونطقهم حكمة.. فإن إيماننا الجواد ﷺ - وهو أحد أهل البيت النبوي الطاهر - له أيضاً كلمات حكيمة، ومواعظ نورانية، وآداب إلهية .

وقد أثرنا ونحن نقرب من خاتمة هذه الدراسة، نقل قبسات من أنوار حكمه ﷺ والتي هي في مضامينها مناهج عمل، وبرامج توعية وهداية للسالكين طريق الحق والصلاح .

فما قاله ﷺ: « لا تعاد أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك، وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيكه، فلا تعاده » .

وقال ﷺ أيضاً: « الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال، وسلم إلى كل عال » .

وقال ﷺ: « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة » .

وقال ﷺ: « كيف يضيع من الله كافله؟! وكيف ينجو من الله طالبه؟! ومن انقطع إلى غير الله وكله الله - تعالى - إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح » (١١٩) .

الناس» . وقال عليه السلام: « من استحسن قبيحاً كان

شريكاً فيه » .

وقال عليه السلام: « موت الإنسان بالذنوب أكثر

من موته بالأجل ، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر » .

وقال عليه السلام: « ثلاث يبلغن بالعبد رضوان

الله تعالى: كثرة الاستغفار ؛ ولين الجانب ؛ وكثرة الصدقة . وثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة ، والمشورة ؛ والتوكل على الله عند العزم » .

وقال عليه السلام: « المؤمن يحتاج إلى ثلاث

خصال: توفيق من الله ؛ وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه » .

وقال عليه السلام: « التوبة على أربع دعائم: ندم

بالقلب ؛ واستغفار باللسان ؛ وعمل بالجوارح ؛ وعزم أن لا يعود » .

وقال عليه السلام: « أربع من كنّ فيه استكمل

الإيمان: من أعطى لله ؛ ومنع في الله ؛ وأحب لله ؛ وأبغض فيه » .

وقال عليه السلام: « الجمال في اللسان ،

والكمال في العقل » .

وقال عليه السلام: « العفاف زينة الفقر ، والشكر

وقال عليه السلام: « من أطاع هواه أعطى عدوّه

منه » .

وقال عليه السلام: « من هجر المداراة قارنه

المكروه ، ومن لم يعرف الموارد ، أعيته المصادر » ^(١٢١) .

وقال عليه السلام: « راكب الشهوات لا تُستقال

له عثرة » .

وقال عليه السلام: « ما عظمت نعمة الله على

عبد إلا عظمت عليه مؤونة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال » .

وقال عليه السلام: « من كثر همّه سقم جسده » .

وقال عليه السلام: « من لم يرض من أخيه

بحسن النية ، لم يرض بالعطية » .

وقال عليه السلام: « أهل المعروف إلى اصطناعه

أحوج من أهل الحاجة إليه ؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه ، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره » .

وقال عليه السلام: « من أخطأ وجوه المطالب

خذلته وجوه الحيل » .

تقريبه: «أقلل من ذلك، فإن كثرة الملق تهجم على الظنة، وإذا حلت من أخيك في الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية»^(١٢٣).

وقال عليه السلام: «الحسد ماحق للحسنات، والزهو جالب للمقت، والعجب صادن عن طلب العلم داع إلى التخمط في الجهل، والبخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة»^(١٢٤).

ونقل ابن حمدون - أيضاً - في تذكرته عن ربيع الأبرار، قوله عليه السلام: «إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يبين في عدوك»^(١٢٥).

وقال عليه السلام: «عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأنس في الغربة»^(١٢٦).

زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقليل زينة القناعة، وترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع.

وقال عليه السلام: «يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم».

وقال عليه السلام: «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له».

وقال عليه السلام: وقد سئل عن الحزم: «هو أن تنظر فرصتك وتعجل ما أمكنك»^(١٢٢).

وقال لبعض الثقات عنده، وقد أكثر من

الهوامش:

- ١- في المصطلح النقدي ، د . أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٢ م : ٥٢ .
- ٢- م . ن .
- ٣- م . ن . : ٥٣ .
- ٤- م . ن .
- ٥- ينظر : القول الفلسفي للحداثة ، يورغن هابرماس ، ترجمة : د . فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٩٥ م : ٢٩ - ٣١ .
- ٦- خطاب الحداثة في الأدب - الأصول والمرجعية ، د . جمال شحيد ، د . وليد قصاب ، دار الفكر ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠٠٥ م : ١٩ .
- ٧- القول الفلسفي للحداثة : ٢١٢ .
- ٨- الحداثة وما بعد الحداثة ، إعداد وتقديم : بيتر بروكر ، (القول لهابرماس) ، ترجمة : د . عبد الوهاب علوب ، مراجعة : د . جابر عصفور ، ط ١ ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٩٩٥ م : ٢٠٢ .
- ٩- القول الفلسفي للحداثة : ١٨٤ .
- ١٠- الإسلام بين الأمس والغد ، محمد أركون ، لوي غارديه ، ترجمة : علي المقلد ، دار التنوير ، ودار الفارابي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م : ١٠٣ .
- ١١- اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب ، د . عبد الواسع الحميري ، دار الزمان للطباعة والنشر ، ط ١ ، ن دمشق ، ٢٠٠٨ م : ٧١ - ٧٢ .
- ١٢- م . ن . : ٧٢ - ٧٣ .
- ١٣- في المصطلح النقدي : ٥٥ .
- ١٤- اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، محمد برادة ، فصول - مجلة النقد الأدبي ، مجلد ٤ ، عدد ٣ ، نيسان - مايس - حزيران - ١٩٨٤ م .
- ١٥- القول الفلسفي للحداثة : ١٩ .
- ١٦- ينظر : م . ن . : ٢٥ .
- ١٧- م . ن . : ٢٦ .
- ١٨- النص القرآني وآفاق الكتابة ، أدونيس ، دار الآداب ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٣ م : ٩٢ .
- ١٩- ينظر : م . ن .
- ٢٠- ينظر : القول الفلسفي للحداثة : ٣٦ .
- ٢١- من إشكاليات الحداثة في الخطاب الشعري العربي ، عبد الرحمن حمادي ، مجلة علامات ، مجلد ١٠ ، جزء ٤٠ ، جدة ، ٢٠٠١ م .
- ٢٢- الحداثة وما بعد الحداثة ، د . فتحي التريكي ، دار الفكر ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠٠٣ م : ٢١٢ .
- ٢٣- تجليات الحداثة في التراث العربي ، محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، مجلد ٤ ، عدد ٣ ، نيسان - مايس - حزيران - ١٩٨٤ م .

- ٢٤- الإسلام بين الأمس والغد : ١٣٧ .
- ٢٥- النص القرآني وآفاق الكتابة : ٩٨ .
- ٢٦- الحداثة وما بعد الحداثة ، إعداد وتقديم : بيتر بروكر : ١٣٣ .
- ٢٧- أصول أدب الحداثة ، مايكل هـ . ليفنسن ، ترجمة : يوسف عبد المسيح ثروة ، مراجعة : د . فائز جعفر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٩٢ م : ٩ .
- ٢٨- قراءة في رهانات المعنى وإشكالية تحديث المنهج المعرفي عند محمد أركون ، أ . د . عبد الأمير كاظم زاهد ، مجلة السدير ، عدد ٦ ، كلية الآداب بجامعة الكوفة ، ٢٠٠٤ م .
- ٢٩- إبستمولوجية المعرفة الكونية - إسلامية المعرفة والمنهج ، محمد أبو القاسم حاج حمد ، دار الهادي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ م : ٣٩ .
- ٣٠- ينظر : الإسلام والأدب : ٣٠ ، وهامش ص ٥٠ .
- ٣١- الإسلام والأدب : ٧٠ .
- ٣٢- م . ن . : ٣٧ .
- ٣٣- المنهج الإسلامي في النقد الأدبي : ١٦٠ .
- ٣٤- ينظر : ما بعد الحداثة - دراسة في المشروع الثقافي الغربي ، د . باسم علي خريسان ، دار الفكر ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠٠٦ م : ٤٦ .
- ٣٥- روح الحداثة - المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦ م : ٢٦ - ٢٧ .
- ٣٦- روح الحداثة : ٢٧ .
- ٣٧- رهانات الحداثة ، د . محمد الشيخ ، دار الهادي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ م : ٨٢ - ٨٣ .
- ٣٨- م . ن . : ٢٩٩ .
- ٣٩- العقلانية والمعنوية - مقاربات في فلسفة الدين ، مصطفى ملكيان ، دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠٥ م : ٣١٥ .
- ٤٠- م . ن . : ٣١٦ .
- ٤١- أزمة العقل المسلم ، د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، دار الهادي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٣ م : ١٢٤ - ١٢٥ .
- ٤٢- ينظر : نقد العقل بين الغزالي و كانط - دراسة تحليلية مقارنة ، د . عبد الله محمد الفلاح ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٣ م : ٢٣ .
- ٤٣- نقد نقد العقل العربي - نظرية العقل ، جورج طرابيشي ، دار الساقي ، ط ٣ ، بيروت ، ٢٠٠٧ م : ٣٦٠ .
- ٤٤- دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية ، مالك مصطفى وهبي العاملي ، دار الهادي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ م : ٦٨ .
- ٤٥- م . ن . : ٦٩ .
- ٤٦- م . ن . : ٧٠ .
- ٤٧- ينظر : روح الحداثة : ٤٣ وما بعدها .
- ٤٨- رهانات الحداثة : ١٣٧ .

- ٤٩- العقل ودوره في حياة الإنسان المسلم ، عبد العظيم المهدي البحراني ، دار المحجة البيضاء ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ م : ٢٣ .
- ٥٠- القول الفلسفي للحداثة : ٢٦١ - ٢٦٢ .
- ٥١- الفكر الإسلامي - مواجهة حضارية : ٣٨ - ٣٩ .
- ٥٢- الإدراك العقلي وإشكاليات سلطة العقل في الدولة الدينية ، نبيل علي صالح ، مجلة المنهاج ، عدد ٢٠ ، بيروت ، شتاء ٢٠٠٠ م .
- ٥٣- الغيب والعقل - دراسة في حدود المعرفة البشرية ، إلياس بلكا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط ١ ، فريجينا ، ٢٠٠٨ م : ١٧٣ .
- ٥٤- نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد ، بيروت ، د . ت . : ٢٠ : ٣٤١ .
- ٥٥- دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية : ٦٧ .
- ٥٦- الدين والعقلانية ، د . ملكيان والشيخ العابدي ، ود . لغنهاوزن ، مجلة المنهاج ، عدد ٢٧ ، بيروت ، خريف ٢٠٠٢ م .
- ٥٧- أزمة العقل المسلم : ١٢٥ - ١٢٦ .
- ٥٨- م . ن . : ١٢١ .
- ٥٩- أزمة العقل المسلم : ١٢٤ .
- ٦٠- العقل دليل التوحيد ، محمد تقي المدرسي ، ط ١ ، كربلاء ، ١٩٨٧ م : ٥ .
- ٦١- أزمة العقل المسلم : ١٢٥ .
- ٦٢- ينظر : التعارض بين العقل والنقل ، علي ال موسى ، مجلة البصائر ، عدد ٢٩ ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- ٦٣- دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية : ١٩٧ .
- ٦٤- الأسس المنطقية للاستقراء ، محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، ط ٤ ، النجف الأشرف ، ١٩٨٢ م : ٤٦٩ .
- ٦٥- ينظر : أزمة العقل المسلم : ١٤٣ وما بعدها .
- ٦٦- ينظر : نحن والتراث ، محمد عابد الجابري ، المركز الثقافي العربي ، ط ٥ ، ١٩٨٦ م : ٢٦ .
- ٦٧- خطاب المنهج ، عباس الجراري ، منشورات السفير ، مكناس ، ط ١ ، المغرب ، ١٩٩٠ م : ٤٠ - ٤١ .
- ٦٨- الكافي ١ : ٢٠٠ ، ١ عن الإمام الرضا عليه السلام .
- ٦٩- المصدر السابق نفسه .
- ٧٠- كنز العمال ١٢ : ١٠٣ ، ١٩٨٣ عن الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن ابن عباس .
- ٧١- راجع : نهج البلاغة : ٢١٢ خطبة ١٥٢ تنظيم صبحي الصالح .
- ٧٢- راجع : مصنف ابن أبي شيبة ١٥ : ١٩٨ ، ١٩٤٩٥ . والحاوي للفتاوى ، السيوطي ٢ : ٧٨ . وفيض القدير ٦ : ١٧ . وراجع : دفاع عن الكافي ، السيد ثامر العميدي ١ : ٢٥٤ - ٢٥٩ ففيه مزيد شرح وتفصيل .
- ٧٣- راجع : الفائدة الرابعة من فوائد خاتمة الوسائل : ٣٠ ، ١٦٥ .
- ٧٤- روى عن الإمام الجواد عليه السلام من أهل السنة إبراهيم بن عبد الحميد الصنعاني ، وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن محمد بن حاجب ، وإبراهيم بن مهدي ، وأمّية بن علي القيسي الشامي ، وجعفر ابن محمد بن

- مزيد ، ومنخل بن علي ، وعمارة بن زيد الأنصاري ، وعمر بن الفرج الرخجي وغيرهم .
- ٧٥- أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف ، السيد الشهيد محمداقر الصدر : ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .
- ٧٦- أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف ، السيد الشهيد محمداقر الصدر : ٧٥ .
- ٧٧- بحار الأنوار ، المجلسي ٢٥ : ٦٤ .
- ٧٨- أصول الكافي ١ : ٥٣ ، ١٤ (كتاب فضل العلم) . والارشاد ، الشيخ المفيد ٢ : ١٨٦ .
- ٧٩- راجع : أصول الكافي ١ : ٢٦٣ ، ١ - ٣ و ٢٦٥ ، ٢ و ٢٦٨ ، ٩ وفي غير موضع منه .
- ٨٠- اعتمدنا في استخلاص هذه الجمهرة من علماء وقضاة بغداد المعاصرين للإمام الجواد عليه السلام في تلك الفترة : البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٩ حوادث سنة (٢١٨ هـ) . وتاريخ أبي الفداء ١ : ٣٤٠ . وتاريخ الخلفاء ، السيوطي : ٣٠٩ - ٣١٢ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . وتاريخ الطبري ٧ : ١٨٧ - ٢٠٦ حوادث سنة (٢١٨ هـ) . وطبقات الفقهاء ، أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت ، ٤٧٦ هـ) . والكامل في التاريخ ٦ : ٣ - ٦ مراجعة وتصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق . ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، الخصري ٢ : ٢١٢ - ٢١٥ . والوفيات ، ابن قنفذ (ت ، ٨٠٩ هـ) وغيرها .
- ٨١- سورة النساء : ٤ ، ٤٣ .
- ٨٢- سورة المائدة : ٥ ، ٦ .
- ٨٣- صحيح البخاري ١ : ٢٨٠ ، ٧٧٦ و ٧٧٧ باب السجود على سبعة أعظم أخرجه عن ابن عباس . والجامع الصحيح ١ : ٤٤٦ ، ٢٣١ (٤٩١) أخرجه عن العباس بن عبدالمطلب . وكذا الأحاديث ٢٢٧ - ٢٣٠ . وسنن ابن ماجة ١ : ٢٨٢ ، ٨٨٤ و ٨٨٥ .
- ٨٤- سورة الجن : ٧٢ ، ١٨ .
- ٨٥- تفسير العياشي ١ : ٣١٩ - ٣٢٠ ، ١٠٩ طبع طهران بتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي .
- ٨٦- الحديث روي في العديد من المصادر التي لا يمكن حصرها هنا نذكر منها : صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ ، ٢٤٠٨ . ومسند أحمد ٥ : ١٨٩ . وسنن الدارمي ٢ : ٤٣١ - ٤٣٢ . ومصنف ابن أبي شيبة ١١ : ٤٥٢ ، ١١٧٢٥ . وصحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢ ، ٣٧٨٦ . وللمزيد راجع : دفاع عن الكافي ، ثامر العميدي ١ : ١٤٤ - ١٥٣ ففيه تفاصيل عن ألفاظ الحديث وطرقه ودلالاته ومصادره .
- ٨٧- سورة الأنعام : ٦ ، ١٠٣ .
- ٨٨- أصول الكافي ١ : ٩٩ ، ١١ .
- ٨٩- سورة المائدة : ٥ ، ٣ .
- ٩٠- سورة البقرة : ٢ ، ١٧٣ .
- ٩١- وقيل في ترتيبها غير ذلك .
- ٩٢- تهذيب الأحكام ٩ : ٨٣ ، ٣٥٤ .
- ٩٣- أصول الكافي ١ : ٨٢ ، ١ باب إطلاق القول بأنه شيء من كتاب التوحيد .
- ٩٤- أصول الكافي ١ : ٨٢ ، ٢ . وراجع : التوحيد ، الصدوق : ١٠٧ .

- ٩٥- أصول الكافي ١ : ٨٧ ، ٣ باب المعبود من كتاب التوحيد .
- ٩٦- أصول الكافي ١ : ١١٨ ، ١٢ . والآية من سورة الزخرف : ٤٣ ، ٨٧ .
- ٩٧- أصول الكافي ١ : ١١٦ ، ٧ . وراجع : التوحيد ، الصدوق : ١٩٣ .
- ٩٨- أبو الخطاب : هو محمد بن أبي زينب مقلص الأسدي الكوفي الأجدع . كان في بادئ أمره من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، ثم انحرف عن خط أهل البيت عليهم السلام ، بل وعن الدين ، فأخذ ينسب بأبائيه وعقائده الفاسدة إلى الإمام الصادق عليه السلام كذباً وزوراً ، وتبعه عدد من المضللين والنفيعيين حتى شككوا فرقة سميت فيما بعد بالخطابية . من عقائدهم زعموا أن الصلاة والصيام والتكليف الأخرى ، والخمر والزنا والسرقة وغيرها هي أسماء رجال ، والآيات القرآنية الآمرة بأداء تلك الأعمال والناهية عنها ، إنما هي آمرة بمحبة أولئك الرجال أو النهي عن محبتهم فقط . كما أظهروا كثيراً من البدع والضلالات والإباحات ، حتى وصل بهم الأمر إلى الدعوة إلى نبوة أبي الخطاب . بعث إليهم والي المدينة جيشاً - بعد أن استفحل أمرهم - فقاتلوهم حتى أبادوهم عن آخرهم إلّا رجلاً واحداً منهم نجا من القتل .
- ٩٩- اختيار معرفة الرجال : ٥٢٨ ، ١٠١٢ .
- ١٠٠- سورة الفرقان : ٢٥ ، ٤٤ .
- ١٠١- راجع : تهذيب الأحكام ٣ : ٢٨ ، ٩٨ .
- ١٠٢- سورة ق : ٥٠ ، ١٦ .
- ١٠٣- سورة الأحزاب : ٣٣ ، ٧ .
- ١٠٤- سورة الحج : ٢٢ ، ٧٥ .
- ١٠٥- سورة الأنفال : ٨ ، ٣٣ .
- ١٠٦- الاحتجاج ، الطبرسي ٢ : ٢٤٥ طبعة النجف - دار النعمان ١٣٨٦ هـ ، تعليق السيد محمدباقر الخراسان .
- ١٠٧- تنبأ أي ادعى النبوة .
- ١٠٨- الإرشاد ٢ : ٢٨٩ - ٢٩١ . وراجع : دلائل الإمامة : ٢٠٥ ، ٣٦٦ . وإعلام الوري : ٣٤٧ . وكشف الغمة ٣ : ١٤٩ .
- ١٠٩- الظاهر أنه : القاسم بن الحسن البزنطي ، إذ لا وجود للقاسم بن المحسن في كتب الرجال .
- ١١٠- كشف الغمة ٣ : ١٥٩ - ١٦٠ .
- ١١١- سورة القمر : ٥٤ ، ٢٤ .
- ١١٢- سورة القمر : ٥٤ ، ٢٥ .
- ١١٣- كشف الغمة ٣ : ١٥٠ .
- ١١٤- تحف العقول : ٣٣٩ طبعة النجف ١٣٨٠ هـ .
- ١١٥- تهذيب الأحكام ٦ : ١٨٤ ، ٣٨٢ .
- ١١٦- الفروع من الكافي ٣ : ٢٠٥ . وراجع أيضاً : ٢١٨ .
- ١١٧- بحار الأنوار ٥٠ : ٥٥ ، ٣٠ .
- ١١٨- ثواب الأعمال : ١٦٥ باب ثواب الاستغفار .

- ١١٩- التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون ١ : ١١٣ ، رقم ٢٢٨ .
١٢٠- الفروع من الكافي ٦ : ٤٣٤ ، ٢٤ .
١٢١- التذكرة الحمدونية ١ : ٣٨٣ ، رقم ١٠٨ .
١٢٢- التذكرة الحمدونية ١ : ٣٨٣ ، رقم ١٠٠٥ .
١٢٣- المصدر السابق ٤ : ٣٦٣ ، رقم ٩٢٧ .
١٢٤- المصدر السابق ٢ : ١٨٢ ، رقم ٤٢٥ .
١٢٥- المصدر السابق ٢ : ١٨٣ ، رقم ٤٢٧ .
١٢٦- راجع في مصادر هذه الأقوال : تحف العقول : ٣٣٩ - ٣٤٠ . وكشف الغمة ٣ : ١٣٧ - ١٤٢ . والفصول المهمة : ٢٦٩ وقد أخذها عن كتاب « معالم العترة النبوية » لعبد العزيز بن الأخضر الجنازدي . وبحار الأنوار ٧٨ : ٣٥٨ - ٣٦٥ .

السيد محمد علي الكاظمي

باحث وكاتب من العراق

معالم التصحيح في العقائد عند أهل البيت عليهم السلام

أولى أئمة أهل البيت عليهم السلام مسألة التصحيح العقائدي أهمية فائقة؛ لأنَّ العقيدة أساس الدين في كلِّ تشريع، وهي المقصود الأول من مقاصد الإصلاح الديني، فسعوا إلى تخليص أصول الاعتقاد من الاتجاهات المدمِّرة للفكر والعقيدة، وتبنَّوا إصلاح ما ضلَّ من العقائد والمفاهيم والأفكار، وما فسد من الأعمال، وكشفوا عن جنائيات المحرِّفين والمبدِّلين، وسعوا إلى إعادة التوحيد إلى أصوله الخالصة من تضليل المجبرة والمرجئة والمعطلة وغيرها من الفرق التي نشأ أغلبها في أحشاء السياسة، وأرشدوا الضالين إلى ينابيعه الصافية، وردَّوا العقول الضالة إلى رشدها، فلم يدعوا حجة لمحتجٍّ، ولا معذرة لمعتذر. وفي كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق، وكتاب التوحيد من (أصول الكافي) المزيد من الأمثلة حول الإصلاح العقائدي الذي مارسه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقبل الوقوف في أهم محطات التصحيح في الاتجاه العقائدي، لابدَّ أولاً من الإشارة إلى دورهم عليهم السلام في تربية أصحابهم عقائدياً ضمن اتجاهين:

الأول: مباحثة أصحابهم في المسائل الكلامية وتصحيحها:

كان هشام بن الحكم واحداً من الذين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن مئات المسائل الكلامية، وقد تعرض الإمام عليه السلام خلال أجوبته للوضع الفكري السائد آنذاك بالتقويم والتصحيح، قال هشام بن الحكم: « سألت أبا عبد الله عليه السلام بمنى عن خمس مئة حرف من الكلام، فأقبلت أقول: يقولون كذا وكذا، قال: فيقول: قل كذا وكذا، قلت: جعلت فداك، هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنك صاحبه، وأنت أعلم الناس به، وهذا هو الكلام. فقال لي: ويك يا هشام! لا يحتج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه ^(١) » .

الثاني: استعراض عقائد أصحابهم وتصحيحها:

لدينا هنا نموذجان جديران بالأهمية، لما فيهما من استعراض لأصول الاعتقاد والفرائض الواجبة في الإسلام، تولى التصحيح في أحدهما الإمام الصادق عليه السلام، وفي الآخر الإمام الهادي عليه السلام.

١ - عن عمرو بن حريث قال: « دخلت

على أبي عبد الله عليه السلام وهو في منزل أخيه عبد الله بن محمد... فقلت له: جعلت فداك، ألا أقص عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين الله بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والولاية لعلي أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والولاية للحسن والحسين، والولاية لعلي بن الحسين، والولاية لمحمد بن علي ولك من بعده (صلوات الله عليهم أجمعين) وأنكم أئمتي، عليه أحياء، وعليه أموت، وأدين الله به.

فقال: يا عمرو، هذا والله دين الله، ودين آبائي الذي أدين الله به في السر والعلانية، فاتق الله وكف لسانك إلا من خير، ولا تقل إنني هديت نفسي، بل الله هداك، فأد شكر ما أنعم الله عز وجل به عليك، ولا تكن ممن إذا أقبل طعن في عينه، وإذا أدبر طعن في قفاه... ^(٢) » .

٢ - وعن عبد العظيم الحسني، قال: « دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن

يرى شخصه ، ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

قال : فقلت : أقررت ، وأقول : إن وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، وأقول : إن المعراج حق ، والمساءلة في القبر حق ، وإن الجنة حق ، وإن النار حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وإن الله يبعث من في القبور ، وأقول : إن الفرائض الواجبة بعد الولاية : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقال عليه السلام : يا أبا القاسم ، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ، تثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(٣) .

موارد من التصحيح العقائدي : _____

١. صفات الذات : _____

في خضمّ الجدل الدائر في صفات الذات الإلهية ، حرص أهل البيت عليه السلام على تأكيد حقيقة أن الخالق لا يمكن أن يوصف بغير ما وصف به نفسه ، وأن البشر لا يتمكن من

الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام ، فلما بصر بي قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم ، أنت ولينا حقاً . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، إنني أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل ؟ فقال : هات يا أبا القاسم .

فقلت : إنني أقول إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء ، خارج عن الحدين ؛ حد الإبطال ، وحد التشبيه ، وإنه ليس بجسم ولا صورة ، ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسم الأجسام ، ومصور الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكة ، وجاعله ومحدثه ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة ، وأقول إن الإمام والخليفة وولي الأمر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم أنت يا مولاي .

فقال عليه السلام : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ؟ قال : فقلت : وكيف ذاك يا مولاي ؟ قال : لأنه لا

أين ، إذ هو منقطع الكيفية والأينية ، هو الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فجل جلاله ... »^(٥) .

كيف وصف أهل البيت عليهم السلام الذات الإلهية ؟

على ضوء ما تقدم مارس آل البيت عليهم السلام التصحيح في هذا الإطار بكلمات منتزعة من ألفاظ الكتاب الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وآله ، محذرين من روايب الشرك ومقولات أهل البدع والأوهام الباطلة المستندة إلى تقديرات العقول .

فمن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام وقد سألته ذعلب اليماني : « هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال : لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان . قريب من الأشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين ، متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالركة ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتجب القلوب من مخافته »^(٦) .

معرفة صفات الذات إلا من خلاله سبحانه ، فهو الذي أحاط بذاته ولم يحط بذاته أحد سواه ، وإذا حاول أحد ذلك فقد يصفه من خلال ما يتوهمه فيقول ما لا يرضي الله ، الأمر الذي يعني إبطال كل المقولات التي كانت تموج بها الساحة الإسلامية من المشبهة والمجسمة والمعطلة وغيرهم .

عن محمد بن حكيم ، قال : « كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي : إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوّه بما وصف به نفسه ، وكفوا عما سوى ذلك »^(٤) .

وعن الفتح بن يزيد الجرجاني ، قال : « ضمنى وأبا الحسن الهادي عليه السلام الطريق حين منصرفي من مكة إلى خراسان ، وهو صائر إلى العراق ، فسمعتة وهو يقول : ... إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وأنى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تتاله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الاحاطة به ، جل عما يصفه الواصفون ، وتعالى عما ينعتة الناعتون ، نأى في قربيه ، وقرب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، وفي قربيه بعيد ، كيف الكيف فلا يقال كيف ، وأين الأين فلا يقال

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: « قلت: جعلت فداك، يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع؟ قال: فقال: كذبوا وألحدوا، وشبهوا، تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع ».

قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه. قال: فقال: تعالى الله، إنها يعقل ما كان بصفة المخلوق، وليس الله كذلك ^(٧) ».

وعن أبي عبد الله عليه السلام وقد قال رجل عنده: الله أكبر، فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء. فقال أبو عبد الله عليه السلام: حدّثه. فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل: الله أكبر من أن يُوصَفَ ^(٨) ».

وهنا يمارس الإمام عليه السلام عملية تصحيح للمقولة، وما أكثر الناس الذين يقولون: الله أكبر من كل شيء! فيجعلون لله تعالى حدّاً من حيث لا يشعرون، من هنا جاء في الحديث الشريف: « الشرك أخفى من ديب النمل ».

وعن أبي الصلت الهروي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: يابن رسول الله، إن

قوماً يقولون: لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحياً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر؟ فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به، فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء. ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عزّ وجلّ عليمًا، قادراً، حياً، قديماً، سميعاً، بصيراً لذاته، تعالى عما يقول المشركون والمشبّهون علواً كبيراً ^(٩) ».

٢. تترية الذات عن مقولات المشبهة والمعطلة:

يختلف الرأي في صفات الذات بين المتكلمين، فمنهم من يثبت الصفات البشرية على الذات الإلهية، كامتلاك الجارحة، والنزول والانتقال من مكان إلى مكان، والجلوس على العرش، وهؤلاء هم المشبهة، ومنهم من يذهب إلى تعطيل العقول عن المعرفة، وهم المعطلة، وإزاء ذلك دعا أهل البيت عليهم السلام إلى التحدث بلغة القرآن، وأخذ العناوين الكبرى في العقيدة منه لا من غيره، فنفوا التشبيه والتعطيل جميعاً، وأكدوا أن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج عن الحدين؛ حد

فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه ، المفترون على الله ، واعلم - رحمك الله - أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل ، فأنف عن الله البطلان والتشبيه ، فلا نفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عما يصفه الواصفون ، ولا تعد القرآن ^(١١) فتضل بعد البيان .

فلقد أراد عليه السلام أن يقول للسائل أن لا يستغرق في الجدل الكلامي عندما يتحدث عن الله سبحانه ، وطلب إليه أن يقرأ كتاب الله إذا أراد معرفة خالقه ، وإلا فهو الضلال المبين .

وعن سهل بن زياد ، قال : « كتب إلى أبي محمد عليه السلام : قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد ، فمنهم من يقول هو جسم ، ومنهم من يقول هو صورة ، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه ، فعلت متطولاً .

فوقع بخطه عليه السلام : سألت عن التوحيد ، وهذا منكم معزول ، الله واحد أحد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، خالق

الابطال ، وحد التشبيه ، وإنه ليس بجسم لأنه خالق الأجسام ، ولا صورة لأنه خالق الصور ومبدعها ، ولا عرض ولا جوهر ، لأنه خالق الأعراض والجواهر ، وهو رب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه . وفيما يلي نستعرض بعض الروايات الواردة عنهم عليهم السلام ، وهي تؤكد هذه المضامين ، وتشير إلى تصدي أهل البيت عليهم السلام إلى أمثال هذه المقولات الباطلة :

عن أبي حمزة الثمالي قال : « رأيت علي بن الحسين عليه السلام قاعداً واضعاً إحدى رجليه على فخذه فقلت : إن الناس يكرهون هذه الجلسة ، ويقولون : إنها جلسة الرب ؟ ! فقال : إني إنما جلست هذه الجلسة للملالة ، والرب لا يمل ، ولا تأخذه سنة ولا نوم » ^(١٠) .

وعن عبد الرحيم القصير ، قال : « كتبتُ على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل فيها : أخبرني عن الله عز وجل هل يوصف بالصورة وبالتخطيط ، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد ؟ فكتب عليه السلام بيدي عبد الملك بن أعين : سألت - رحمك الله - عن التوحيد ، وما ذهب إليه من قبلك ،

وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم، ويصور ما يشاء وليس بصورة، جل ثناؤه وتقديست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (١٢).

ولأجل تعميق هذه المبادئ في النفوس، أمروا شيعتهم بمقاطعة المجسمة، وعدم الصلاة خلفهم، وأن لا يعطوهم شيئاً من الزكاة (١٣).

٣. إبطال الرؤية:

يذهب أهل الحديث من العامة إلى إمكان رؤية الله تعالى في الآخرة، ويرون أن الله تعالى يظهر للناس يوم القيامة كما يظهر البدر في ليلة تمامه، واعتمدوا في ذلك على ظواهر جملة من الروايات والآيات (١٤). ولتصحيح هذا الاتجاه بين أئمة أهل البيت عليه السلام استحالة رؤية الله تعالى؛ لأنها تُفضي إلى القول بالتشبيه، مفسرين الروايات والآيات التي استدلل بها أهل الحديث على القول بإمكانية الرؤية بمعانٍ مناسبة لفهم الآيات والروايات.

عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد

الله عليه السلام قال: «ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب» (١٥).

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (١٦). فقال عليه السلام: يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟!» (١٧).

وعن أحمد بن إسحاق، قال: «كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس؟ فكتب: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في

بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء، وقال بعضهم: لا نقول: لم يزل الله عالماً؛ لأن معنى يعلم يفعل، فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً، فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه؟ فكتب عليه بخطه: لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره»^(٢٠).

وعن أيوب بن نوح: «أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل، أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق، وما كَوّن عندما كَوّن؟ فوقع بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»^(٢١).

ومن موارد التصحيح في هذا الاتجاه ما رواه الكاهلي، قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهى علمه. فكتب إلي: لا تقولن منتهى علمه، ولكن قل منتهى رضاه»^(٢٢). فعلم الله ليس له نهاية ولا تحدّ حدود.

البداء:

مما تقدم تبين أن علمه تعالى محيط

السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات»^(١٨).

وعن يعقوب بن إسحاق، قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقع عليه: يا أبا يوسف، جل سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى.

قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمتة ما أحب»^(١٩).

٤. علمه تعالى:

من المسائل التي كثر الجدل عنها فيما يتعلق بعلمه سبحانه، هي مسألة علمه بالأشياء قبل خلقها أو بعد ذلك، وهل يجوز ظهور الأمر له تعالى بعد أن كان خافياً عليه، وقد أجاب أهل البيت عليه السلام بأنّ الله تعالى عالم بمصير الأشياء كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها، وعلمه هذا أزلي قديم لا يتصور فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، ومن ذلك ما رواه جعفر بن محمد بن حمزة، قال: «كتبت إلى الرجل عليه السلام أسأله: أن مواليك اختلفوا في العلم، فقال

فمعنى البداء الوارد عنهم ﷺ هو ظهور أمر لنا منه تعالى لم يكن مرتقبا، يعد مساوقا لتغيير القضاء، وهو يتعلق بالتكوينيات، كالنسخ المتعلق بالتشريعات، ويكون في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والإثبات.

عن الفضيل، قال: «سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدم فيها ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً - يعني الموقوفة - فأما ما جاءت به الرسل، فهي كائنة، لا يكذب نفسه ولا نبيه ولا ملائكته» (٢٦).

فالقول بجواز البداء في الأمر الموقوف لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه، لأنه تعالى في عالم التكوين يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء، لقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢٧)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٨). وأحاديثهم ﷺ جاءت بهذا المنطق الإلهي، ولا يخالفه إلا منطق اليهود المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

بكل شيء، فلا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، وهو سبحانه عالم بمصير الأشياء كلها غابرها وحاضرها ومستقبلها، وعالم بالجزئيات كعلمه بالكمليات، وعلمه بالمعدوم كعلمه بالموجود، وعلمه هذا أزلي قديم لا يتصور فيه الظهور بعد الخفاء ولا العلم بعد الجهل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٣).

وعلى هذا الأساس نفى أئمة أهل البيت ﷺ البداء بمعنى ظهور الشيء بعد خفائه، لما يترتب عليه من نسبة الجهل إلى الله، وهو عين الكفر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

روى ابن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْدَمُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ، وَيَمْحُو مَا يَشَاءُ، وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. وَقَالَ ﷺ: لكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، وليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُو لَهُ مِنْ جَهْلٍ» (٢٤).

وقال ﷺ: «من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فأبرءوا منه» (٢٥).

وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ
كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٢٩﴾ .

قال اليهود: إن الله لما خلق الأشياء
وقدّر التقادير، تمّ الأمر وخرج زمام التصرف
الجديد من يده بما حتمه من القضاء، فلا
نسخ ولا استجابة لدعاء، لأنّ الأمر مفروغ
منه ﴿٣٠﴾ .

وما يهمننا في هذا الصدد هو التصحيح
الذي قدمه أهل البيت عليه السلام على طريق
البداء، ومن أبرز الشواهد عليه مناظرة الإمام
الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلم
خراسان، وكان المروزي ينكر البداء بالمعنى
الذي قدمناه، قال عليه السلام: « وما أنكرت من
البداء يا سليمان، والله عز وجل يقول:
﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ
يَكْ شَيْئًا ﴾ ﴿٣١﴾ ، ويقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ﴿٣٢﴾ ، ويقول: ﴿ بَدِيعُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿٣٣﴾ ، ويقول عز وجل:
﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿٣٤﴾ ، ويقول:
﴿ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴾ ﴿٣٥﴾ ، ويقول
عز وجل: ﴿ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لِلَّهِ إِذَا
يُعَذِّبُهُمْ وَإِذَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٣٦﴾ ، ويقول
عز وجل: ﴿ وَمَا يَعْزِمُ مِنَ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ
عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ ؟ !

قال سليمان: هل رويت فيه شيئا عن
آبائك؟ قال عليه السلام: نعم، رويت عن أبي عبد
الله عليه السلام أنه قال: إن لله عز وجل علمين:
علما مخزوننا مكنونا لا يعلمه إلا هو، ومن
ذلك يكون البداء، وعلما علّمه ملائكته
ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبيه يعلمونه .

قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من
كتاب الله عز وجل. قال عليه السلام: قول الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿ قَتُولَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
بِمَلُومٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ أراد هلاكهم ثمّ بدا لله، أي عن
علم، فقال: ﴿ وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٩﴾ .

قال سليمان: زدني جعلت فداك - فواصل
الإمام عليه السلام في إيراد الأدلة على جواز البداء
حتى أذعن سليمان المروزي - فقال
للمأمون: يا أمير المؤمنين، لا أنكر بعد يومي
هذا البداء ولا أكذب به إن شاء الله ﴿٤٠﴾ .

٥. الجبر والتفويض والأمريين

الجبر هو الاعتقاد بنسبة أفعال العباد إلى
الله تعالى، ويقول المجبرة: ليس لنا صنع،
أي لسنا مخيرين في أفعالنا التي نفعلها، بل
إننا مجبورون بإرادته ومشيئته تعالى، وإنما

تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك
فتركته، أنت الذي أمرته بالمعصية»^(٤١).

وعن الباقر والصادق عليهما السلام قالوا: «إِنَّ اللَّهَ
عَزَّوَجَلَّ أَرْحَمَ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى
الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ
يُرِيدَ أَمْرًا فَلَا يَكُونُ»^(٤٢).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام لأصحابه
كلاماً جامعاً في هذا الخصوص، قال عليه السلام:
«أَلَا أُعْطِيكُمْ فِي هَذِهِ أَصْلًا لَا تَخْتَلِفُونَ
فِيهِ، وَلَا يَخَاصِمُكُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا كَسَرْتُمُوهُ؟
قَالُوا: إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ. فَقَالَ عليه السلام: إِنْ اللَّهَ
عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَطْعَ بِإِكْرَاهٍ، وَلَمْ يَعْصَ بِغَلْبَةٍ،
وَلَمْ يَهْمَلِ الْعِبَادَ فِي مَلِكِهِ، وَهُوَ الْمَالِكُ لِمَا
مَلِكُهُمْ، وَالْقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ
اتَّعَمَّرَ الْعِبَادُ بِالطَّاعَةِ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَنْهَا صَادِقًا،
وَلَا مِنْهَا مَانِعًا، وَإِنْ اتَّعَمَّرُوا بِمَعْصِيَةٍ فَشَاءَ
أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، فَإِنْ لَمْ
يَحُلْ وَفَعَلُوهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيهَا -
ثُمَّ قَالَ عليه السلام: - مِنْ يَضْبِطُ حُدُودَ هَذَا الْكَلَامِ
فَقَدْ خَصِمَ مِنْ خَالَفَهُ»^(٤٣).

وروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه
سُئِلَ عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، فَقِيلَ لَهُ: «هَلْ هِيَ
مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟» فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَ خَالِقًا
لَهَا لَمَا تَبَرَّأَ مِنْهَا، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنَّ اللَّهَ

تَنْسِبُ الْأَفْعَالَ إِلَيْنَا عَلَى سَبِيلِ التَّجَوُّزِ، لِأَنَّا
مَحَالُّهَا، وَهَذَا يَفْضِي إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ تَعَالَى
يَحَاسِبُهُمْ عَلَى أَفْعَالٍ أَجْبَرَهُمْ عَلَيْهَا، وَمَنْ
هَذَا نَسَبُوا الظُّلْمَ إِلَى الْخَالِقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ
ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَيَتَبَنَّى هَذَا الرَّأْيُ الْأَشَاعِرَةُ،
غَيْرَ أَنَّهُمْ أَضَافُوا (الْكَسْبَ) إِلَى الْإِنْسَانِ، لَذَا
عُرِفُوا بِالْجَبْرِيةِ الْمُتَوَسُّطَةِ. وَالْمَفْهُومَةُ
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا صَنْعَ لَهُ وَلَا دَخَلَ
فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ، سَوَى أَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَأَقْدَرَهُمْ،
ثُمَّ فَوَّضَ أَمْرَ أَفْعَالِهِمْ إِلَى سُلْطَانِهِمْ
وَأَرَادَتْهُمْ، وَلَا دَخَلَ لِأَيِّ إِرَادَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ
عَلَيْهِمْ، فَأَخْرَجُوا اللَّهَ تَعَالَى عَنْ سُلْطَانِهِ،
وَأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ فِي الْخَلْقِ، وَيَتَبَنَّى هَذَا
الرَّأْيُ الْمَعْتَزَلَةُ. وَيَذْهَبُ أَهْلُ الْبَيْتِ عليهم السلام
مَذْهَبًا وَسْطًا بَيْنَ الْجَبْرِ وَالتَّفْوِيضِ لَا يَتَّصِلُ
بِالْجَبْرِ وَلَا بِالتَّفْوِيضِ، وَهُوَ الْأَمْرُ بَيْنَ
الْأَمْرَيْنِ، أَوْ الْمَنْزِلَةُ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، فَأَفْعَالُنَا
هِيَ تَحْتَ مَقْدُورِنَا وَاخْتِيَارِنَا، وَهِيَ مَقْدَرَةٌ لِلَّهِ
تَعَالَى.

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله
الصادق عليه السلام، قال: «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ،
وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ. قَالَ: قُلْتَ: وَمَا أَمْرُ
بَيْنَ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ رَأَيْتَهُ
عَلَى مَعْصِيَةٍ فَنَهَيْتَهُ فَلَمْ يَنْتَهَ، فَتَرَكْتَهُ فَعَلَّ

فَتَصَدَّى أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ لِهَذَيْنِ الْاِتِّجَاهَيْنِ
مُبِينَيْنِ أَنَّ كُلَّ هِدَايَةٍ هِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ هِيَ مِنَ الْعَبْدِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ كُلِيَهُمَا
يَجْرِيَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ وَقَرَارِهِ .

عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر
الباقر ﷺ ، قال : « سَأَلْتُهُ عَنْ مَعْنَى لَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَقَالَ : مَعْنَاهُ لَا حَوْلَ لَنَا عَنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ » ^(٤٧) .

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال :
« سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ
قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ » ^(٤٨) .

فَقَالَ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ
الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ دَارِ كَرَامَتِهِ ،
وَيَهْدِي أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى
جَنَّتِهِ ، كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ^(٤٩) ، وَقَالَ
عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ » ^(٥٠) .

وعن حمدان بن سليمان النيسابوري ،
« قَالَ : سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا ﷺ
بَنِيسَابُورَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ

بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٤٤) وَلَمْ يَرِدِ
الْبَرَاءَةُ مِنْ خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَبَرُّاً مِنْ
شُرَكَاهُمْ وَقَبَائِحِهِمْ » ^(٤٥) .

وللإمام أبي الحسن الهادي ﷺ رسالة
بعثها إلى أهل الأهواز ، هي أطول وأهم ما
ورد في هذا الموضوع ، باعتبارها من المسائل
التي أثّرت بقوة في ذلك الوقت ، بحيث
كانت سبباً للاختلاف بين أصحابه ﷺ إلى
حدِّ الفرقة والتقاطع والعداوة ، فوضع
الإمام ﷺ النقاط على الحروف في هذه
المسألة الحساسة ، مستدلاً على المنزلة بين
المنزلتين من أي الكتاب الكريم والحديث
الشريف ^(٤٦) .

٦ . الهداية والضلالة والسعادة والشقاوة :

على ضوء ما تقدم من نسبة الأفعال
اختلفت الفرق في تحديد جهة صدور الهداية
والضلال ، والطاعة والمعصية ، والسعادة
والشقاوة ، فذهب بعض المفسرين
والمحدثين إلى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مُصَدِّرُ ذَلِكَ
كُلِّهِ ، وَالْعَبْدُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرراً ،
فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هِدَاةً ، وَإِذَا أَرَادَ أَضْلَهُ ، وَذَهَبَ
آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ ،

اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿٥١﴾ .
 قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا
 إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح
 صدره للتسليم لله ، والثقة به ، والسكون
 إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه ،
 ومن يرد أن يضلّه عن جنته ودار كرامته في
 الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا ،
 يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشكّ في
 كفره ، ويضطرب من اعتقاده قلبه ، حتى
 يصير كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل
 الله الرّجس على الذين لا يؤمنون ﴿٥٢﴾ .

٧. تترية الأنبياء عن المعاصي : —

ذهب أهل البيت ﷺ إلى القول بعصمة
 الأنبياء ﷺ جميعاً من المعاصي كبيرها
 وصغيرها قبل النبوة وبعدها ، وذهب
 الحشوية والأشاعرة إلى جواز فعل الكبائر
 قبل النبوة ، ومنهم من ذهب إلى جوازها في
 حال النبوة سوى الكفر والكذب فيما يتعلق
 بتبليغ الشريعة ، ويستدلون على ذلك بظواهر
 بعض الآيات القرآنية ، وجوّز المعتزلة صغائر
 الذنوب على الأنبياء .

وقدم أئمة أهل البيت ﷺ بياناً شافياً
 لجميع الآيات التي يظهر منها نسبة الخطأ أو

المعصية للأنبياء ﷺ ، وأماطوا الستار عن
 المعاني الحقيقية لتلك الآيات .

ومن ذلك ما رواه الحسن الصيقل ، قال :
 « قلت لأبي عبد الله ﷺ : إنا قد روينا عن أبي
 جعفر ﷺ في قول يوسف ﷺ : ﴿ أَتَيْتُهَا الْغَيْرُ
 إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ ^(٥٣) ، فقال : والله ما سرقوا
 وما كذب ، وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
 يَنْطِقُونَ ﴾ ^(٥٤) ، فقال : والله ما فعلوا وما
 كذب .

قال : فقال أبو عبد الله ﷺ : ما عندكم
 فيها يا صيقل ؟ قال : فقلت : ما عندنا فيها
 إلا التسليم ، قال : فقال : إن الله أحب
 اثنين ، وأبغض اثنين : أحبّ الخضر فيما
 بين الصّفين ، وأحبّ الكذب في الإصلاح ،
 وأبغض الخضر في الطرقات ، وأبغض
 الكذب في غير الإصلاح ، إن إبراهيم ﷺ
 إنما قال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ إرادة
 الإصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون ، وقال
 يوسف ﷺ إرادة الإصلاح ^(٥٥) .

وفي حديث آخر عنه ﷺ ، قال : « ما فعله
 كبيرهم وما كذب إبراهيم ﷺ ، فقلت :
 فكيف ذاك ؟ قال : إنما قال إبراهيم ﷺ :
 ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ إن نطقوا

بكذب الرواة العدول ؟ فقلت : لمّا وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبته إلى الخليل عليه السلام ، كان من المعلوم بالضرورة أنّ نسبته إلى الراوي أولى ^(٦٠) .

وللامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حديث طويل رواه عليّ بن محمّد ابن الجهم ، وأجاب فيه الإمام عليه السلام عن كثير من الآيات التي توهم ما يعارض العصمة ، قال عليّ بن محمّد بن الجهم : « حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام ، فقال له المأمون : يا بن رسول الله ، أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون ؟ فقال : بلى ، وذكر حديثاً طويلاً ، ومنه : قال المأمون : فأخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ^(٦١) ؟ » .

فقال الرضا عليه السلام : لقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همت به ، لكنّه كان معصوماً ، والمعصوم لا يهّم بذنب ولا يأتيه . ولقد حدّثني أبي ، عن أبيه الصادق عليه السلام ، أنّه قال : همت بأن تفعل ، وهمّ بأن لا يفعل . فقال المأمون : لله درك ، يا أبا الحسن ^(٦٢) .

فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً ، فما نطقوا وما كذب إبراهيم عليه السلام .

فقلت : قوله عزّوجلّ في يوسف عليه السلام : ﴿ آتَيْتُهَا الْعِيزِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ قال : إنهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترى أنه قال لهم حين قال : ﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ * قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ ^(٥٦) ، ولم يقل : سرقتم صواع الملك ؟ إنما عنى سرقتم يوسف من أبيه ^(٥٧) .

وهذا الحديث وغيره ^(٥٨) يستبطن ردّاً على ما روي من طرق العامة بما لا يتناسب مع شخصية الأنبياء عليهم السلام ، عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات : قوله حين دعي إلى آلهتهم إني سقيم ، وقوله : فعله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة : إنها أختي ... » ^(٥٩) .

وقد حكم الفخر الرازي في التفسير الكبير بكذب حديث البخاري عن أبي هريرة ، فقال ما هذا لفظه :

« قلت لبعضهم : هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل ؛ لأنّ نسبة الكذب إلى إبراهيم عليه السلام لا تجوز ، وقال ذلك الرجل : فكيف يحكم

١.٨ التصدي لحركة الغلو والنصب : —

الغلو: مجاوزة الحدّ المعقول في العقائد الدينية والواجبات الشرعية. والغالي في أهل البيت عليهم السلام من يقول فيهم عليهم السلام ما لا يقولون في أنفسهم، كالقول بألوهية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وبكونهم شركاء لله سبحانه في الربوبية، وأن الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد بهم، وإنهم يعلمون الغيب، والقول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات والعبادات، والقول بأن الله فوض إليهم أمر العباد بالتفويض المطلق، والقول بتناسخ أرواح الأئمة عليهم السلام أنبياء، والقول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، والقول بأنهم لم يُقتلوا ولم يموتوا بل شبّه لهم، والقول بتفضيل الأئمة عليهم السلام على النبي صلى الله عليه وآله في مكارم الأخلاق، إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة التي رفضها الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الإمامية جملة وتفصيلاً، وذهب بعض الغلاة إلى ادعاء البابية أو الإمامة أو النبوة.

وفرق الغلاة كثيرة، منهم: العليائية والمخمسة والغرابية والبزيعية والبيانية والخطابية والشعرية والمغيرية والمنصورية، وغيرهم من فرق الضلال المنقرضة، التي نشأت لأسباب عديدة، منها سياسية تهدف

إلى طلب الرئاسة والزعامة، أو الحطّ من مكانة الأشخاص الذين يغالون فيهم والتقليل من شأنهم، ومنها المصالح الشخصية الهادفة إلى احتواء أموال الناس وأكلها بالباطل، ومنها النزوات الشاذة التي جعلت أصحابها يتمردون على شرعة الله سبحانه، فأباحوا المحرمات واستخفوا بالعبادات، ومهما كان السبب فان حركة الغلو من المعاول الهدامة التي تشكل خطورة بالغة على الفكر الإسلامي، وهي ظاهرة طارئة نشأت بدعم موجّه من قبل أعداء الإسلام الذين ما انفكوا يتربصون به الدوائر، ليسلبوا مبادئه من نفوس أبنائه، ويشوّهوا مفاهيمه ومعتقداته.

لذلك اتخذ الأئمة الأطهار عليهم السلام وشيعتهم مواقف شديدة من الغلو والغلاة، لقطع الطريق أمام هذا المدّ الفكري الهدّام، وسد جميع المنافذ أمام الغلاة، ومحاربتهم بكلّ ما بوسعهم من عناصر القوة والامكان، للحيلولة دون انتشار أفكارهم الهدامة، فبينوا أن الغلو كفر وشرك وخروج عن الإسلام، وتبرعوا من الغلاة ولعنوهم، وحدّروا شيعتهم منهم، وكشفوا عن تمويهاتهم وافتراءاتهم، وردّوا على أباطيلهم،

عليها، والبعض من الناصبة قد يصل إلى حدّ التكفير لكلّ من يتولى أهل البيت عليهم السلام ويقول باماتهم، ويدين بحبّهم، ويقتدي بهم كقادة رساليين انتجبههم الله تعالى لتبليغ دينه وإتمام رسالته.

وقد بيّن أهل البيت عليهم السلام أن كلاً من الغلو والنصب هو من نتاج أعدائهم، وأن الغالي والناصب هالكان، وأن أفضل المواقف هو الموقف الوسط بين الإفراط والتفريط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه» ^(٦٦).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي» ^(٦٧).

٩. التصدي لأهل البدع والشبهات: —

هناك الكثير من الأخبار التي تدلّ على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يتابعون بدقة ما يجري على الساحة الفكرية، ويتحركون على كل الاتجاهات المضادة والأفكار المنحرفة

لتصحيح المسار الإسلامي بكل ما حوى من علوم ومعارف واتجاهات، والحفاظ على الخط الرسالي الأصيل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمئة: «إياكم والغلو فينا، قولوا: عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم، من أحبنا فليعمل بعملنا، وليستعن بالورع» ^(٦٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا» ^(٦٤).

وقال الإمام الرضا عليه السلام وقد سئل عن الغلاة: «... من جالسهم أو خالطهم، أو آكلهم أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوجهم أو تزوج منهم، أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة، أو صدق حديثهم، أو أعانهم بشرط كلمة، خرج من ولاية الله عزّ وجلّ وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت» ^(٦٥).

وإلى جانب الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام فإن هناك خطأً مناقضاً لخطأ الغلو، وهو خطأ النصب والعدوان لأهل البيت عليهم السلام، والانتقاص من مكانتهم الحقّة عند الله تعالى، ودورهم في تبليغ الرسالة والحفاظ

والشبهات التي تنطلق هنا وهناك في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل، فيتصدّون لها بالحجة البالغة والاسلوب العلمي والجدل الموضوعي.

مثال ذلك ما نقله ابن شهر آشوب عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل: أن الكندي، كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك، وتفرّد به في منزله، فسلب الإمام العسكري عليه أحد طلابه بكلام قاله له، مما جعله يتوب ويحرق أوراقه.

وملخص الفكرة التي أبداهها الإمام عليه السلام للتلميذ، هي احتمال أن يكون المراد بالآيات القرآنية غير المعاني التي فهمها وذهب إليها، باعتبار أن اللغة العربية مرنة متحركة، فقد يفهم بعض الناس الكلام على أنه الحقيقة وهو من المجاز، وقد يفهم أن المراد هو المعنى اللغوي والمقصود هو المعنى الكنائي.

وطلب الإمام عليه السلام من تلميذ الكندي أن يتلطّف في مؤانسة استاذة قبل إلقاء الاحتمال، ووصفه عليه السلام بقوله: إنّه رجل يفهم إذا سمع. فصار التلميذ إلى الكندي، وألقى إليه ذلك الاحتمال، فتفكر في نفسه، ورأى

أن ذلك محتمل في اللغة، وسائغ في النظر. فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك هذا؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد. فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه^(٦٨).

ومن المفاهيم المغلوطة التي أسهم أهل البيت عليه السلام في فضحها وتعريتها، وتوجيهها في المسار الصحيح، هو سلوك المتصوفة في الزهد واطهار التقشف والانقطاع عن الحياة.

قال العلاء بن زياد الحارثي لأmir المؤمنين عليه السلام: «يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال: وماله؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا. قال: لقد عليّ به. فلما جاء قال: يا عديّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدتك. أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك»^(٦٩).

يقول بالتناسخ وقدم الدهر ، ومنهم من يقول بالثنوية ، وإذا كان الحاكم قد أفرط في استعمال القوة ضد هذا التيار المدمر ، فإن أهل البيت عليهم السلام قد أمعنوا النظر في اتباع المنطق العقلي معهم واستعمال لغة الحوار ، وإطلاعهم على مساحات واسعة من اضاءات الفكر الإسلامي .

فقد جاء في سيرة الإمام الرضا عليه السلام أنه دخل رجل من الزنادقة عليه وعنده جماعة ، فقال له أبو الحسن عليه السلام : « أرايت إن كان القول قولكم ، وليس هو كما تقولون ، ألسنا وإياكم شرع سواء ، ولا يضرنا ما صلينا وزكينا وأقررنا ؟ فسكت ، فقال أبو الحسن عليه السلام : وإن يكن القول قولنا ، وهو قولنا ، وكما نقول ، ألستم قد هلكتم ونجونا ؟

قال : رحمك الله فأوجدني كيف هو ؟ وأين هو ؟ قال عليه السلام : وبلك ، إن الذي ذهبته إليه غلط ، وهو أين الأين ولا أين ، وكيف وكيف وكان ولا كيف ، فلا يعرف بكيفوفية ، ولا بأينونية ، ولا يدرك بحاسة ولا يُقاس بشيء .

قال الرجل : فإذاً انه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس !

ودخل على علي بن موسى الرضا قوم من الصوفية فقالوا : « ... الإمامة تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب ويعود المريض ويشيع الجنائز ، فقال عليه السلام : كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزركشة بالذهب ، والقباطي المنسوجة بالذهب ، وجلس على متكآت آل فرعون ، وحكم وأمر ونهى ، وإنما يراد من الإمام قسط وعدل ، إذا قال صدق ، وإذا حكم عدل ، وإذا وعد أنجز ، إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعوماً ، وتلاقوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ^(٧٠) .

ونهى الإمام الهادي عليه السلام أصحابه وسائر المسلمين عن التواصل مع الصوفية والاختلاط بهم ، لأن زهدهم لم يكن حقيقياً وإنما لراحة أبدانهم ، وأن تهجدهم في الليل لم يكن نسكاً وإخلاصاً في طاعة الله تعالى ، وإنما هو وسيلة لصيد أموال الناس وإغوائهم ، وأن أورادهم ليست عبادة خالصة لله بل هي رقص وغناء ، وأن أتباعهم هم الحمقى والسفهاء ^(٧١) .

واستفحلت حركة الزندقة في العصر العباسي ، وتعددت مقولاتهم ، فمنهم من

فقال أبو الحسن (عليه السلام): ويلك إذا عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا، وأنه شيء بخلاف الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): أخبرني متى لم يكن، فأخبرك متى كان؟!

قال الرجل: فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): اني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة اليه، علمت أن لهذا البنيان بانياً، فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن لهذا مقدراً ومنشأً.

قال الرجل: فلم احتجب؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن الحجاب على الخلق، لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار.

قال: فلم لا تدركه حاسة الأبصار؟

قال (عليه السلام): للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجل من أن يدركه بصر أو يحيطه وهم أو يضبطه عقل.

قال: فحده لي؟ قال (عليه السلام): لا حد له، قال: ولم؟ قال (عليه السلام): لأن كل محدود متناه إلى حد، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متزايد ولا متناقص ولا متجزئ ولا متوهم... (٧٢).

١٠. تصحيح مفاهيم في الإمامة: —

لقد بين أهل البيت (عليهم السلام) أن الإمامة منصب الهي، ولا تكون بالشورى والاختيار، بل تخضع للإرادة الربانية، وهو تعالى يجتبي من عباده ما يشاء لهذا المنصب الخطير، والإمام يشترك مع النبي باعتبارهما حجة على الناس، ويفترق عنه بالوحي فهو لا يوحى اليه، وأن الأرض لا تخلو من حجة منذ خلق الله تعالى آدم، وأن الأئمة من آل البيت هم ورثة النبي (صلى الله عليه وآله) وأولاده وأفضل من خلف بعده في أمته، وأنهم أولي الأمر الذين.

الهوامش:

- ١- الكافي ١: ٢٦٢، ٥.
- ٢- الكافي ٢: ٢٣، ١٤.
- ٣- اكمال الدين: ٣٧٩، ١، التوحيد: ٨١، ٣٧.
- ٤- الكافي ١: ١٠٢، ٦.
- ٥- كشف الغمة ٣: ١٧٩.
- ٦- نهج البلاغة: ٢٥٨ - الخطبة ١٧٩.
- ٧- الكافي ١: ١٠٨، ١.
- ٨- الكافي ١: ١١٧، ٨.
- ٩- التوحيد: ١٣٩، ٣، عيون أخبار الرضا ١: ١١٩، ١٠، الاحتجاج: ٤١٠.
- ١٠- الكافي ٢: ٦٦١، ٢.
- ١١- التوحيد: ١٠٢، ١٥، الكافي ١: ١٠٠، ١.
- ١٢- الكافي ١: ١٠٣، ١٠.
- ١٣- راجع: أمالي المفيد: ١١٢، ٣، من لا يحضره الفقيه، الصدوق ١: ٣٧٩، التوحيد، الصدوق: ١٠١، ١١.
- ١٤- راجع: الإبانة، الأشعري: ٢١، شرح التجريد، القوشجي: ٣٣٤.
- ١٥- الكافي ١: ٩٨، ٧.
- ١٦- سورة الأنعام: ٦، ١٠٣.
- ١٧- الكافي ١: ٩٩، ١١.
- ١٨- التوحيد: ١٠٩، ٧، أصول الكافي ١: ٩٧، ٤.
- ١٩- أصول الكافي ١: ٩٥، ١، التوحيد: ١٠٨، ٢.
- ٢٠- الكافي ١: ١٠٧، ٥.
- ٢١- الكافي ١: ١٠٧، ٣، التوحيد: ١٤٥، ١٣.
- ٢٢- الكافي ١: ١٠٧، ٤، التوحيد: ١٣٤.
- ٢٣- سورة آل عمران: ٣، ٥.
- ٢٤- تفسير العياشي ٢: ٢١٨، ٧١.
- ٢٥- بحار الأنوار ٤: ١١١، ٣٠.
- ٢٦- تفسير العياشي ٢: ٢١٧، ٦٥.
- ٢٧- سورة الرعد: ١٣، ٣٩.
- ٢٨- سورة الرحمن: ٥٥، ٢٩.
- ٢٩- سورة المائدة: ٥، ٦٤.
- ٣٠- تفسير الميزان ٢: ٣٢.
- ٣١- سورة مريم: ١٩، ٦٧.

- ٣٢- سورة الروم : ٣٠ ، ٢٧ .
 ٣٣- سورة البقرة : ٢ ، ١١٧ .
 ٣٤- سورة فاطر : ١ ، ٣٥ .
 ٣٥- سورة السجدة : ٣٢ ، ٧ .
 ٣٦- سورة التوبة : ٩ ، ١٠٦ .
 ٣٧- سورة فاطر : ٣٥ ، ١١ .
 ٣٨- سورة الذاريات : ٥١ ، ٥٤ .
 ٣٩- سورة الذاريات : ٥١ ، ٥٥ .
 ٤٠- التوحيد : ٤٤١ - ٤٤٥ ، ١ .
 ٤١- التوحيد : ٣٦٢ ، ٨ .
 ٤٢- التوحيد : ٣٦٠ ، ٣ .
 ٤٣- كشف الغمة ٣ : ٨٢ .
 ٤٤- سورة التوبة : ٩ ، ٣ .
 ٤٥- تصحيح الاعتقاد : ٢٩ .
 ٤٦- تحف العقول ، الحراني : ٤٥٨ .
 ٤٧- التوحيد : ٢٤٢ ، ٣ ، الاحتجاج : ٤١٢ .
 ٤٨- سورة الكهف : ١٨ ، ١٧ .
 ٤٩- سورة إبراهيم : ١٤ ، ٢٧ .
 ٥٠- التوحيد : ٢٤١ ، ١ . والآية من سورة يونس : ١٠ ، ٩ .
 ٥١- سورة الأنعام : ٦ ، ١٢٥ .
 ٥٢- التوحيد : ٢٤٢ ، ٤ .
 ٥٣- سورة يوسف : ١٢ ، ٧٠ .
 ٥٤- سورة الأنبياء : ٢١ ، ٦٣ .
 ٥٥- الكافي ٢ : ٣٤١ ، ١٧ .
 ٥٦- سورة يوسف : ١٢ ، ٧١ - ٧٢ .
 ٥٧- معاني الأخبار : ٢١٠ ، ١ .
 ٥٨- راجع : الكافي ٨ : ١٠٠ ، ٧٠ ، مجمع البيان ٨ : ٧٠٢ .
 ٥٩- راجع : صحيح البخاري ٤ : ٢٨٠ ، ١٦١ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٤٠ ، ١٥٤ ، مسند أحمد ٢ : ٤٠٣ .
 ٦٠- التفسير الكبير ، الفخر الرازي ١٦ : ١٤٨ .
 ٦١- سورة يوسف : ١٢ ، ٢٤ .
 ٦٢- عيون أخبار الرضا ١ : ٢٠١ ، ١ .
 ٦٣- الخصال : ٦١٤ ، ١٠ .

- ٦٤- رجال الكشي : ٣٠٢ ، ٥٤٢ .
٦٥- عيون أخبار الرضا : ٢ : ٢١٩ ، ٤ .
٦٦- نهج البلاغة : ١٨٤ - الخطبة ١٢٧ .
٦٧- الكافي : ١ : ١٠١ ، ٣ .
٦٨- المناقب ، ابن شهر آشوب : ٤ : ٤٥٧ .
٦٩- نهج البلاغة : ٣٢٤ - الخطبة ٢٠٩ .
٧٠- الفصول المهمة : ٢٥١ ، والآية من سورة الأعراف : ٧ ، ٣٢ .
٧١- راجع : حديقة الشيعة ، الأردبيلي : ٦٠٣ ، الاثنا عشرية ، الحر العاملي : ٢٩ .
٧٢- عيون أخبار الرضا : ١ : ١٢٠ ، ٢٨ .

من أعلام الشيعة الإمام الخامنئي المرجع القائد

في يوم مشهدي وادع من العام ١٩٣٩ م ، جلس السيد جواد في الباحة الأمامية لمنزله المتواضع ، الذي لا يعدو الغرفة الواحدة ، مضافاً إليها سرداب ضيق مظلم ، أخذاً برأسه بين يديه تارة ، وضاعطاً بإحدهما على الأخرى تارة أخرى ، فزوجته شارفت على وضع حملها الذي انتظراه معاً تسعة أشهر بأيامها ولياليها .

كان الصمت يلف المكان ، والقلق يملأ كيانه خوفاً على الأم وطفلها .. جعل يذرع الأرض جيئةً وذهاباً .. أخذ يتمتم ، يقرأ سورة مريم ، يهديها للوالدة علّ الله سبحانه يخفف آلامها .. ولربما توّسل بأمير المؤمنين علي عليه السلام الذي أضمر من قبل أن يجعل مولوده سميّاً له !

وبينما هو كذلك ، أخذت الأفكار تتجاذبه ، وجعل يفكر في صفات وشمائل المولود الجديد ، وما سيكون عليه حاله عندما يكبر تخيّله بعباءته الصغيرة حاملاً القرآن وذاهباً إلى الكتاب . تخيّل سيّداً جليلاً يتلأل وجهه نوراً تحت العمّة السوداء خطيباً واعظاً قائماً على منبر من منابر أحد المساجد . أو ربما أديباً وشاعراً تختال الكلمات جذلي على شفتيه . وفيما هو غارق في

يذكر سماحته تلك الفترة ويقول :

لقد قضيت طفولتي في عسرة شديدة ،
خصوصاً أنها كانت ملازمة لأيام الحرب ..
كان وضعنا المادي بصورة لم نكن نتمكّن
معها من أكل خبز الحنطة ، فكنا عادة نأكل
خبز الشعير .

إنني أتذكر بعض ليالي طفولتي ، حيث لم
يكن في البيت شيء لنأكله ، كانت والدتي
تأخذ النقود التي كانت تعطينا إياها جدتي
أحياناً ، لي أو لأحد إخواني أو أخوتي ،
وتشتري بها الحليب أو الزبيب لنأكله مع
الخبز .

ولم يكن لباسنا أفضل من ذلك ، فقد
كانت والدتي تخطط لنا من ملابس والدي
القديمة شيئاً عجيباً غريباً . كان لباساً طويلاً
يصل إلى أسفل الركبة يحتوي على عدة
وصلات . طبعاً يجب أن يقال إن والدي لم
يكن يغير ملابسه بهذه السرعة ، وعلى سبيل
المثال بقي أحد ملابسه بلا تغيير لمدة
أربعين عاماً .

وكانت مساحة بيتنا ، الذي ولدت وقضيت
فيه سنواتي الخمس الأولى ، ما بين ٦٠ و
٧٠ متراً مربعاً في حي فقير بمشهد . وكان

حلمه الجميل ذاك ، ملاً المكان صوت
تهلّل له وجه السيد جواد .

لحظات قليلة ، وإذا بالقابلة تخرج من
الغرفة وتقول : « مبارك لكم ولادة السيد
علي » .

الطفولة

من رحم المعاناة يولد القادة الرجال —

إن الاسلام والخصال المعنوية
وعدم الاعتناء بزخارف الدنيا هي منقذة
الإنسان والإنسانية ، والالتزام بالخط الإلهي
المستقيم هو الذي يوصل الإنسان إلى
شاطئ العدالة .

جرت العادة -إلا فيما ندر- أن يخرج
القادة ورؤساء الدول من بيئات ثرية ومرفهة .
فالرئيس أو القائد غالباً ما يولد وفي فمه
ملعقة من ذهب ، فلا يعي الفقر والحرمان ،
ولا يعيش معاناة الناس وألامهم ، بل تراه
يرفل في عالمه المخملي البعيد عن كل ما
ينغص عليه حياته . لكن ، هل تعلم أن الإمام
الخامنئي قائد الأمة الإسلامية قد شذّ عن
هذه القاعدة ، فخرج من بيت فقير يعاني
الحرمان ، شأنه شأن معظم الناس في تلك
الفترة ؟!



لا بدّ له من ممرض يرعى شؤونه واحتياجاته.. كان بين الأب وابنه علاقة قوية جداً، فالأب يأنس بوجود ابنه «علي» كأنس يعقوب بيوسف.

تردّد السيد علي، أبقى في قم ويترك أباه الذي يعلّق عليه آمالاً كثيرة، أم يتركها وقد نصحه أساتذته بعدم المغادرة، وكان يرى فيها دنياه وأخراه؟. توجّه إلى بيت أحد أصدقائه، وكان من أهل المعرفة طلباً للمشورة فقال له: أرى أن تذهب مع والدك، وسوف ينقل الله قم إلى مشهد، وكل ما تريد أن تحصل عليه في قم، يعطيك الله إياه في مشهد، أو أينما تكون.

وهكذا كان، فقد ترك السيد علي قم، وذهب مع والده إلى مشهد، فأفاض الله سبحانه عليه أنواع النعم.

يقول سماحته في هذا الخصوص:

إن العنايات والألطف الإلهية كافة التي شملتني، إنما كانت بسبب تلك العودة.. وبسبب بر الوالدين.

القائد والقرآن

كان المشهد مألوفاً، غرفة بسيطة

عبارة عن غرفة واحدة وسرداب ضيق مظلم. وعندما كان يحلّ علينا ضيف بما أن والدي كان عالماً ومرجعاً لشؤون الناس فكان عنده دائماً ضيوف كان علينا أن نذهب حتى يرحل الضيف، فيما بعد اشترى بعض المحبين لوالدي قطعة أرض بجوارنا وألحقها ببيتنا ليصبح ثلاث غرف.

بر الوالدين

سوف ينقل الله قم إلى مشهد

كبر السيد وكبرت معه طموحاته وآماله العلمية، فكان كلما اطلع على علم من العلوم، ازداد شوقاً للاطلاع على آخر، وكلما ارتشف رشفة معرفة، تاقّت نفسه إلى ثانية وثالثة.. ومن هنا، يمم وجهه نحو قم، وشدّ الرحال إليها.. وهناك التحق بدروس الأكابر من الجهابذة ورجال العلم.. وأخذ ينهل من نعيم علومهم.. ولم تكد تمضي فترة، حتى لمع نجم الشاب وذاع صيته.

لم يطل أنس السيد علي بمحافل العلم والعلماء، فقد اضطر إلى ترك مدينة قم بعد ست سنوات، إثر وعكة صحية ألمت بوالده، الذي كان قد فقد بصره واضطر للانتقال مؤقتاً إلى طهران من أجل العلاج، ثم كان

عندما انتهت القصّة، كان الجميع قد غرق في نوم عميق، إلا علياً فقد بقي مستيقظاً حتى النهاية.. هناك، طبع على وجنة أمّه قُبلة.. واستلقى على فراشه متدثراً بغطائه الموشى بخيوط ملوّنة.. إلا أن النوم لم يلامس جفنيه، فقصص القرآن كثيرة المعاني.. وهو بعقله الطفولي يفهم شيئاً وتغيب عنه أشياء، ويخجل من سؤال أمّه عن كل شيء!.. وتكمل الأم لوحدها قراءة الآيات، منتظرة عودة زوجها «العالم» من أحد دروسه الليلية. وبين الفينة والأخرى تلقي بنظرها على الأولاد، خاصّة على علي الذي كان لا يزال مستيقظاً، شاردًا في سقف الغرفة. تسأل نفسها: بماذا يفكر كثير الأسئلة هذا؟! الظاهر أنه يفكر بالآيات التي قرأتها عليه. وتخرج لملاقاة زوجها العائد دون أن تدري بأن ابنها سيرتقي يوماً ببركة القرآن و الأُنس به إلى مصاف القادة الأولياء العظام.

كلنا نعلم أن روح العبادة والصلاة هي التوجه القلبي، فما لم يكن المصلي متوجّهاً بقلبه إلى الله سبحانه، فإن صلاته ستبقى عبارة عن مجموعة من الحركات الجسمانية لا أكثر.

الأثاث، وعلى بساطها أمّ تحنو على أطفالها ليلاً، تضيء سراج عطفها، تقرأ لهم على ضوئه آيات من القرآن بصوت شجي، وبعبريّة لا يتخيّل أحد أنها صادرة عن لسان فارسي!

تتوقد عيناً أحد أطفالها في الظلام الخفيف وقد كان الأكثر انتباهاً بين إخوته فيسأل أمّه: أمي ما معنى هذه الآية؟

تنظر الأم في عيني ولدها، الذي تتوقع له أن يكون عالماً بالقرآن.. تغوص فيهما إلى البعيد.. إلى عمق تفكيره، ثم تجيب: هذه الآيات، يا ولدي، تحكي قصّة نبيّ الله موسى مع الخضر

هناك، لم يعد الصبي ليقبل بالتوقف.. أخذ يرشق أسئلته كأنه يلتهم حبّات عنب باردة في حرّ الصيف: من هو الخضر؟ هل صحيح أنه لا زال حيّاً إلى الآن؟ ماذا علّم النبيّ موسى؟ لماذا خرق السفينة؟ وهل يحق له ذلك؟!

هذا، والأم تنظر إليه بعيون قلبها المبتهج.. توقفه بحركة من يدها.. تضحك في وجهه المحمّر خجلاً من كثرة الأسئلة، ثم تبدأ بسرّد القصّة.

وفي الحديث « إِنَّ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ » .

عندما يقبل الإنسان على ربه بقلبه، فإنَّ عظمة الله ستملاً هذا القلب بمقدار هذا الاقبال .

وعندما تملاً عظمة الله قلب المصلي، فإن كل ما في هذه الدنيا يفقد بريقه وتأثيره .

يروى أن سماحة القائد كان ذات يوم يؤم المصلين في أحد مساجد القرى النائية. و أثناء الصلاة، دخلت معزة إلى المسجد وبدأت تتحرك بين المصلين بطريقة غريبة، فبدأ المصلون

بالضحك واحداً تلو الآخر، ولم يتمالكوا أنفسهم حتى قطعوا الصلاة. وارتفعت أصوات الضحك حتى ملأت المسجد. ولكن السيد الخامنئي استمر بالصلاة ولم تؤثر فيه حركة المعزة ولا الضحكات المتعالية .

وعندما أنهى الصلاة التفت إليه المصلون وهم متعجبون، فتعجب هو أيضاً. واستفسر عن الأمر، فقالوا له: لقد اضطررنا إلى أن نقطع صلاتنا يا سيدنا بسبب هذه المعزة وحركاتها بين صفوف المصلين. لقد أضحكنا كثيراً، والضحك مبطل للصلاة .

فتعجب سماعته وقال: والله، لم أر معزة، ولم أسمع أية ضحكة! درس لنا: كيف يمكن أن نصلي دون أن نتوجه إلى ما حولنا؟ الجواب: إذا استطعنا أن نتوجه بقلوبنا كلها إلى الله. فمن عرف الله و أدرك عظمته، لن تؤثر فيه كل هذه الدنيا .

إرادة لا تعرف الانكسار

إن المسيرة الجهادية للإمام الخامنئي تحكي نفسها بنفسها، وتسطع كالشمس في وضوح النهار. وإن سوح الجهاد تشهد بمقاومته وكفاحه الطويل وتفانيه في خدمة الاسلام والثورة .

و إن أدنى اطلاع على سيرة هذا القائد المقدم تفتح أمامك صفحات مشرقة من تاريخ جهاده ضد الظلم والطواغيت .

فبدءاً من تأثره الكبير قبل الثورة- ومنذ صباه- بالسيد نواب صفوي، إلى التحاقه بركب الثورة تحت الراية الخمينية، فاعتقاله عدة مرات، ونفيه وإبعاده، وما عاناه في تلك الفترة من آلام الغربة وحياة التخفي، إلى نشاطاته وفعالياته وجهاده بعد الثورة في خدمتها، في الجبهة وخارجها، كلها تحكي حكاية رجل كبير انتفض بوجه الظلم ليقترح

ساحات الجهاد والحرية والنضال من بابها
الواسع .

ويقول الإمام الخامنئي في هذا الصدد:
يتصور البعض أن التولي لا يعني أكثر من
إبراز التعظيم والاحترام لأهل البيت عليه السلام
عندما يُذكرون ، كأن نقول : عليهم السلام ،
والمودة والحب لهم . طبعي أن حب أهل
البيت فريضة إسلامية و واجب أكيد . ومن
الواجبات أن يُذكر أهل البيت بالاعظام
والاجلال .

« كما أن إقامة مجالس الوعظ والتبليغ
باسمهم أمر عظيم الفائدة، وفي ذلك دروس
عظيمة يستلهمها الإنسان من سيرتهم
وحياتهم ووجهها المبكي والمسّر . ولكن هذا
وحده ليس دليل الولاية » . والولاية بذلك
تبقى ناقصة غير مكتملة الجوانب ، ذلك أن
« الولاية عند الإنسان بمعنى الارتباط الفكري
والسلوكي بالولي ، ذلك الارتباط الذي يشتدّ
ويقوى يوماً بعد يوم . وعلى الإنسان أن
يحكم الوشائج والعلائق بينه وبين وليّه ،
ويتبعه ويتحرك خلفه ويجعل جهده جهد وليّه
وجهاده ، ومحبتّه محبته ، وعداءه عداءه ،
وجبهته جبهته وليّه وحزبه حزب وليّه » . أن
يكون الإنسان موالياً لأهل البيت عليه السلام عليه
أن يسعى لتحقيق الأهداف التي سعى الأئمة

ومهما قيل عن جهاد وتضحيات هذا
القائد المفدّى ، يبقى الكلام قاصراً ، واللسان
عاجزاً ، والفكر حائراً ، حائراً في شخصية ما
عرفت الهدوء يوماً ، ولا الخنوع مرة ، ولا
الخضوع إلا لرّب العزة . . وكانت ترى في كل
العذابات والآلام مسرات ، طالما هي في
إطار التكليف الشرعي وفي سبيل الله تعالى !

وما يلفت النظر ، ويأخذ بمجامع القلب

لقد أثبت حزب الله أنه يتمتع بالحصافة
والكياسة على الصعيد ، السياسي كما يتمتع
بالقوة والإبداع في سوح الجهاد والمقاومة .

القائد وأهل البيت عليه السلام

الارتباط الحقيقي

كيف تتصور العلاقة بأهل البيت عليه السلام
التي يدعو إليها القائد ؟ وكيف يكون الإنسان
موالياً بنظره ؟

قد يقول أحدهم : إبراز المحبة والمودة .
ويجيب آخر : بإحياء مواليدهم وإقامة
مجالس العزاء لهم والبكاء عليهم ، ويقاطعه
ثالث : بزيارتهم وبالحضور في مراقدهم

إلى تحقيقها إماماً بعد آخر وهي إقامة الحكومة الإسلامية.

وهذا يتطلب نزولاً إلى ساحات العمل الاجتماعي والعمل لرفع الظلم عن الفرد والجماعة والمجتمع.

وعندها تأخذ الولاية معناها الحقيقي.. ويؤتي الارتباط بأهل البيت عليه السلام ثماره المطلوبة.. وسيكون الزيارة والبكاء والتوسل بهم طعم خاص، ولون مختلف.

زيارة

أقلت الطائرة من مطار طهران، فانطلق إثرها نداء من أعماق قلبه: «السلام عليك يا غريب الغرباء». فالمقصد «مشهد» موطن الأحبة وديار المعشوق، وما هي إلا ساعة حتى ينعم بلقائه ويطفئ لهيب شوقه إليه.

كانت الطائرة تحلق في الأعالي، وقلبه يحلق معها إلى الملكوت. وفيما كانت تمخر عباب السماء، كانت روحه تسابقها لتزف فوق القبة الذهبية لثامن الأئمة جل جلاله، ولتهيم في الأجواء النورانية العابقة بعطر المودة للآل.. تستحضر أياماً ما كانت لتغيب عن البال، بل هي حاضرة في الوجدان بكل

تفاصيلها ولحظاتها، وهل يمكن أن تغيب عن باله جلسات الأنس في محضر الحبيب، والساعات الطوال التي كان يقضيها في أروقة المقام وزواياه، مناجياً تارة، ومتوسلاً أخرى، ومستمداً العون الثالثة، أو متعلماً، مذاكراً ومباحثاً؟! لحظات ليس لها مثيل!

.. حطت الطائرة، لكن روح القائد الخامنئي أبت إلا أن تبقى محلقة في سماء الولاية.. توجهت القافلة إلى المقام الشريف، وتوجه هو إليه بعين القلب..

وصل، فجلس في غرفة صغيرة في أحد المكاتب المشرفة على الحرم، وشرع بقراءة الزيارة.. مضت مدة، حان وقت العشاء.. جاءه أحد المرافقين ليبلغه بالأمر.. رآه في حالة خضوع وتوجه وبكاء.. لم يرد أن يقاطعه، تركه وعاد بعد فترة.. وهكذا وجده على نفس حالته الأولى، غارقاً في الدعاء والمناجاة، وتركه ثانية، ولما عاد في المرة الثالثة ورآه على تلك الحال، قرّر مع رجال المرافقة الآخرين، إخراجه من تلك الحالة خوفاً على صحته..

طرق الباب وأخبره بأن الأخوة بانتظاره.. فوقف بعدها بلحظات، وتوجه إلى الحاضرين بوجه بشوش.

الذائبين في الإسلام ومبادئه، حتى أصبحت كالشمس المنيرة التي يستضيء بنورها القاصي والداني.

عالم بالدين والسياسة ومجاهد في سبيل الله

لقد منّ الله علينا بأن أخذ بيد الأمة لتدلي بصوتها لرئيس جمهورية متدين، مجاهد في سبيل الله، وعالم بالدين والسياسة.

داعية الصلاح والسداد

إن هؤلاء المنافقين على درجة من الإفلاس السياسي وضيق الأفق، بحيث لم يطبقوا سماع كلماتك في المجلس والجمعة، حتى ارتكبوا هذه الجريمة البشعة. إنهم إنما حاولوا اغتيال دعوة الصلاح والسداد التي كنت تهتف بها ليل نهار.

جندي أمين في الجبهات وخادم للشعب خلفها

هنيئاً لك أيها السيد لباس الجندية الذي ترتديه في الجبهات، والزي الديني خلفها لتخدم الأمة والشعب. أسأل الله أن يديمك

فقد كانت سيرته دائماً، العمل بما نُقل عن أجداده الطاهرين: «إن المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه».

القائد والإمام الإمام الخامنئي في كلام الإمام الخميني

مما لا شك فيه أن لا أحد أعرف بالقائد من الإمام الخميني، فقد كان يعتبره ولده وتلميذه البار، بل الربيب الذي زقه بشارة للثورة بمبادئها العظيمة.

ولذلك يطالعنا الإمام، بين الحين و الآخر، ليثني على شخصية القائد، رغم المعروف عنه من عدم مدحه لأفراد إيان حياتهم. وفيما يلي بعض من هذه العبارات:

ساعد الجمهورية الإسلامية المتين وشمسها المنيرة

كنتُ لسنوات قبل انتصار الثورة ومازلتُ أحتفظ مع سماحتك بعلاقة حميمة، وإنني لأعبرك أحد السواعد المتينة لهذه الجمهورية الإسلامية ومن المتحمسين لتبني المباني الفقهية المتعلقة بولاية الفقيه. وإنك من الأفراد النادرين من بين إخوتك

ونعطي الآخرة أهمية كبرى، ونهتم بمراقبة الله عز وجل.

سالمًا لخدمة الإسلام والمسلمين.

معلم رؤوف وخطيب بليغ في الجمعّات

إنه جندي باسل في الجبهات ومعلمقدير في المحراب، وخطيب بليغ في الجمع والجماعات، وعلم من الأعلام في ميادين الثورة.

بديل الشهيد مطهري

لا بدّ أن يكون هناك خطيب في الجامعات، واقترح أن يكون السيد علي الخامنّي.. أبلغوه عني بأن يتّجه بدلاً من الشهيد المطهري ليلقي خطاباته في الجامعات، فهو فهيم، عليم، متحدّث، ومن أصحاب البيان.

لن تجدوا مثل الخامنّي

لن تستطيعوا أن تجدوا شخصاً يحمل صفات السيد الخامنّي، من حيث التزامه بالإسلام وخدمته له وللشعب بكل وجوده. لن تجدوا ذلك الشخص أبداً، فأنا أعرفه منذ سنوات طويلة.

يجب علينا نحن المبطلين بالمسؤولية أن نضع الآخرة نصب أعيننا في جميع أعمالنا،

قصة

عندما ينقش السحاب...

عاد السيد علي إلى بيته في ساعة متأخرة من الليل، مرهقاً مثقلاً بالحزن.. فقد خلف وراءه ليلة شاقّة مريرة تكاد تكون من أمر أيام حياته.

كانت تلك ليلة الرابع من حزيران، التي ارتحل فيها الإمام الخميني إلى الرفيق الأعلى.. ذلك الإمام الذي كان يرى فيه السيد الخامنّي الوالد الرؤوف، والمربّي الشفيق، والمعلّم، والقائد، والمرشد، بل القطب الذي تدور حوله كل الأفلاك..

«رحل الخميني، فانقطع الأمل»، هكذا كان يفكر في نفسه السيد علي الذي جلس ناحية مختنقاً بعربته، والقلب تملؤه الغصة، غصة فقد الحبيب، وغصة غياب القائد، الذي لطالما انتظره الطواغيت والأعداء للإنقضاض على الثورة ومنجزاتها..

توالى على بال السيد علي الكثير من الخواطر، أخذ يفكر في الثورة ومصيرها بعد

انعقدت لانتخاب خلف الإمام الراحل .
ابتدأت الجلسة بتلاوة السيد الخامنئي وصية
الإمام ، الذي كان قد أوصى بأن يتلوها نجله
السيد أحمد ، وإن لم يقدر فالسيد الخامنئي .

وبينما كان يتلوها كان صوته يتهدج
ويختنق بعبرفته من وقت لآخر ، فيما كانت
أصوات البكاء والنحيب تتعالى في المكان . .

ترأس الجلسة إذ ذاك الشيخ هاشمي
رفسنجاني ، و كان حينها نائباً للرئيس
(رئيس مجلس الخبراء) .

الشيخ هاشمي : سادتي أعضاء
المجلس ، سنبحث اليوم مسألة خلافة
الإمام ، والقيادة و شكلها ، فماذا تقولون ؟

-انبرى أحد السادة الحضور وقال : أنا
أدعو لوحدة القيادة .

-ولم لا تكون مجموعة في عدة
أشخاص ، فتكون القيادة شورى بينهم ؟ !
أجابه آخر .

-أنا أيضاً أدعو لشورى القيادة ! ردّ السيد
ال خامنئي بحماسة .

-و أنا أوافق السيد الخامنئي رأيه . قال
الشيخ هاشمي رفسنجاني ، وهو يدوّن بعض

الإمام . . في الخلف الذي سيخلفه في قيادة
الثورة . . في من تتوفر فيه الأهلية والكفاءة
لذلك . . وفي الخسارة الكبيرة التي ألّمت
بالأمة الإسلامية ، والتي لا يمكن أن يجبرها
شيء ! أحسّ بالسماء تطبق على صدره ،
وتحبس عليه أنفاسه . . إلا أنه سرعان ما
استدرك ، استعاذ بالله واسترجع : « إنّ الله وإنّا
إليه راجعون » ، فأولياء الله يرون في كلّ ما
يصيبهم « رحمة ولطفاً إلهياً » وهذا ما تعلّمه
من أستاذه وقائده في مواجهة البلايا
والخطوب !

وكانت قد تناهت إلى مسامع السيد
ال خامنئي في ليلته تلك ، كلمات وعبارات
من هنا وهناك تفيد بأنهم سيختارونه واحداً
من مجموعة القيادة . وقف في مصلاه ،
صلّى ركعتين ، وتوقف بعدها للدعاء
والمناجاة :

إلهي يا مدبر الأمور ومقدّرها ! إنّ من
المحتمل أن ينتخبوني كعضو في مجموعة
القيادة ، فأسألك أن تقدّر الأمر بشكل لا
يحصل فيه هذا ، إن كان فيه ضرر لديني و
آخرتي !

في صبيحة اليوم التالي كان الحزن
مخيماً على جلسة مجلس الخبراء ، التي

الملاحظات على ورقة أمامه .

آخر .

في ناحية أخرى من الجلسة، كان اثنان من الحضور يتهامسان فيما بينهما، فقال أحدهما:

-فجوده بينهم مدعاة للطمأنينة! ردّ ثالث .

-قيادة شوروية، إنه لشيء جميل!

احمرّ وجه السيد الخامنئي خجلاً من هذا المديح والثناء، وهو الذي، مع كلّ تضحياته وجهوده وفعاليته من أجل الثورة، لا يرى نفسه سوى قطرة صغيرة في بحرّها الزاخر المعطاء.. وها هو اليوم يقدّم على كثير من السادة والفضلاء، ويطرح اسمه في مجموعة القيادة!

-حتماً شورى القيادة أفضل، فخلاصة آراء متعدّدة أفضل من رأي واحد! أجابه الآخر.

وفيما هما كذلك، طرق حديثهما مسامع أحد السادة الفضلاء الذي كان يجلس على المقعد الأمامي لهما، فقاطعهما معترضاً:

انتفض قائماً وقد بدت علامات الارتباك ظاهرة على وجهه، فالمسؤولية كبيرة..

-وماذا لو اختلفت آراء هؤلاء، برأي منّ منهم يعمل؟! ثم إن الإمام كان يرفض شورى القيادة، أليس كذلك

والتقصير ولو في جزء يسير من تفاصيلها، يعني المساءلة أمام الخالق الديّان، وهو شيء ترتعد له فرائص الأشداء من أولياء الله!

-نعم، شورى القيادة تكون مرفوضة في حال وجود قائد، قادر، قويّ، وحكيم!

-ما هذا الذي تقولونه يا سادة؟! قال السيد علي مستنكراً.

أجابه أحدهما، وقام أمام الجميع قائلاً:

-إنّ خبرة سماحتكم ستشكّل دعماً قوياً لهذه القيادة. أجابه أحدهم.

أنا أرى أن تكون القيادة شوروية مؤلفة من ٣ إلى ٥ أشخاص من بينهم السيد الخامنئي.

-وإنكم أكثرنا فهماً والتزاماً بنهج الإمام الراحل! أردف آخر.

-حتماً السيد الخامنئي من بينهم! أجابه

أكثرنا فهماً والتزاماً بنهج الإمام الراحل ،
نفذت هذه الكلمات إلى أعماق وجود الشيخ
هاشمي رفسنجاني ، الذي كان يستمع إلى
الحوار الدائر .. شقّت عباب الذاكرة ، وحملته
على أجنحة الشوق إلى ماضٍ غير بعيد ، إلى
محضر الإمام الخاص .. حيث الإمام جالس
على منضدة ، محاط بهالة قدسية قلّما
عهدت في بني بشر ، سوى في الأنبياء
والأولياء العظام ، وحوله بعض القادة
والمسؤولين ، من بينهم السيد الخامني ،
اقترب منه الشيخ رفسنجاني ، بعد أن حقّز
نفسه مراراً وتكراراً ، وقال :

عذراً سيدي ، لا ينبغي لهذا المنصب
(منصب القيادة) أن يبقى شاغراً ، وإلا
وصلنا إلى طريق مسدود !

أجابه الإمام إجابة الواثق المطمئن قائلاً :
لن تصلوا إلى طريق مسدود ، والسيد
الخامني بينكم .

فلم لا تصرّحون برأيكم وتعلنونه خليفة ؟ !
ردّ الشيخ هاشمي بحماسة .

لا أريد للمسألة أن تُفهم على أنها
استخلاف . لكن ، إن طرحه مجلس
الخبراء ، فسأكون أول من يدعم هذا الرأي

ويمضيه .

عجباً ، كيف لم ألتفت لهذه المسألة ،
وهي لم تكن المرة الوحيدة التي أبدى الإمام
رغبته فيها أمامي ، بطرح السيد الخامني
للقيادة ، وصرّح بأهليته لها ؟ ! فكّر الشيخ
هاشمي بينه وبين نفسه .

تنفّس الصعداء وهمّ بقول شيء ما ، وإذا
بأحد موظفي المجلس يتقدم منه ويقول :

عذراً سيدي ! السيد أحمد الخميني على
الخط ، يريد التحدّث إليكم .

استأذن الشيخ هاشمي من الحاضرين
وخرج من القاعة .

الشيخ هاشمي : ما الخبر ؟

السيد أحمد : إلام توصلتم بشأن موضوع
القيادة ؟

الشيخ هاشمي : لا زلنا نتدارس الأمر ،
والظاهر أنّ أراء الأغلبية تميل إلى شوري
القيادة .

السيد أحمد : شوري القيادة ؟ ! وماذا عن
طرح الإمام للسيد علي ؟ !

الشيخ هاشمي : لقد كنت أفكر في الأمر
لتوّي .

السيد أحمد: وما الذي يؤخرك إذاً؟!

الشيخ هاشمي: لقد هممت بالأمر، إلا أنّ اتصالك حال دون ذلك.

السيد أحمد: شيخ هاشمي! قل للجميع هناك: إذا أردتم أن تعملوا بوصية الإمام، فليكن السيد الخامنئي هو خليفة الإمام للقيادة.

عاد الشيخ هاشمي إلى الجلسة، وعينه تتلألأ فرحاً.. فقد تبددت الآن كل المخاوف من طريق الثورة، بوجود السيد الخامنئي، الذي سيقطع انتخابه الطريق على المتربّسين بها! اعتلى مكانه على المنصة وخاطب الجميع قائلاً: أيها السادة: لقد بحثنا في شوری القيادة منذ الصباح ما يكفي، والقائد الجدير الكفو بيننا! وحالنا كان حال من يبحث عن الحلّ وهو مائل أمامه!

تسمّرت أذواق الجميع في عيونهم، ما هذا الذي يقوله الشيخ هاشمي؟

تابع الشيخ هاشمي كلامه: أيها السادة، لقد سمعت من الإمام مراراً وتكراراً شهادات بحق السيد الخامنئي تفيد بأهليته وجدارته للقيادة، وهناك شهود على مقالتي هذه.

هزّت كلمات الشيخ هاشمي كيان السيد

ال خامنئي، فهو الذي كان يرفض بشدّة أن يكون واحداً من مجموعة القيادة، فكيف به وهو يطرح خلفاً للإمام الراحل في قيادة الثورة؟! حاول مقاطعة الشيخ هاشمي، إلا أنّ الشيخ تابع كلامه قائلاً:

وقد وردني للتوّ اتصال من السيد أحمد، طلب مني فيه أن أبلغكم، أنّ العمل بوصية الإمام يقتضي انتخاب السيد الخامنئي للقيادة.

قام السيد الخامنئي من مكانه قائلاً:

ما هذا الذي تقوله يا شيخ؟! دعك من هذا الكلام.

عندها انبرى أحد السادة الحاضرين، ووجّه كلامه للسيد الخامنئي قائلاً:

- حقاً، إنك أهل للقيادة!

- بل لا أحد أكثر لياقة بها منك! أردف آخر. و أيد كلامهما ثالث ورابع..

هذا والسيد الخامنئي يدعوههم إلى التريث، و يقيم الأدلة والبراهين ليصرفهم عن هذا الأمر، فلا يجد لكلامه سامعاً:

- يا سادة، تريثوا ولا تعجلوا! إذهبوا واختاروا من بينكم قائداً غيري، فهناك من

نور ، اسم الخامنئي قائداً للثورة ، و أهوى
أفندتهم إليه ، فلم يعودوا يرون غيره !

وفيما كان الشيخ هاشمي يعلن نتيجة
التصويت التي جاءت بأغلبية ٦٠ صوتاً من
أصل ٧٤ ، ووسط صيحات التهليل والتكبير
التي كانت تتعالى من أنحاء المجلس ، كان
السيد الخامنئي يعيش عالماً آخر من
المناجاة .. من التضرع والتذلل لرب العزة :

إلهي لا ترفعني في الناس درجة إلا
حطّطتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي
عزة ظاهرة إلا أحدثت ذلة باطنة عند نفسي
بقدرها .

إلهي تعلم أنني لم أسع ولم أفكر قط في
حياتي في هذا المنصب .. إلهي إن كانت
إرادتك و مشيئتك أن يؤول هذا الأمر إليّ ،
فإني يا رب طوع مشيئتك ..

أعني يا رب بقوة ، وسدّدي لحمله ..
ومن ناحيتي ، سأعمل بكل ما استطعت
لحفظه وتقويته ..

وفيما هو كذلك ، شعر السيد الخامنئي
بيد تربّت على كتفه ، التفت جانباً ، وإذا
بالشيخ هاشمي يقول :

والآن يا سماحة القائد ! هل بقي لكم من

هو أجدر مني !

- لقد حسم الأمر . أنت وليس غيرك لها !
قال أحدهم .

- ولكنّه حمل ثقيل لا يمكنني حمله !
- إن لم تحمله أنت ، فسيبقى ملقى على
الأرض ، ولن يجد من يحمله ! أجاب آخر .
- و سيبقى المنصب شاغراً ! ردّ ثالث .

عندها قطع الشيخ هاشمي الجدل القائم
قائلاً : أرى أن نحيل المسألة إلى التصويت .

تمّ التصويت ، وكانّ معجزة ما قد
حصلت ، فقبل ساعة ، كان الجميع يميل إلى
شورى القيادة ، ويبحث في تفاصيلها ، وما إن
طرح اسم الخامنئي لتستّم مقام القيادة ،
حتى أدلت الغالبية بأرائها لصالحه !

وكانّ غمامة انقشعت عن نواظرهم ،
فالتفتوا إلى نور الشمس !

أو أنّ الملائكة مسحت على أعينهم ،
فراؤا مالم يكونوا يرونه !

أم هو اللطف الإلهي ، الذي رافق الثورة
منذ انطلاقتها ، أبى إلا أن يقيض لها من هو
الأحرص عليها ، وعلى الالتزام بنهج
قائدها ، فأجرى أقلامهم لتسطر بأحرف من

عذر بعد الذي جرى ؟ !

وقف القائد الخامنئي أمام الجميع وقال :
إذا كان الأمر كذلك ، وكان لا بدّ من
قبوله ، فسأخذه بقوة كما أوصى الله أنبياءه ،
وسأحافظ عليه بكل وجودي من أجل رضا
الله سبحانه ، توكلت على الله ، لا قوة إلا
بالله !

حينها ، عمت الفرحة أرجاء المكان ،
وعلت البسمة وجوه الجميع ، وتعالّت نداءات
الصلوات ، وهتف الجميع بصوت واحد : الله
أكبر ، خامنئي رهبر !

القائد والمطالعة

أطالع أكثر من أغلب الشباب !

كنت كثير المطالعة في مرحلة الشباب .
فبغضّ النظر عن الكتب الدراسية ، كنت أقرأ
الكتب التاريخية ، الأدبية ، فنون الشعر
والنثر ، القصص والروايات المشهورة آنذاك .
وقد شغفت بالأحاديث النبوية إثر إجادتي للغة
العربية ، بفضل دراستي ومتابعتي للدروس
العربية . من جهة أخرى ، فقد كان لوالدي
مكتبة في البيت وقد طالعت أغلبها . طبعاً
كنت أستعير بعض الكتب ، لاسيما القصص

والروايات من مكتبة صغيرة قرب البيت كانت
تغير الكتب . وكنت أترددّ على مكتبة الحضرة
الرضوية المقدسة أوائل دراستي الحوزوية في
سنّ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من
عمري . وكنت استغرق في المطالعة إلى
الحد الذي لم يكن يجعلني أسمع الأصوات
من حولي حتى ، ولو كانت مرتفعة .

كنت قريباً جداً من مكبرات الصوت ، إلا
أنّي لم أكن أسمع . وبعد مدة كنّا نلتفت أنه
مرّت ساعات على جلوسنا هناك . كنا
نستأنس بالكتب .

والآن ، فقد قاربت على الستين من
عمري ، وكما ترون فإن بعضكم بمثابة
أولادي ، والبعض الآخر بعمر أحفادي ،
والذي ينبغي أن تعلموه أنّي لم أكفّ عن
المطالعة حتى الآن ، بل ما زلت أطالع أكثر
من أغلب الشباب .

هذه هي تجربة الإمام الخامنئي دام ظله
مع المطالعة ، فماذا عنك ؟ !

أوصي جميع الإخوة ومهما كانت خطورة
الوظيفة التي ينهضون بأعبائها بأن لا ينأوا
بأنفسهم بعيداً عن المطالعة ومواكبة
الأحداث .

بالالتحاق بالأهواز أو دزفول لعلني أخدم هناك . فوافق الإمام مباشرة وشعرت سرور عظيم ، حتى كدت أطيّر فرحاً .

انطلقنا عصرًا أنا والأخ شمران ، ووصلنا إلى الأهواز ليلاً ، فبادرنا فوراً إلى تشكيل مجموعات صغيرة ، حملت الرشاشات والقواذف ، وتسلّلت ليلاً إلى داخل مواقع العدو . . ومنذ ذلك الحين ، كنّا نمارس العمليات الليلية كل يوم . »

وينقل القائد العديد من الذكريات عن أيام مشاركته في الجبهة ، ويتمنى دائماً لو يتم نشر القصص الرائعة للأحداث والمواقف العظيمة ، التي كانت تجري في تلك الأيام .
ويشيد كثيراً بأهمية وصايا الشهداء فيقول :

« أمر الإمام بقراءة وصايا الشهداء ، وأنا استفدت كثيراً من وصيته هذه . وغالباً ما كنت أقرأ كل ما يصلني منها . . إن كل كلمة من وصية ذلك الشاب الذي قد يقرأ خطّه بصعوبة بالغة ، هي درس لي و لأمثالي ، يفتح لي أفقاً واسعة . . أذكر رسالة لأحدهم يجيب والدته (التي طلبت منه الإسراع في العودة إلى البيت) ، حيث كتب لها : « أصلاً ، الحياة

القائد والجبهة

عندما تتحرك القوى والإرادات

إحدى محاولات الاستكبار العالمي للقضاء على الجمهورية الإسلامية ، كانت الحرب المفروضة عليها . حينها كان سماحة الإمام القائد يتولى عدة مسؤوليات في إدارة الجمهورية ، ورغم ذلك كان من أولئك المتطوّعين الذين التحقوا بجبهات القتال . وقد كان لسماحته دور بارز جداً في الجبهة ، سواءً من حيث وضع الخطط والتنسيق بين الوحدات القتالية المشاركة ، وتأمين ما أمكنه من معدّات قتالية ، أو من حيث المشاركة المباشرة في المعارك . فقد أدى دوراً مهماً جداً في منع سقوط مدينة الأهواز في أيدي العراقيين ، وكذلك في تحرير مدينة سوسنكرد المحاصرة .

يقول سماحته في هذا المجال :

« تتالت علينا أنباء الحرب خلال أيامها الأولى ، بما يدعو لليأس والقنوط . . كنت آنذاك ممثلاً للإمام في مجلس الدفاع الأعلى ، والناطق الرسمي باسم المجلس . . ورأيت نفسي عاجزاً عن فعل شيء ، ولكنني لم أطق الصبر دون أن أحرك ساكناً ، فذهبت إلى الإمام وقلت : « أرجو أن تأذن لي



من ضوء ؟

وكيف للبعض أن لا يرى هذا الضوء ؟ !
بل كيف يمكن أن لا يراه ضوءاً ؟ ! وهل
يحتاج الضوء إلى من يرشد إليه ؟ !

أسئلة وأسئلة انهالت كالسيل على رأسي ،
بحيث لم أعد على تجاهلها ، فرحت أبحث
لها عن أجوبة . ولكن أين ؟

فتشت في طيات نفسي ، فوجدتها هي
الأخرى تبحث عن سرّ الجذبة التي اجتذبتها
نحو رجل لم تعرفه كل المعرفة ، يقف في
محضره سماحة السيد حسن نصر الله ، قائد
المقاومة مظهراً له كل الطاعة والتبجيل
والاحترام !

فمن هو هذا الرجل يا ترى ؟ !

إنه الإمام السيد على الخامنّي ولي أمر
المسلمين .

ولكنني لا أبحث عن هذه المعرفة
السطحية !

أطني الآن بحاجة إلى معين يعينني ،
فلم تعد نفسي تقدّم لي إجابات شافية ..
وحتى لا أثقل على أحد لجأت إلى الكتاب ..
نعم ، فهو من سيعرّفني على الإمام

ليست موجودة عندهم ، الحياة هنا » . هذه
من المعنويات التي تنجذب لها القلوب ،
وعندما تنجذب القلوب ، تتحرك القوى
والإرادات . وعندما يحصل ذلك ، فإن أعتى
القوى ليس بمقدورها أن تهزم شعباً .. وهذه
الحقيقة حدثت في إيران : أعتى القوى في
الدنيا لم تتمكن من أن تهزم إيران » .

خاطرة

كالضوء من الضوء

وجه تعلوه ابتسامة رسمت باستحياء ،
يقابل وجهاً أثقله تواضعه ، فتعانقت الروحان
وتشابكت الأنوار بين رجل من جبل عامل
الأبّي ، ورجل من إيران الإسلام .

صورة ليست كباقي الصور .. عندما رأيته
للمرة الأولى وقد علّق عليها « كالضوء من
الضوء » ، عاقت في روحي الكثير من
المشاعر ، واضطربت فيها ، الكثير من
الأحاسيس .

الضوء ! لماذا الضوء ؟ وما مصدر هذا
الضوء ؟ !

كيف يمتد ؟ أين ينتشر ؟

وما حاجتنا إليه ؟ وماذا لو لم يكن هناك

الخامنئي ..

قصدت مكتبة ، وسألت صاحبها ،
فزودني بمجموعة من الكتب ، وودّعني
بنصيحة بعد أن لمس شوقي وحماستي :

« إحرص على أن تقرئها جيداً ،
فكتابات السيد القائد عميقة ومفيدة ..
تحاكي عصرنا ومشاكله .. وبالخصوص
مشاكلكم يا معشر الشباب » .

ثم أضاف مجيباً على سؤال فهمه من
ابتناسمي المستغربة : « نعم يا عزيزتي ،
فالقائد كثيراً ما يخاطب الشباب ويهتم
بمشاكلهم ، ويفهمهم حتى أكثر من
أنفسهم ! » .

عدت إلى البيت ولا تزال كلمة « القائد »
تتردد في مسامع قلبي ، وكأنها الكلمة
الحصرية المعتمدة عند ذكر الإمام
الخامنئي .

وما إن وصلت .. دخلت غرفتي وبدأت
بالمطالعة التي لطالما كانت رفيقة ليلى .. لم
أكن هذه المرة تلك المتعطشة إلى المعرفة
فحسب ، ولم تكن الساعة والساعتان
والثلاث كافية لتروي ظمأي ، بل كنت كلما
قلبت صفحة ، ازداد عطشي لمعرفة المزيد ،

وكانت ثورة الأفكار تحقق النصر تلو الآخر
كلما سقط جندي من جنود جهلي بهذه
الشخصية العظيمة ..

تلك الليلة ، لم أشعر بالظلام وأنا في
محضر الضوء .. كانت الأجوبة تشعّ على
روحي كما النور .. فلم أعد أرى إلا النور ؛ نوراً
من نور .. سلالة نبوية شريفة .. ذرية بعضها
من بعض ..

فمن أغمض عينيه ، حكم على نفسه
بالظلام .. ومن شاء أن يفتحهما ، فتح الله
على قلبه وبصيرته ، وأضاء طريقه بنور
المرشد .. بنور القائد ، حتى يصل إلى شاطئ
الأمان .

القائد مهام وإنجازات

شغل القائد بعد انتصار الثورة عدة مهام
ومناصب تمثلت بـ :

— مهمة إلى محافظة سيستان
وبلوخستان من قبل الإمام عليه السلام .

- وكالة وزارة الدفاع .

- قيادة حرس الثورة .

- إمامة جمعة طهران .

- عضوية مجلس الشورى الإسلامي عن العاصمة طهران .

— رئاسة الجمهورية (الدورتين متواليتين) .

- قيادة الجمهورية الإسلامية .

هل تعلم ؟

أنَّ أوَّل درس قام القائد بتدريسه ، كان أساليب القراءة الصحيحة ، وهو في الثانية عشر من العمر .

— أنَّ القائد تَعَمَّم وهو ما بين العاشرة والثالثة عشر من العمر ، وذلك بناء على قرار اتخذه والده لمواجهة قرار السلطات آنذاك بمنع الزي الديني .

- كان للقائد من العمر ١٣ سنة عندما بدأ عمله الجهادي السياسي .

— أنه بالإضافة إلى الدراسة الدينية ، التحق بالدراسة المسائية في المدرسة الحكومية . وحصل على الشهادة المتوسطة ، ومن ثم أنهى الدراسة الثانوية خفيةً .

- أن للقائد ستة أولاد : ٤ صبية وابنتان . تنقل زوجته بأن أكثر ما كان يؤكد عليه هو الاهتمام بالصلاة ، قراءة القرآن والقيام

بالرياضة .

- أنَّه يهتم اهتماماً شديداً باللغة العربية ، لأنَّها لغة القرآن والمعارف الإسلامية . وسُمِع مراراً يقول : لطالما تمنيت أنني ولدت في بلد عربي يمكنني من الكلام باللغة العربية .

- أنَّ القائد . مضافاً إلى اللغة الفارسية . يجيد كلاً من العربية والتركية والإنكليزية .

- أنه قضى ثلاث سنوات من عمره في سجون الشاه ما بين الأعوام (١٩٦٣ - ١٩٧٨) ، تعرَّض فيها لأشد أنواع التعذيب .

— أنَّه (دام ظلّه) كان أوَّل عالم دين يرتدي الثياب العسكرية في جبهات الحرب .

— أنَّ أبناء القائد كانوا يشاركون في الجبهات أثناء الحرب ، وقد شوهدهوا هناك مراراً وتكراراً .

- أنَّ القائد لا يجري أيَّ عقد زواج فيما إذا تجاوز المهر عن أربع عشرة مسكوكة ذهبية .

— أنَّ ترجمة القائد لكتاب سيد قطب « المستقبل لهذا الدين » ، كانت السبب في اعتقاله من قبل السلطات نتيجة المقدمة الثورية التي قدّم للكتاب بها .

١.٢ الحياة والمهمات لله

- المكان : مسجد أبي جنوب طهران .
- المناسبة : القائد يلقي خطاباً . يدوي
فجأة صوت انفجار كبير .. يصاب القائد إثره
بعدة إصابات وينقل إلى المستشفى .. يبرق
الإمام الخميني عليه السلام إليه ببرقية ينوّه فيها
بجهاده وتضحياته ، فيردّ الإمام الخميني
عليها بهذه الكلمات :

« وأنا الذي أعتبر نفسي جندياً بسيطاً من
جند الله ، وبل قطرة في بحر حزب الله
الهائج ، مستعدّ لأن أقارع الأعداء
والمنافقين إلى آخر قطرة من دمي ، وسأجعل
من (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين) شعاراً بل أنشودة أنشدها
في كل يوم ، بل في كل لحظة » .

١.٣ الامتثال للتكليف :

- المكان : جماران (مقر إقامة الإمام
الخميني)

- المناسبة : في أحد اللقاءات التي جمعت
كلّاً من الإمام الخميني عليه السلام والقائد ، يدنو
الإمام من القائد الخميني ، يهمس في أذنه
ويسأله : ماذا تريد أن تعمل بعد انقضاء مدة

- أن القائد يهتمّ اهتماماً كبيراً للالتقاء
بعوائل الشهداء والتواصل معهم ، وأنّ له
برنامجاً أسبوعياً لزيارتهم قد يصل إلى مرتين
في الأسبوع .

- أن له جولات وزيارات دائمة للمناطق
والمحافظات الإيرانية ، يتفقد فيها أبناء
الشعب ويطلع على مشاكلهم وهمومهم ،
ويقضي حاجاتهم .

القائد القدوة

هكذا يكون القادة

١. خدمة الناس

- المكان : مدينة إيران شهر . قبل انتصار
الثورة .

- المناسبة : السيل يجتاح إيران شهر ،
والبيوت مهدّمة .. تصل قافلة من العلماء
لمساعدة المنكوبين .. تسأل عن المسؤول
عن عمليات الإغاثة ، فيشار إلى رجل يحمل
كيس أرزّ على ظهره محاولاً نقله عبر البيوت
المهدّمة : « إنه ذلك السيد » .

اقتربوا منه ، فإذا به السيد الخميني ، وقد
كان أول الواصلين !

ولدها إلى إحدى العيادات الطبية.. بعد المعاينة، يلتفت الطبيب إلى وجود شبه كبير بين الولد والقائد الخامنئي.. وبعد السؤال والتحقق من أنهما زوجة القائد وابنه، يتعجب ويقول: أليس لكم طبيب خاص؟! تجيب السيدة: لا، فإن السيد لا يقبل بهذا الأمر، ويقول: عليكم بمراجعة الأطباء في المستشفيات العامة شأنكم شأن سائر الناس.

٦. استقاء المعلومات:

المكان: مقر إقامة الإمام الخامنئي.
— المناسبة: بينما كان أحد السادة الأجلاء ينقل للقائد مشاكل منطقته تفاجأ بأن القائد على معرفة دقيقة بكل التفاصيل التي يذكرها له.. توقف عن الكلام مصدوماً، فتابع القائد موضحاً: «إن المعلومات التي أتلّقاها تصل إليّ من ١٨ مصدراً، وفي أحيان كثيرة لا يعلم بها حتى مكنتي الخاص».

رئاسة الجمهورية؟ يجيب القائد: لو طلب مني الإمام أن أكون المسؤول الثقافي لمركز شرطة مدينة زابل. النائية. لأخذت بيد زوجتي وأطفالي، ولذهبت إلى تلك المدينة، وستكون مدينة زابل بالنسبة لي مركزاً للعالم، وكنت سأشغل بالعمل الثقافي فيها.

٤. بساطة العيش:

— المكان: مقر إقامة الإمام الخامنئي.
— المناسبة: في أحد اللقاءات التي جمعت قائد الحرس الثوري السابق رحيم صفوي بالقائد، طالت المباحثات إلى أن حان وقت المغرب.. بقي قائد الحرس للصلاة جماعة خلف الإمام.. بعد الصلاة، دعا الإمام الخامنئي لتناول طعام العشاء عنده، وقال: سنأكل سوياً مما هو موجود في المنزل.. أحضرت السفرة ووضع العشاء، فتفاجأ قائد الحرس بأن العشاء لم يكن سوى بيض مقلي.

٥. مثل سائر الناس:

— المكان: طهران - إحدى المستشفيات العامة.

— المناسبة: تأتي امرأة ذات يوم برفقة